مصادر السيرة النبوية

بـــين

المحـــــدِّثين والمـــــؤرخين

بحثٌ مقدَّمٌ لنَيْلِ جائزَة نَايِف بن عَبْدالعَزيز آل سُعُود العَالَميَّةِ
لِلسُّنَّة النَّبَويَّـــةِ وَالدِّرَاسَـــاتِ الإِسْلامِيَّـــةِ المعَاصِـــرَةِ
لعـــام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

إعـــداد

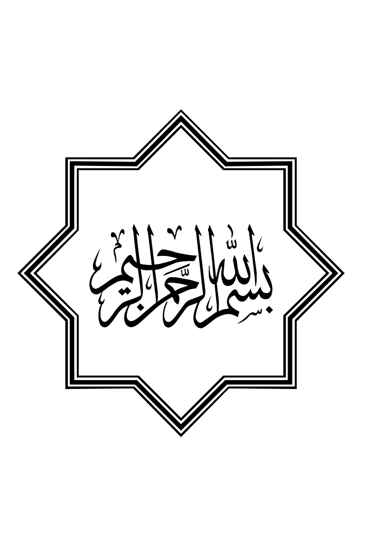
الدكتور عبد الرزاق هرماس

كلية الآداب جامعة ابن زهر - أكادير المغرب

((الـــدورة الثالثـــة))

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـــن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فإن المكتبة الإسلامية تزخر بما لا يحصى من المؤلفات التي كتبها العلمـــاء حول السيرة النبوية، وإن النظرة العلمية المتأنية في تاريخ التأليف في هذا العلـــم، تظهر أن ابتداء التدوين في السيرة كان مع كبار المحدثين من طبقـــة التـــابعين، وعندما استهل التأليف في تاريخ الإسلام كان علم السيرة نواته ومنطلقه، الشيء الذي جعل أوائل المؤرخين المسلمين يُوْلُون الأهمية لأخبار ووقائع عصر المبعث، فمنهم من ابتدأ كتابه بها، ومنهم من اختصر أخبار الأوائل بما تضمنته من ســـير الأنبياء، الذين ذكرهم القرآن، لينتقل من تلك الأخبار إلى مرويات الـــسيرة، ثم بقية حِقَب التاريخ إلى عصر المصنف.

وبالرجوع إلى كتب طبقات العلماء، نجد التأليف في السيرة لم ينحصر في المحدثين والمؤرخين فقط، بل أسهم فيه عدد من المفسرين والفقهاء واللغويين...، ولا سبيل –بالنسبة لهؤلاء جميعاً– للتوصل إلى أخبار عصر المبعث، إلا بالرجوع

إلى المرويات التي تعتبر مصدرا للعلم، وهي متفرقة بين مصنفات المحدثين والمؤرخين، الذين جمعوها بالأسانيد خلال عصور الرواية.

واعتباراً لتفاوت هذه المرويات من جهة القبول والرد، نظراً لكون الكتب التي نقلتها ليست في درجة واحدة، إذ منها ما يدخل ضمن مصادر السيرة، ومنها ما يلحق بموارد هذا العلم، ولهذا احتيج لترتيب مآخذ علم السيرة النبوية باعتبارها أحد العلوم الشرعية.

وهنا تظهر أهمية توجيه البحث العلمي المتخصص إلى الاشتغال بموضوع مصادر السيرة النبوية، وأنواعها مع ضبط مراتبها من جهة القبول والرد، وذلك لن يتأتى إلا من خلال استقراء منهج نَقَلَة آثار السيرة من المحدثين والمؤرخين، وتحديد ضوابطهم في تخريج الروايات، ثم الاستفادة من تلك الضوابط في الدراسة العلمية للسيرة، التي تعتمد الصحيح والحسن من الأخبار؛ ولن تكتمل هذه الدراسة إلا بعد ضبط أسماء المواقع، والبلدان، المذكورة في تلك الروايات، بالرجوع إلى كتب الجغرافيا والبلدان التي ألفها عدد من المختصين المعاصرين، كالشيخ حمد الجاسر رحمه الله.

وفي هذه الدراسة: (مصادر السيرة بين المحدثين والمؤرخين) تم اعتماد منهج في البحث يقوم على دعامتين:

الأولى: جمع المادة العلمية من مختلف مظانها، في العديد من كتب التراجم، وتواريخ الرواة، ومصنفات السيرة والمغازي، وأمهات كتب الحديث وعلومه، فضلاً عن طائفة من كتب التفسير وشروح السنة، والتاريخ...

الثانية: دراسة هذه المادة، وترتيبها تبعاً لما تقتضيه قواعد المنهج، ثم تحريرها

تحريراً عِلْمِيّاً.

أما عن عناصر الدراسة، فقد قسمت إلى قسمين رئيـسين، يـسبقهما مبحث تمهيدي.

ففي هذا المبحث التمهيدي تم الحديث عن مصادر السيرة بـين القـدامى والمؤلفين المعاصرين، وذلك من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصطلح مصادر السيرة: مفهومه والمراد به.

المطلب الثاني: اهتمام القدامى بمصادر السيرة.

المطلب الثالث: التأليف في مصادر السيرة عند المعاصرين.

أما القسم الأول من الدراسة فقد خصص لبيان أنواع هذه المصادر، وجاء في ستة فصول:

الفصل الأول : القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبوية، وفيه مباحث:

المبحث الأول : نماذج من دلالات القرآن على أحداث السيرة النبوية.

المبحث الثاني : ميزات القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الثالث : تنبيهات لدراسة السيرة النبوية من القرآن الكريم.

المبحث الرابع : كتب التفسير مصدراً للسيرة النبوية.

المبحث الخامس :كتب علوم القرآن مصدراً للسيرة النبوية.

الفصل الثاني : المصدر الثاني للسيرة النبوية: كتب الحديث النبـوي، وفيـه مباحث:

المبحث الأول : العلاقة بين السيرة النبوية والحديث النبوي.

المبحث الثاني : كتب الحديث مصدراً للسيرة النبوية.

المبحث الثالث : ميزة كتب الحديث في عرض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الأول: كتب الأدب مصدراً للسيرة النبوية.

المبحث الثاني: كتب الجغرافيا والبلدان.

القسم الثـاني: الـسيرة النبويـة بـين المحـدثين والمـؤرخين مع الموازنـة بـين منهجيهمـا، وفيـه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التأليف في السيرة عند المحدثين، وفيـــه مباحث:

المبحث الأول: أوائل علماء السيرة من رجال الحديث النبوي.

المبحث الثاني: منهج المحدثين في رواية أخبار السيرة.

المبحث الثالث: موقف حفاظ الحديث من المصنفات الأولى في الـــسير والمغازي.

الفصل الثاني: المدارس التاريخية الإسلامية إلى بداية القرن الرابع الهجـــري، وفيه مباحث:

المبحث الأول: مدرسة القصاصين.

المبحث الثاني: مدرسة الأخباريين.

المبحث الثالث: مدرسة أهل السيرة والتاريخ.

المبحث الرابع: مدرسة التاريخ.

الفصل الثالث: مناهج المؤرخين في دراسة السيرة النبوية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: مصادر السيرة عند المؤرخين.

المبحث الثاني: أصول الرواية وقوانين الدراية عند أهل السيرة والتاريخ.

المبحث الثالث: المؤرخون ونقد المتن.

وكان فصل الختام باستنتاجاتٍ عامة، أدرجناها في نهاية البحث.

وفي ختام هذه المقدمة: لابد من إشارات موجزة للصعوبات التي تَعْـرض للباحث في هذا الموضوع، إذ -بخلاف أكثر العلوم الشرعية- نجد مادة مصادر السيرة متشعبة في مظان مختلفة، تشمل جميع العلوم الإسلامية، سـواء كانـت مصنفات في العلم الشرعي، أو مؤلفات في العلوم الآلية، ثم إن هذا الموضوع لا زالت العديد من مباحثه بكراً، وقد ظهرت الحاجة إلى جمع أشتاته حين أصـبح مادةً دراسية بالجامعات قبل سنوات معدودة.

ومما يزيد في هذه الصعوبات: فقدان الكثير من كتب السيرة، والمغـازي، التي ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى، وحتى محاولات جمع مـستخرجاتٍ لهـذه الكتب لم يتم الالتزام فيها -دائماً- بالقواعد العلمية في استخراج المفقود مـن كتب السيرة والمغازي.

وختاماً نسأل الله العون، والسداد، والتوفيق في النية والقول والعمـل، وأن يعلمنا ما جهلنا، وينفعنا بما علمنا، وأن لا يكلنا إلى أحدٍ غيره سبحانه طرفـة عين، ويتقبل منا ومن سائر عباده المسلمين صالح الطاعات، ويجعلنا ممن سـخره عز وجل لخدمة هدي المصطفى ﷺ.

* * *

مبحث تمهيدي

مصادر السيرة بين القدامى والمؤلفين المعاصرين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصطلح مصادر السيرة: مفهومه والمراد بــه.

المطلب الثاني : المهتمُّــون الأوائــل بمــصادر الــسيرة.

المطلب الثاث: التأليف في مصادر السيرة عند المعاصرين.

توطئــة:

رغم تعدد كتب السيرة، وتنوع مناهج المؤلفين فيها وطرقهم، فإن المــادة العلمية التي دار حولها التأليف ترجع إلى أحداثٍ ووقائع وثيقة الــصلة بحيــاة رسول الله ﷺ، وهذه الوقائع والأحداث عاشها الصحابة ﷺ، ثم نقلوها للتابعين الذين كانوا يتشوفون لمعرفتها؛ لأنهم لم يشهدوا عصر النبوة، فبدأ جمــع مــادة السيرة النبوية مع ظهور الاهتمام بمغازي عصر المبعث، عقب وفاته ﷺ مباشرة، وتدرجت عملية الجمع خلال القرن الأول وردحاً من القرن الثاني، الذي اكتمل في آخره جمع المرويات، لينتقل علماء السيرة بعــد ذلــك إلى توثيــق تلــك الأحاديث، والتفنن في ترتيبها وتبويبها، وكلما تقدم الزمن أبــدع العلمــاء في تآليفهم، حتى وجدنا منهم من استفرغ جهده لخدمة جانبٍ واحد مــن هــذه السيرة.

وخلال العصر الراهن، وجد الباحثون المهتمون بين أيديهم تراثاً ضخماً في السيرة، لا زال قسم منه مخطوطاً، وقسم آخر ينتظر التحقيق العلمي المتخصص، وفي سياق خدمة هذا التراث وتحقيقه اتجه عدد من هؤلاء الباحثين إلى الكتابــة عن موضوع مصادر السيرة النبوية.

* * *

المطلب الأول

مصطلح مصادر السيرة: مفهومه والمراد به

يطلق لفظ "صدر" في اللغة، ويراد به أول الشيء.

قال الزمخشري: "أخذ الأمر بصدره: بأوله، والأمور بصدورها..."[١]؛ وفي الكتاب عند سيبويه:

متى يفد كسبا يكن كل كسبه ... له مطعم من صدر يوم ومأكل[٢]

وفي بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي: "أخذ الأمر بصدره: بأوله، والأمور بصدورها، وهؤلاء صدرة القوم: مقدموهم"[٣].

وفي تاج العروس: "... يقال: صدره، فتصدر: جلس في صدر المجلس، أي أعلاه... وصدور الوادي: أعاليه ومقادمه...، ومن المجاز، صدّر كتابه تصديراً: إذا جعل له صدراً، وصدْرُ الكتاب: عنوانه، وأوله.."[٤].

أما لفظ "السيرة"، فيطلق لغة على عدة معان، منها:

- الطريقة، يقال: سار الوالي في رعيته سيرة حسنة.

- الهيئة والحالة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[٥].

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، جـ ٢ ص ٩.

(٢) قال محقق الكتاب (من صدر يومه: أي في أوله)، وانظر: كتاب سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، جـ ٢ ص ٣٩٤.

(٣) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، المكتبة العلمية، بيروت، جـ ٣ ص ٣٩٢،.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، مادة (صدر)، جـ ٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٥) في مجاز القرآن لأبي عبيدة، جـ ٢ ص ١٨: "... أي خِلْقتها التي كانت عليها قبل ذلك"، وقال =

- وسار الكلام في الناس: شاع وانتشر.

- والسِّيَرُ: أخبار الأولين(٦).

ثم غلب لفظ السيرة على تاريخ بعض الأشخاص، لشهرهم أو مكانتهم.

وفي أساس البلاغة: قال خالد بن زهير(٧):

فلا تغضبن من سُنَّةٍ أنت سرتها فأول راضٍ سُنَّةً من يَسيرها

غير أن لفظ السيرة حين يطلق من غير تحديد، يراد به اصطلاحاً السيرة النبوية، وأول من اشتهر معه هذا المصطلح هو محمد بن إسحاق أبو عبد الله ت١٥٤هـ، قال ابن النديم: "وله من الكتب: ... كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي..."(٨).

والسيرة جمعها "سِيَرٌ"، قال ابن حجر: "... وأطلق ذلك على أبواب الجهاد؛ لأنها متلقاة من أحوال النبي ﷺ في غزواته"(٩).

واعتباراً لذلك، تُعَرّف السيرة بأنها: العلم الذي تدرس فيه حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام من مولده إلى وفاته، مع التعريف بأصوله، ونسبه، ونشأته، وبعثته، ومعجزاته، ودعوته، وأخلاقه، وجهاده.

=

الشريف الرضي في تلخيص البيان، ص ٢٢٣: "... لأن المراد بالسيرة هاهنا: الطريقة" والعادة، وأصل السيرة مضيُّ الإنسان في تدبير بعض الأمور على طريقةٍ حسنة أو قبيحة... ".

(٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سير)، جـ ٤ ص ٣٩٠، الزبيدي، تاج العروس مادة (سار)، جـ ٣ ص ٢٨٧.

(٧) الزمخشري، أساس البلاغة، جـ ١ ص ٤٧٣.

(٨) ابن النديم، الفهرست، جـ١، ص٩٢، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٩) ابن حجر، فتح الباري، جـ ٦ ص ٤.

أما المراد بمصادر السيرة، فإذا كان الصدر هو أول الأشياء ومقدمها وصدر الوادي هو أعلاه، أي منابعه، فإذاً؛ مصادر السيرة النبوية هي مآخذها، وهي كثيرة منها:

- ما قصه القرآن عن وقائع عصر المبعث.
- ما نقله الصحابة ﷺ، الذين عاش الرسول ﷺ بين أظهرهم.
- ما تداوله الرواة من نَظْمٍ يَعْرض لمشاهد ذلك العصر.

على أن جميع أحاديث السيرة، إنما يُرْجع فيها إلى النقل، والبحث في وقائع تاريخية ترتبط بفجر الإسلام، ولا يمكن اختراع هذه الأخبار عن طريق العقل، أو الذكاء، بل العمدة فيها هو الرواية عن شهود الواقعة، أو عن خبرِ الله تعالى، وخبرِ رسوله ﷺ[١٠].

* * *

(١٠) قال الطبري في مقدمة تاريخه الذي تعتبر السيرة أحد أقسامه: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا، أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار، التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس"، تاريخ الأمم والملوك، جـ ١ ص ١٣.

المطلب الثاني
المهتمُّون الأوائل بمصادر السيرة

كان نقل أخبار السيرة، خلال القرنين: الأول والثاني للهجرة، يعتمد على الرواية والسماع، وقد ساعد في اشتهار هذه الأخبار اهتمام أبنـــاء الـــصحابة أنفسهم بحفظها، وروايتها، كما كانوا يحفظون أنسابهم، فاستفاضـــت هـــذه الروايات وتداولها الناس[(١١)]، وكما اهتم أهل السير خلال هذين القرنين برواية الأحاديث، اعتنوا، أيضاً، بجمع آيات القرآن التي عرضـــت لوقـــائع الـــسيرة، فضمنوها كتبهم، إلى جانب مرويات سبب نزولها[(١٢)].

ورغم تداول علماء السيرة -آخر القرن الثاني- لأوائل الكتب المـــصنفة في المغازي، مثل كتب ابن شهاب، وموسى بن عقبة، ومعمر بن راشـــد، وابـــن إسحاق... إلا أن هذه الكتب لم تصرفهم عن السماع من الـــرواة، والرحلـــة لطلب الحديث، حتى مطلع القرن الثالث.

فقد أخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي عبد الله الواقدي تـــ ٢٠٧هـ، قال: "... ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلا وسألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده، وأين قتل؟ فإذا أعلمـــني مضيت إلى الموضع، فأعاينه، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظـــرت إليهـــا، ومـــا علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه"[(١٣)]، وفي خبر آخر عند الخطيب

---

(١١) انظر: البخاري، التاريخ الصغير، جـــ ١، ص ٢٧.

(١٢) كان هذا صنيع ابن إسحاق ثم حافظَ عليه ابن هشام من بعده.

(١٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـــ ٣ ص ٢١٥.

البغدادي عن هارون القروي، قال: "رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة، فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والواقعة"(١٤).

وبانتهاء القرن الثاني اكتمل جمع مرويات السيرة ومن ثَمّ اتجهت جهود المصنفين في هذا العلم -خلال القرن الثالث- إلى كتب سابقيهم، فابن سعد ت٢٣٠هـ أكثر الاقتباس من مغازي شيخه الواقدي، كما روى عن غيره. وخليفة ابن خياط ت٢٤٠هـ اعتمد في السيرة كتاب ابن إسحاق، برواية بكر ابن سليمان، والبلاذري ت٢٧٩هـ جمع مادته من مصادر عدة، منها: مغازي الواقدي، وطبقات ابن سعد، ونسب قريش للزبيري، ومغازي عبد الرزاق برواية بكر بن الهيثم...، هذا وقد اجتمعت لعلماء السيرة في هذا القرن العشرات من مصنفات المغازي اتخذوها مصادر لهم.

وابتداء من القرن الرابع تنوع التأليف في السيرة بتنوع أغراض المؤلفين، وظهر أثر ذلك في اختيارهم للمصادر:

فابن عبد البر ت٤٦٣هـ في كتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير" ذكر قبل كلامه عن حجة الوداع أسانيده إلى مصادر السيرة التي اعتمدها، فأورد منها كتب: ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، والواقدي وأبي بكر بن أبي خيثمة(١٥)، بالإضافة إلى مصادر أخرى أحال في معرفتها على مقدمة كتاب الاستيعاب(١٦).

---

(١٤) المصدر السابق، جـ ٣ ص ٢١٦. وذكر ابن سعد، في الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٣٠٢، أن هارون الرشيد لما حج ورد على المدينة، فطلب "رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ. وقبور الشهداء"، فدله الناس على الواقدي، فخرج معه رفقة يحيى ليلاً، قال الواقدي " فلم أدع موضعاً من المواضع ولا المشاهد إلا مررت بهما عليه ".

(١٥) ابن عبد البر، الدرر، ص ٢٥٩ — ٢٦٠.

(١٦) وهي مصنفات: خليفة بن خياط، والزبير أبي بكار، ومصعب الزبيري، والتاريخ الكبير =

والقاضي عياض ت٥٤٤هـ جعل آيات القرآن الكريم مــصدره الــرئيس؛ للاستدلال على خصائص الرسول ﷺ، وحقوقه على الأمة[١٧]، واعتباراً لذلك غلب عليه في كتاب "الشفا" الرجوع إلى عدد من كتب التفسير، اتخذها مصادر يحيل عليها، مثل تفسير: أبي الليث السمرقندي، وسهل ابن عبد الله التــستري، والحسين الجياني، والماوردي، وغيرهم.

وإذا انتهينا إلى كتب السيرة التي ألفها المتأخرون كابن كثير في "الفــصول في سيرة الرسول ﷺ "فإننا نجد موارد المؤلف، التي يحيل عليها، ويقتبس منــها، تشمل العديد من كتب الحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ، والتفسير، والفقه...

ولا بد عند الكلام عن اهتمام القدامى بمصادر السيرة من التنبيــه إلى مــا حوته مختلف كتب الفهارس، والمشيخات، إذ حتى العلماء الذين لم يعرف عنهم التأليف في السيرة النبوية حرصوا على سماع أمهات كتب المغازي، التي لم يصل إلينا اليوم الكثير منها، وروايتها[١٨].

* * *

=

للبخاري، والتاريخ لابن السراج، والذيل للطبري، والمولد للدولابي،... وانظر: الاســتيعاب ص ٢٤-٢٦.

(١٧) قال في مقدمة الباب الأول: "اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بــجميل ذكــر المــصطفى ﷺ، وعدِّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره، اعتمدنا منها على ما ظهر وبان فحــواه، وجمعنــا ذلك في عشرة فصول..."، الشفا، ص ٢١.

(١٨) انظر: على سبيل المثال:

الفهرست لابن خير: الباب العاشر، كتب السير، والأنساب، ونحو ذلك، ص ١٩٨-٢٠٦.

المطلب الثالث

التأليف في مصادر السيرة عند المعاصرين

ارتبط الاهتمام بالتأليف في مصادر السيرة خلال العصر الراهن بـالمقررات الدراسية، ثم بالأبحاث التي تنجز في رحاب الجامعات، ففي عدد من التآليف المعاصرة في السيرة درج الباحثون والدارسون على استهلال كتبهم وأبحاثهم بالكلام عن موضوع المصادر.

وفي "جامعة مدراس" بالهند ألقى السيد سليمان الندوي عدة محاضرات في موضوع السيرة النبوية عام ١٣٤٤هـ، عرض فيها لمصادر السيرة، وذكر منها: القرآن الكريم، وكتب الحديث، وكتب المغازي، والدلائل، والشمائل، والتاريخ، وكتب تاريخ الحرمين. وجمعت تلك المحاضرات في كتاب بعنوان "الرسالة المحمدية"(١٩).

وحين أنجز د. محمد حميد الله ت١٤٢٣هـ أطروحته التي قدمها إلى جامعة باريس عام ١٩٣٥م عن "الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة" تكلم عن مصادره للوثائق النبوية، فذكر منها: طبقات ابن سعد، وكتاب الأموال لأبي عبيد، والخراج لأبي يوسف، وسيرة النبي ﷺ...(٢٠).

ولما نشر د. حميد الله كتابه "نبي الإسلام: سيرته وأثره" -بالفرنسية- عام ١٩٥٩م، خصص مبحثا ضمن المدخل الذي كتبه، عنونه بـ"المواد والمصادر

(١٩) انظر: فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص ١٠.

(٢٠) الوثائق السياسية ص: يز.

الأولى" حيث رتب هذه المصادر كالتالي[٢١]:

١- القرآن والحديث النبوي.

٢- الشعر المعاصر للدعوة.

٣- حوليات وتواريخ الدول المجاورة للجزيرة العربية.

٤- كتب السيرة والمغازي، وذكر منها: ابن إسحاق، وموسى بن عقبـــة، والواقدي، وابن هشام، وطبقات ابن سعد.

٥- تاريخ الجاهلية، ذكر فيه كتب: ابن الكلبي، والـــبلاذري، ومـــصعب الزبيري، وابن بكار.

٦- مؤلفات ابن حبيب، والدينوري، والطبري، واليعقوبي، والمـــسعودي، وهي وإن كانت لا تتعلق بالسيرة مباشرة، إلا أنها تضمنت معطيـــات مهمـــة.

٧- وفي المرتبة الأخيرة، ذكر حميد الله مؤلفات متقدميـــه المعاصـــرين، في الشرق، والغرب، دون أن يحدد عناوينها.

وخلال الفترة التي أُلِّف فيها الكتاب السابق نفسها، كـــان د. مـــصطفى السباعي ت١٣٨٤هـ يدرِّس مادة السيرة النبوية لطلبة كلية الشريعة بدمـــشق، وعرض في مقدمات المادة لموضوع المصادر التي رتبها كالتالي[٢٢]:

١- القرآن الكريم.

---

(٢١) انظر:

M. Hamidullah, le prophète de l'Islam sa vie et son œuvre pp 15-18; 5ème ed 1409-1989, A.E.I.F, Paris.

(٢٢) السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، دار التوزيع والنـــشر الإســـلامية، القـــاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٥-٢٠.

٢- السنة النبوية الصحيحة.

٣- الشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة.

٤- كتب السيرة.

وقد طبعت محاضرات السباعي، وتداولها القراء، منذ عام ١٣٨١هـ.

ولما كان د. عمر فروخ ت١٤٠٧هـ أستاذاً زائراً للتاريخ في جامعة دمشق ما بين ١٩٥١-١٩٦٠م ثم في جامعة بيروت العربية، كان من ضمن المواد التي درسها لشعبة التاريخ مادة "تاريخ صدر الإسلام"، التي كان يقدم لها بمبحث كامل عن المصادر، وهي مرتبة عنده كالآتي[٢٣]:

١-القرآن الكريم.

٢-الحديث الشريف.

٣-كتب التفسير، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول.

٤-الأدب الجاهلي شعراً ونثراً.

٥-كتب اللغة.

٦-كتب البلدان والتاريخ.

٧-كتب الأدب مثل: عيون الأخبار، لابن قتيبة، والأغاني، لأبي الفرج، وطبقات ابن سلام...

وخلال العقود المتأخرة من هذا القرن، تداول القراء عدداً من التآليف المدرسية، التي ظهرت في رحاب الجامعة، وأشهرها:

---

(٢٣) د. فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٤-٣٠، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٣م.

- فقه السيرة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد.

وجميع هذه المؤلفات تعرضت في مقدماتها لمصادر السيرة بشكل موجز، مما جعل مؤلفيها يقفون عند بعض المصادر فقط، تبعاً لما يقتضيه المنهج الدراسي.

ويبقى كتاب د. فاروق حمادة عن "مصادر السيرة النبوية وتقويمها"(٢٤) المؤلف الوحيد - فيما نعلم - الذي أفرد لهذا الموضوع، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٠هـ، والثانية عام ١٤٠٨هـ، بالمغرب، أما طبعته الثالثة فكانت بسوريا عام ١٤٢٣هـ، والكتاب في الأصل محاضرات تمهيدية، أُلقيت على طلبة كلية اللغة العربية بجامعة القرويين بالمغرب، وقد قسم المؤلف مصادر السيرة كالتالي:

أولاً: المصادر الأصلية وتشمل:

١-القرآن الكريم.

٢- كتب الحديث.

٣- كتب الشمائل.

٤- كتب الدلائل.

٥- كتب المغازي والسير.

٦- كتب تاريخ الحرمين الشريفين.

٧- كتب التاريخ العام.

---

(٢٤) د. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار البيضاء، دار الثقافة، ط.١، ١٤٠٠هـ.

٨- كتب الأدب واللغة.

ثانياً: المصادر الفرعية، وتشمل كتب بعض المتأخرين، كالشفا، وعيون الأثـــر، وسيرة ابن كثير، وزاد المعاد.

هذا ولم أشأ أن أعرض لكتابات المستشرقين المعاصرين حول الموضـــوع؛ لأنني وجدت كلامهم بعيداً عن الموضوعية العلمية، ثم إن من شروط التأليف في سيرة المصطفى ﷺ صحة الاعتقاد، وسلامة القصد، قبل السؤال عـــن الأهليـــة العلمية.

* * *

القسم الأول

مصادر السيرة النبوية

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول : القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبويـــة.

الفصل الثاني : المصدر الثاني للـــسيرة النبويـــة: كتـــب الحديث النبوي.

الفصل الثالث : المصدر الثالث : شعر الدعوة الإسلامية.

الفصل الرابع : المــصدر الرابــع : كتـــب الـــسيرة.

الفصل الخامس : المصدر الخـــامس : كتـــب التـــاريخ.

الفصل السادس : المــــــــصادر الاستئناســــــــية.

الفصل الأول

القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبوية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: نماذج من دلالات القرآن على أحداث السيرة النبوية.

المبحث الثاني: ميزات القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الثالث: تنبيهات لدراسة السيرة النبوية من القرآن الكريم.

المبحث الرابع: كتب التفسير مصدراً للسيرة النبوية:

أ- نظرة على أهم كتب التفسير بالمأثور خلال القرون الثلاثة الأولى.

ب- مرويات السيرة عند ابن جرير الطبري ٣١٠هـ.

ج- مرويات السيرة عند ابن أبي حاتم الرازي ٣٢٧هـ.

المبحث الخامس: كتب علوم القرآن مصدراً للسيرة النبوية:

١- مرويات أسباب النزول مصدراً للسيرة النبوية.

٢- كتب فضائل القرآن مصدراً للسيرة النبوية.

٣- كتب الناسخ والمنسوخ مصدراً للسيرة النبوية.

٤- مرويات عِلْمِ المكي والمدني.

الفصل الأول

القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبوية

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز، المنـــزل على قلب رسوله الكريم محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر.

وهو كتاب هداية وعبرة في وزنه للحياة. وتدبره لحقائقها، يُقصد في قـــصص الأنبياء والرسل - فيما يُقصد فيه من معان وحقائق -: تنبيه العقول والأفكـــار إلى ما وقع في التاريخ البشري من غمط ظالم لأعظم حقائق الحياة[٢٥].

وقد واكب القرآن الكريم تطور الدعوة الإسلامية علـــى عهـــد النبـــوة والرسالة ، وعرضت آياته لكثير من أحداث السيرة في مراحلها كلها، وأشارت إلى شمائله ﷺ، وأحواله الخاصة، في ظروف الرخاء والشدة، كما نجد فيه أخبارا عن أهل بيته، وعلاقته بأصحابه ﷺ، وتعامله مع خصوم الدعوة من مـــشركين ومنافقين ويهود وغيرهم.

وفيما يلي سنشير إلى بعض جوانب إحالات القرآن الكريم على أحـــداث السيرة النبوية من خلال العناصر التالية:

١- عرض نماذج من الآيات الدالة على السيرة النبوية.

٢- ميزات القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة.

٣- تنبيهات لدارس السيرة في تعامله مع القرآن الكريم.

* * *

---

(٢٥) مناهج المؤلفين في السيرة، سعد المرصفي: ٣٨.

المبحث الأول

نماذج من دلالات القرآن على أحداث السيرة النبوية

لقد عرض القرآن الكريم لكثير من أحداث السيرة النبوية عن طريق سرد مشاهدها، أو عن طريق تعليقه عليها، وبيان موقفه منها، ولفت أنظار المسلمين زمن البعثة وبعدها إلى ما تتضمنه وقائعها: من عبر، ودروس؛ ليستفيدوا منها...

وقد تتبع عدد من المؤلفين الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، وصنفوها تصنيفاً موضوعياً، واستخرجوا منها سيرةً تكاد تكون شاملة لحياة الرسول ﷺ[٢٦].

وفيما يلي نماذج من موضوعات السيرة في القرآن الكريم:

أ- صورة المجتمع الجاهلي دينياً واقتصادياً واجتماعياً:

في القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى الحالة الدينية والاقتصادية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام.

فقد أشار القرآن إلى مظاهر الشرك وعبادة الأصنام في قوله الله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٢٧]، كما نبه إلى اعتقادهم بأن هذه الأصنام تقربهم من الله، وتشفع

---

(٢٦) من هذه المحاولات: سيرة الرسول ﷺ، وصور مقتبسة من القرآن الكريم، لمحمد عزة دروزة، وكتاب السيرة النبوية في القرآن الكريم، للدكتور عبد الصبور مرزوق، وكتاب: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ، لمحمد بكر آل عابد.

(٢٧) يونس: ١٨.

لهم عنده. كما جاء في القرآن قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾(٢٨)، وأشار القرآن إلى كثير من عقائدهم الفاسدة: مثل الذبح على النصب(٢٩)، والأكل مما لم يُذْكر اسم الله عليه(٣٠)، وتخصيص أصنامهم بجزء من حرثهم وأنعامهم(٣١).

وفي الجانب الاجتماعي أشار القرآن الكريم إلى وضعية المرأة قبل الإسلام، حيث كان العرب يستشعرون نحوها العار والهوان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾(٣٢) كما أشار إلى حالات الزواج بزوجة الأب(٣٣)، والجمع بين الأختين(٣٤)، وشيوع فاحشة الزنى(٣٥).

وفي الجانب الاقتصادي، أشار القرآن الكريم إلى اعتمادهم على التجارة لكسب الرزق، عبر رحلتي الشتاء والصيف، في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾(٣٦) كما أشار إلى انتشار الربا، وأنكر على أصحابه

(٢٨) الزمر: ٣.

(٢٩) المائدة: ٦.

(٣٠) الأنعام: ١٢١.

(٣١) الأنعام: ١٣٦.

(٣٢) النحل: ٥٨ — ٥٩.

(٣٣) النساء: ٢٢.

(٣٤) النساء: ٢٣.

(٣٥) النور: ٣٣.

(٣٦) قريش: الآيات ١ – ٤.

أشد الإنكار في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾[٣٧].

ب- نسب النبي ﷺ ونشأته ونزول الوحي عليه:

تحدث القرآن الكريم عن نسب رسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ وفي قراءة شاذة أَنْفَسِكُمْ[٣٨]، وكذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾[٣٩].

وأشار إلى حادث الفيل، الذي تزامن مع مولده ﷺ[٤٠]، وتحدث عن طفولته، ويتمه، وعنايته الله به، في قوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[٤١]، كما ذكر ببشارات الأنبياء والرسل به ﷺ[٤٢]، وأشير إلى لقائه الأول مع جبريل عليه السلام، حيث تلقى الوحي في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[٤٣]، ثم بعد ذلك أخبر عن رجوع النبي ﷺ بعد نزول الوحي عليه يرجف فؤاده، ودخل على خديجة رضي الله عنها، وهو يقول: "زملوني[٤٤]، وبعد فتور الوحي تحدث القرآن عن مرحلة

(٣٧) البقرة: ٢٧٩.

(٣٨) التوبة: ١٢٨.

(٣٩) التوبة: ٣٣ – ٣٤.

(٤٠) الفيل: الآيات ١ – ٥.

(٤١) الضحى: ٦.

(٤٢) البقرة: ١٢٧ – ١٢٩ والصف: ٦.

(٤٣) العلق: ١ – ٦.

(٤٤) المزمل: ١ - ٢.

النهوض بأعباء الدعوة، التي انطلقت بنزول سورة المدثر[٤٥]، كما أشار القرآن الكريم إلى ما كان يعالجه النبي ﷺ من شدةٍ في نزول الوحي عليه، حيث كان يُكْثر من تحريك لسانه به، رغبةً في حفظه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[٤٦].

ج- أخلاق الرسول ﷺ:

تحدث القرآن الكريم عن كثير من أخلاق الرسول ﷺ، وتوّج ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤٧]، فقد أشار إلى حلمه وعفوه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤٨]، وأشار إلى شجاعته في قوله: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٩]، وأشار إلى حيائه في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٥٠]، كما تحدث عن رحمته وشفقته في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٥١]، وفي قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥٢].

---

(٤٥) المدثر: ١ - ٥.

(٤٦) القيامة: ١٦ - ١٩.

(٤٧) القلم: ٤.

(٤٨) الأعراف: ١٩٩.

(٤٩) النساء: ٨٣.

(٥٠) الأحزاب: ٥٤.

(٥١) الأنبياء: ١٠٦.

(٥٢) التوبة: ١٢٩.

د- حديث القرآن الكريم عن المغازي النبوية:

تناول القرآن الكريم غزوات الرسول ﷺ، حيث أشار إلى كثير من تفاصيلها، وملابساتها، وذكر المسلمين بما ينبغي استخلاصه من الدروس، والعبر، والفوائد من وقائعها، وسميت بعض السور بأسماءٍ من وحي المغازي النبوية، كالأنفال، والأحزاب، والفتح.

وتناول القرآن الكريم، فيما يقارب مئتين وثمانين آية، أهمَّ غزوات الرسول ﷺ في مرحلة الحرب الدفاعية، مثل غزوات: بدر، وأحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير. وفي مرحلة الحرب الهجومية، مثل غزوات: الحديبية، وخيبر، ومؤتة، والفتح، وحنين، وتبوك.

ويكفي أن نورد نموذج غزوة بدر الكبرى، التي تناولها القرآن الكريم في سورتي آل عمران والأنفال، وعرض أحداثها بوصفٍ دقيق، نَفَذَ إلى دواخل المؤمنين والمشركين على السواء، وقدَّم لنا تفاصيل كاملةً لأحداث هذه الغزوة العظيمة، التي سماها الله: يوم الفرقان.

فقد أشار القرآن الكريم إلى إصرار المشركين على عدم التراجع، بعد علمهم بنجاة القافلة؛ لرغبتهم في الشهرة، وفي ذلك يقول: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾[٥٣].

كما أشار إلى خروج المسلمين ورغبتهم في الحصول على المغانم من القافلة، أكثر من رغبتهم في القتال، في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ

(٥٣) الأنفال: ٤٨.

دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾[٥٤]، وتحدث عن مقومات النصر، مثل: الثبات وعدم التراجع، وطاعة الرسول ﷺ، وعدم التنازع، بالإضافة إلى اليقين بما عند الله، والثقة به سبحانه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[٥٥]، كما وصف القرآن الكريم مواقع الفريقين يوم بدر[٥٦]، والحكمة من لقائهم في ذلك الموعد[٥٧]، وبداية القتال بأخذ النبي ﷺ حفنة من الحصى استقبل بها وجوه قريش[٥٨]، وشهود الملائكة القتال يوم بدر[٤] ، وتحدث عن انتصار المسلمين الذي يعتبر نعمة عظمى ينبغي أن يشكروا الله عليها[٥٩]، وتحدث عن الغنائم[٦٠]، والأسرى[٦١] في أعقاب الغزوة.

هـ- حديث القرآن عن خصوم الإسلام:

واجه الرسول ﷺ خصوما أشداء، خلال مراحل الدعوة الإسلامية، وأول

---

(٥٤) الأنفال: ٧ – ٨.

(٥٥) الأنفال: ٤٥ – ٤٧.

(٥٦) الأنفال: ١٥ – ١٦.

(٥٧) الأنفال: ٤٢ – ٤٤.

(٥٨) الأنفال: ١٢.

(٥٩) آل عمران: ١٢٣ – ١٢٦.

(٦٠) الأنفال: ٤١.

(٦١) الأنفال: ٦٧ – ٧١.

هؤلاء الخصوم هم المشركون المتعنتون، وبعد انتقاله إلى المدينة ظهـر النفـاق والمنافقون، وأهل الكتاب، ومنهم اليهود.

فقد ذكر القرآن الكريم مقالات المشركين في رسول الله ﷺ، وإعناهم، وإيذائهم لشخصه، وأصحابه، من ذلك: اجتماعهم عند الكعبة، وبعثهم لرسول الله ﷺ، وطلبهم منه أشياء على جهة التعجيز، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾(٦٢)، كما رد القرآن الكريم على أقوال أمية بن خلف(٦٣)، وأبي جهل(٦٤)، والوليد بن المغيرة(٦٥)، وأبي لهب، وأم جميل(٦٦)، وغيرهم.

أما المنافقون، فقد اتسم حديث القرآن عنهم بفضحهم، ووصف أبرز سماهم، كالكذب، والحقد، والحسد، والرغبة في الكيد للإسلام والمسلمين، وكَشَفَ أبرز مقالاهم، ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(٦٧)، وقوله كذلك: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ

(٦٢) الإسراء: ٩٠ - ٩٣.

(٦٣) الهمزة: ١ - ٩.

(٦٤) الأنعام: ١٠٨ والعلق: ٩ — ١٩.

(٦٥) الزخرف: ٣١ — ٣٢.

(٦٦) المسد: ١ — ٥.

(٦٧) الأحزاب: ١٢.

إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٦٨]، كما رد القرآن على مقالة زعيم المنافقين: عبد الله بن أُبَيّ في غزوة بني المصطلق بقوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٦٩]، كما فضح الحق سبحانه طوية المنافقين في سورة الحشر، عندما أعلنوا تضامنهم مع يهود بني النضير: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[٧٠].

ومن حديث القرآن الكريم عن اليهود: إشارته إلى حقدهم، واستحكام كره الإسلام ورسوله في قلوبهم، في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ﴾[٧١]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٧٢]، وأشار إلى مجادلتهم لرسول الله ﷺ عند صرف القبلة، بقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ

---

(٦٨) التوبة: ٦٥.

(٦٩) المنافقون: ٨.

(٧٠) الحشر: ١١.

(٧١) المائدة: ٨٢.

(٧٢) البقرة: ٨٩.

ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٧٣]، وعندما أصاب الله قريشاً يوم بدرٍ، جمع الرسول ﷺ اليهود في سوق بني قينقاع، وطلب منهم الدخول في الإسلام، فكان ردهم عنيفاً، حيث توعدوه بالهزيمة قائلين: "يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً، لا يعرفون القتال، إنك، والله، لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس"[٧٤]، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[٧٥]، كما أشار القرآن الكريم إلى محاولة اليهود الوقيعة بين المسلمين[٧٦]، وكذا محاولتهم قتل الرسول ﷺ[٧٧]، وأورد كثيراً من أسئلتهم[٧٨]، وفند عقائدهم[٧٩].

* * *

(٧٣) البقرة: ١٤٢.

(٧٤) سيرة ابن هشام: ٢/٢٠١.

(٧٥) آل عمران: ١٢.

(٧٦) آل عمران: ١٠٠- ١٠٣.

(٧٧) المائدة: ١١.

(٧٨) الأعراف: ١٨٧.

(٧٩) التوبة: ٣٠ – ٣١.

المبحث الثاني
ميزات القرآن الكريم في عرض أحداث السيرة النبوية

يتميز القرآن الكريم في عرضه لأحداث السيرة النبوية بالعديد من المميزات والخصائص، نوجز أهمها فيما يلي:

أ- الصحة:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٨٠]، فالقرآن الكريم قطعي الثبوت، ربانيٌّ المصدر، تكفل الله بحفظه، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٨١]، فإذا كانت روايات الحديث والسيرة، قابلة لتضم بين طياها خبراً غير صحيح، أو رواية مشكوكاً فيها، أو استنتاجاً غير صادق، فإن آيات القرآن الكريم لا شك فيها، ولا اضطراب، وهو وحده المرجع الأعظم، الذي تصحح به المراجع، وتُعْرض على مقياسه السير والتواريخ[٨٢]:

إن الصورة الواضحة الصادقة لشخصية الرسول الكــريم ﷺ في القــرآن الكريم، هي أصدق ما وَصَلَنا من أخبار، وهي أصح وصــفاً لحقيقــة ســيرته، وشمائله، ودلائل نبوته، وأخلاقه، وخصائصه، وهي أوثق تقرير لما كان عليه ﷺ

(٨٠) فصلت: ٤١ – ٤٢.

(٨١) الحجر: ٩.

(٨٢) السيرة النبوية في القرآن الكريم، الدكتور عبد الصبور مرزوق: ٢٨ – ٢٩.

في جميع حالاته"(٨٣).

ب- عموم لفظه وخطابه:

إن أحداث السيرة كما عرضها القرآن الكريم، تتعدى ظروف الزمان والمكان، لتقدم الدرس والعبرة إلى قيام الساعة. و لم تكن لتقوم بهذا الدور لولا أسلوبها الخاص، والمتميز بعموم اللفظ وشمول الخطاب، فرغم الهدف الواضح الذي ترمي إليه الآيات من تثبيت النبي ﷺ وتسليته بما حدث لإخوانه الأنبياء، وكذا تثبيت الصحابة وتقوية عزائمهم، فإن هناك أهدافا أخرى ترمي إليها، وهي وعظ المؤمنين ودفعهم إلى الارتباط بالله عن طريق أخذ العبرة من الأحداث، لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٨٤).

ج- النفاذ إلى شخصيات السيرة ووصف سرائرها:

لقد عرض القرآن الكريم لكثير من الأحوال النفسية لشخصيات السيرة النبوية، بدءاً برسول الله ﷺ وأصحابه، وكذلك شخصيات المنافقين، والمشركين، واليهود .

فقد أوردت الآيات جانباً من سريرة الرسول ﷺ، مما لم يطلع عليه أقرب المقربين إليه من أزواجه وأصحابه.

يقول الدكتور فاروق حمادة: "والقرآن الكريم تفرد بشيء مهم في السيرة

(٨٣) شخصية الرسول ﷺ ودعوته في القرآن والسنة: ٧.

(٨٤) يوسف: ١١١.

النبوية، دون المصادر كلها، ألا وهو تبيان حالة النبي ﷺ النفسية، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن، ولولا القرآن الكريم ما كدنا نعرف شيئا عن ذلك، وهذا أمر مهم جداً، نوازن بينه وبين مجموع سيرته الظاهرة لنتأكد من صدقه، ونزاهته، وليتم الربط الصحيح بين تصرفه الظاهر وممارسته في الحياة والدعوة، وبين طويته وسريرته الباطنية"(٨٥).

ومن ذلك ما قصه القرآن الكريم في مطلع سورة الكهف، من حزنه الشديد عليه الصلاة والسلام على المشركين، لتركهم الإيمان وتشبثهم بالكفر، في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(٨٦) ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾(٨٧) كما صور القرآن الكريم نفسية الرسول ﷺ عندما أمره الله بالزواج من زينب وخشيته من كلام الناس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾(٨٨) كما صور القرآن نفسية الصحابة الكرام في العديد من المواطن، ومنها غزوة بدر الكبرى، حيث كانت طائفة من المؤمنين لا تريد القتال، ولم تكن مستعدة له، وطائفة كانت تريد العير دون النفير، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ

(٨٥) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٢٧ – ٢٨.

(٨٦) الكهف: ٦.

(٨٧) فاطر: ٨.

(٨٨) الأحزاب: ٣٧.

بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾[٨٩]، ومن ذلك قوله تعالى في الصحابة: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[٩٠] وقد كانوا يتمنون أن يخفف الله عنهم من فترة الامتناع عن المفطرات ونواقض الصوم[٩١].

ومن ذلك كشفه سوء طوية المشركين، وفضحه لحقيقة حالهم، مبيناً أنهم لن يؤمنوا ولو تحقق لهم ما طلبوه من الرسول ﷺ على جهة التعجيز، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[٩٢] وفي سورة التوبة آيات كثيرة تفضح سلوك المنافقين، ومنها ما جاء في اعتذار الجد بن قيس عن الخروج مع الرسول ﷺ إلى الجهاد، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٩٣]، وفي كشف نفسية المنافقين واليهود يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

(٨٩) الأنفال: ٥ – ٧.

(٩٠) البقرة: ١٨٧.

(٩١) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٣٠.

(٩٢) الحجر: ١٥.

(٩٣) التوبة: ٤٩.

هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ ﴾(٩٤)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(٩٥)، وهناك آيات كثيرة في هذا المجال كلها تكشف المستور وتظهر خبايا النفوس، وما تضمره القلوب...

د- مواكبة الأحداث طيلة مراحل السيرة:

لا نكاد نجد مرحلة من مراحل السيرة النبوية إلا وقد تحدث القرآن عن أهم ما وقع فيها، وسلط عليها كثيراً من الأضواء، حيث قدم لنا فكرة واضحة عن المجتمع العربي والإنساني قبل الإسلام، وعرض علينا الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ثم تضمن وصفا للعديد من الأحداث والغزوات، وتصويراً للصراع الفكري والمادي بين الإسلام وخصومه، "وبشكل عام ففي القرآن الكريم هيكل السيرة كاملاً، وأساسياتها، وعددٌ غير قليل من التفصيلات، والأحداث الجزئية، وإن كانت خلوا من الأرقام والأعلام"(٩٦).

هـ- الوصف الدقيق للأحداث:

يمتاز العرض القرآني لأحداث السيرة باستعمال أسلوبٍ معجزٍ، يجعل القارئ يتصور الحدث ويعيش معه بوجدانه، وكأنه يقع أمامه، أو يشارك فيه، وهذا لم يتوافر لكتب الحديث والسيرة، وفي هذا الإطار يأتي وصف مواقع

---

(٩٤) المائدة: ٤٢.

(٩٥) البقرة: ١٤٦.

(٩٦) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٣١.

المسلمين والمشركين يوم بدر، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[٩٧].

فمن خلال هذا الوصف: نطلع على ساحة المعركة، ومواقع الفريقين، وموقع أبي سفيان وقافلته، في أسلوب بليغ وموجز ودقيق للغاية. وفي غزوة الأحزاب، كذلك، يصف القرآن الكريم حالة المؤمنين بعد أن فاجأهم المشركون وحلفاؤهم، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[٩٨]، فهذا الوصف الرائع لهذا المشهد، لا يمكن أن نجده في غير القرآن، الذي نفذ إلى نبضات قلوب المؤمنين، وتقاسيم وجوههم، وخلجات أفئدتهم، بعد أن أحاط بهم الأعداء من كل مكان...، ومن هذا التصوير الدقيق كذلك ما أخبر به القرآن الكريم عن أحوال عدد من فقراء المسلمين، الذين لم يجدوا ما يتجهزون به لغزوة تبوك، حيث قال الحق سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾[٩٩].

و- تفصيل الأحداث والإلمام بالواقعة من جميع الجوانب:

يتميز القرآن الكريم في عرضه لبعض أحداث السيرة النبوية بالتفصيل، وإيراد الجزئيات، والإشارات التي لا نجدها في مصدر آخر، كما في قصة

---

(٩٧) الأنفال: ٤٢.

(٩٨) الأحزاب: ١٠ – ١١.

(٩٩) التوبة: ٩٢.

زواجه ﷺ بزينب رضي الله عنها(١٠٠)، وكما ورد في تسجيله لوقائع غزوة بدر الكبرى، بذكر أسبابها، وخروج المسلمين وما يختلج في صدورهم، والتلميح إلى مقومات النصر، ومواقع الفريقين، وشهود الملائكة القتال، والحديث عن الغنائم والأسرى بعد أن تحقق النصر(١٠١)، والشيء نفسه يقال عن عرض القرآن الكريم لغزوة الأحزاب، حيث سجل أحداثها على نحو بالغ الدقة، والإبداع، في سورة الأحزاب(١٠٢).

ز- الإيجاز لحكمة أرادها الله سبحانه:

لعل السمة الغالبة على طريقة القرآن في عرض أحداث السيرة النبوية هي الإيجاز الشديد، والاكتفاء من عرض الواقعة بالقدر الذي يحقق العبرة والعظة.

هكذا جاء حديث القرآن عن معجزة الإسراء في آية واحدة، في مفتتح سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١٠٣) ومن ذلك ما وقع للرسول ﷺ مع أزواجه، مما ذكر القرآن الكريم في سورة التحريم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٠٤) فالقرآن هنا يشير إلى الواقعة، ويؤكد حدوثها، ولا يهتم بتفاصيلها؛ اكتفاء بتقرير الحكم

---

(١٠٠) الأحزاب: ٣٦ – ٣٨.

(١٠١) راجع سورة الأنفال: ١، ٧، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٦٧، ٧١ وسورة آل عمران ١٢٣-١٢٦.

(١٠٢) السيرة النبوية في القرآن الكريم: ٩.

(١٠٣) الإسراء: ١.

(١٠٤) التحريم: ١.

الشرعي، الذي يعتبر أهم من كل التفاصيل؛ لأنه الغاية والهدف من سرد الواقعة.

ح- التركيز على مشاهد الاعتبار من أحداث السيرة:

بالإضافة إلى استعمال أسلوب الإيجاز في عرض أحداث السيرة النبوية، نجد القرآن الكريم يتميز ببيان الحكم، والدروس، ومواطن العبرة من الأحداث، ومن ذلك ما ساقه في أعقاب غزوة أحد من تذكير بانتصار يوم بدر، ليكون داعياً لهم إلى امتثال أوامر الرسول ﷺ، والثبات عند القتال، مع عدم الانشغال بالهزيمة؛ لأن الحرب سجال، وفي ذلك يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١٠٥). وقوله كذلك بنفس المناسبة: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٠٦)، وما ذكره من دروس عند سرده لحادثة الإفك: حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ

(١٠٥) آل عمران: ١٢٣.

(١٠٦) آل عمران: ١٥٢.

أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[١٠٧] فالقرآن الكريم لم يهتم بتفاصيل الحدث، لكنه ركز على الدروس المهمة، التي تفيد الأمة في حاضرها ومستقبلها، وفي هذا السياق يقول سيد قطب رحمه الله: "ليس غرض القرآن الكريم سرد الأحداث بتفاصيلها وجزئياتها، وإنما ذكر العبرة والفائدة التي تخدم الهدف الأساس من نزول القرآن، وهو دلالة الناس على خالقهم، وجعلهم يرتبطون به"[١٠٨].

ط- التنبيه إلى عناية الله تعالى برسوله الكريم:

تُظهر الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، العناية الإلهية بالرسول ﷺ، فالله تعالى يسدد رسوله، ويحوطه بعنايته، وينير طريقه، ويثبت فؤاده، ويصوب اجتهاداته، ويحفظه من أعدائه، كما ركّز القرآن على كثير من خصائصه، مثل كونه بشراً[١٠٩]، وعموم رسالته[١١٠]، وختمه للنبوة[١١١]، كما ذكر جملة كبيرة من شمائله، وهذا كذلك من خصائص القرآن الكريم في نقل أحداث السيرة النبوية.

* * *

(١٠٧) النور: ١١-١٩.

(١٠٨) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/٥٥.

(١٠٩) يونس: ٢.

(١١٠) الأنعام: ٢٠ – الأنبياء ١٠٧.

(١١١) الأحزاب: ٤٠.

المبحث الثالث

تنبيهات لدراسة السيرة النبوية من القرآن الكريم

على كل من يتصدى لدراسة السيرة النبوية حتى يستفيد من الآيات القرآنية المتعلقة بحياة رسول الله ﷺ أن يضع نصب عينيه الملاحظات التالية:

أ - القرآن الكريم هو المصدر الأول في دراسة السيرة النبوية؛ لأنه الكتاب المتواتر، الثابت عن طريق القطع واليقين، ولا يتطرق إليه الشك والارتياب، فهو بذلك أوثق المصادر وأولاها بالقبول(١١٢)، فيجب تقديمه على كل المصادر الأخرى، وكل رواية أو استنتاج يعارض ما جاء به القرآن ينبغي الاستغناء عنه ووضعه جانبا.

ب- القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ أو سيرة، رغم توفره على بيان قدر كبير من وقائع السيرة والتاريخ، واستيعابه لكثير من مضامينها، فهو كتاب هداية وإرشاد إلى الحق.

فالقرآن لم يقصد استقصاء أحداث السيرة، أو كتابة التاريخ المجرد، بل كان غرضه لفت أنظار الناس إلى مكامن العبرة من الأحداث والوقائع، من أجل الاستفادة منها.

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: "ينبغي أن لا نتوقع ورود تفاصيل عن الأحداث التاريخية في القرآن الكريم، لأنه ليس كتابا في التاريخ، بل هو دستور

(١١٢) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، محمد أبو شهبة: ١٣.

للحياة، ثم إن هناك صعوبة في معرفة أسباب ووقت نزول كثير من الآيات، إما لعدم ورود روايات في ذلك، أو لتضارب الروايات الواردة، مما يحتاج إلى تحقيق؛ لتمييز الروايات الصحيحة أولاً، ثم إزالة التعارض، إن وجد بعد ذلك"(١١٣).

وعليه لا ينبغي أن نشكك في واقعة من وقائع السيرة، إذا لم ترد في القرآن الكريم؛ لأنه لم يقصد إلى التأريخ لحياة الرسول ﷺ أولاً بأول مع التفاصيل، كما قدمنا. يقول الدكتور عماد الدين خليل: "وهذا يقودنا إلى موقف بعض المستشرقين من القرآن كمصدر أساسي من مصادر السيرة، ذلك أن اعتماد القرآن في هذا المجال يمكن أن يعتبر سلاحا ذا حدين، اعتمد جانبه الإيجابي مؤرخون، كجواد علي، وصالح أحمد العلي، ومحمد عزة دروزة، واعتمد جانبه السلبي مستشرقون، كـ"وات، وشبرنجر، وولفنستون"، وغيرهم، وذلك بنفي الكثير من أحداث السيرة ما دامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد ﷺ..."(١١٤).

ج- بين العلماء أن أهم ما ينبغي الرجوع إليه لتفسير القرآن الكريم هو القرآن نفسه، لأنه يفصل ما أجمل، ويقيد ما أطلق، ويبين ما أبهم، ويؤكد الحكم، وهذا يسري كذلك على الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية.

وبعد ذلك لا بد لمن يريد اعتماد الآيات القرآنية مصدراً للسيرة النبوية، من الرجوع إلى كتب التفسير الموثقة، وخاصة كتب التفسير بالمأثور، مثل تفاسير: الطبري، وابن كثير(١١٥)، والصنعاني، وابن أبي حاتم. فكتاب الطبري حافل

(١١٣) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري: ٤٨.

(١١٤) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل: ١٨.

(١١٥) السيرة النبوية الصحيحة: ٤٩.

بالموضوعات في السيرة، خاصة قسم المبعث، وأبواب التفسير في كتب الحديث، ولاسيما كتب الصحاح؛ لأنها خصت التفسير بجانب مهم من اهتمامها، وكذا الاطلاع على كتب أسباب النزول، وكتب الناسخ والمنسوخ، وغيرها من كتب علوم القرآن التي تعيننا على فهم الآيات القرآنية، المتعلقة بالسيرة على وجهها الصحيح[١١٦].

* * *

---

(١١٦) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٣٣.

المبحث الرابع
كتب التفسير مصدراً للسيرة النبوية

تُقَدِّم كتب التفسير خدمة جليلة للسيرة النبوية، بما تلقيه من أضواء على الآيات القرآنية، المتعلقة بحياة الرسول ﷺ، مما يجلي سياقاتها، ويشرح ملابساتها العامة والخاصة لدى الدارسين، كما تقوم بتوثيق كثير من الروايات الثمينة، وتمكننا من تكميل الناقص منها في كتب الحديث والسيرة والتاريخ.

وتشتمل كتب التفسير بالمأثور على كثير من مرويات السيرة النبوية عن الصحابة والتابعين، يقل فيها المجاهيل، عكس كتب السيرة(١١٧)، وفي ذلك تأكيد على أهميتها البالغة لكل من يتصدى لدراسة حياة الرسول ﷺ.

١- نظرة على أهم كتب التفسير بالمأثور خلال القرون الثلاثة الأولى:

ظهرت أولى كتب التفسير مع طبقة كبار التابعين، فذكر الطبري ضمن جامع البيان باب (ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير) أن مجاهد بن جبر ت١٠٤هـ كتب تفسيراً للقرآن رواية عن شيخه ابن عباس(١١٨)، كما أورد ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ضمن ترجمة عطاء بن

(١١٧) السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، الدكتور عصام الحميدان: ندوة العناية بالسنة والسيرة: ص ٢٣.

(١١٨) يمكن الوقوف على أمثلة من أحاديث السيرة في: تفسير مجاهد، راجع طبعة دار الفكر الإسلامي الحديث بالقاهرة ١٤١٠هـ - الآيات ١٥٨-١٩٤، ج ١ ص ٨٠ - ٩٢ - ٩٨.

دينار الهذلي أن التابعي سعيد بن جبير كتب تفسيراً لعبد الملك بن مروان الأموي ت٨٦هـ؛ كما ألف كبار التابعين "تفاسير للقرآن" ألفوا أيضاً أجزاء في التفسير.

ومن أجزاء التفسير المبكرة جزء عطاء الخرساني ١٣٥هـ[(١١٩)]، وزيد بن أسلم العدوي ١٣٦هـ، وممن ألف تفاسير: مقاتل بن سليمان ١٥٠هـ[(١٢٠)]، وشعبة بن الحجاج ١٥٩هـ، وسفيان الثوري ١٦١هـ[(١٢١)]، ونافع بن أبي نعيم القارئ ١٦٩هـ[(١٢٢)]، ومسلم بن خالد الزنجي ١٧٩هـ[(١٢٣)]، ويحيى بن يمان ١٨٨هـ[(١٢٤)]، ووكيع بن الجراح ١٩٨هـ، وعبد الله بن وهب المصري المالكي ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة ١٩٨هـ[(١٢٥)].

ثم جاء في القرن الثالث: الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ[(١٢٦)]، وآدم بن أبي إياس ٢٢٢هـ، وسعيد بن منصور الخرساني ٢٢٧هـ، وإسحاق بن راهويه ٢٣٨هـ، وعبد بن حميد الكشي ٢٤٩هـ، وبقي بن مخلد

---

(١١٩) جزء في تفسير عطاء الخرساني، تحقيق ودراسة حكمت بشير ياسين، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٨هـ.

(١٢٠) طبعة دار الحديث بالقاهرة.

(١٢١) طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

(١٢٢) جزء في تفسير نافع بن أبي نعيم القارئ، تحقيق ودراسة حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

(١٢٣) جزء في تفسير مسلم بن خالد الزنجي، بتحقيق حكمت بشير ياسين...

(١٢٤) جزء في تفسير يحيى بن يمان الزنجي، بتحقيق حكمت بشير ياسين...

(١٢٥) حققه الدكتور مصطفى مسلم، وأخرجه في أربعة أجزاء.

(١٢٦) حقق مخلف بنية العرف، قطعة منه، بهامش تفسير ابن حاتم، تشتمل على تفسير سورتي آل عمران والنساء. طبعة دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ.

القرطبي الأندلسي ٢٧٦هـ.

وعلى رأس القرن الثالث جاء إمام المفسرين محمد بن جعفر الطبري ٣١٠هـ، ومحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ٣١٨هـ[١٢٧]، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ٣٢٧هـ، وتفاسير هؤلاء الثلاثة استفادت من التفاسير السابقة، وتعج بكثير من مرويات السيرة النبوية.

ولمعرفة قيمة التفاسير المبكرة للقرآن الكريم في كتابة السيرة النبوية، نشير إلى أن مصنفيها تتلمذوا مباشرة على كبار مدوني السيرة النبوية، فعبد الرازق بن همام الصنعاني ٢١١هـ، كان من كبار تلامذة معمر بن راشد ١٥٣هـ، وكان معمر قد روى المغازي عن الزهري ١٢٤هـ، فسمعها منه الصنعاني باليمن، وضَمَّن قسما وافراً منها في تفسيره، ومن المعلوم أن مغازي معمر بن راشد وصلت إلى ابن سعد ٢٣٠هـ، عن طريق الواقدي فأخرج أحاديثها ضمن القسم الأول من كتاب الطبقات الكبرى[١٢٨].

وفيما يلي سوف نلقي نظرة على مرويات السيرة في تفسيرين مهمين: أولهما: تفسير ابن جرير الطبري، وثانيهما: تفسير ابن أبي حاتم الرازي؛ لنلمس عن قربٍ مدى غناهما بمرويات السيرة النبوية.

---

(١٢٧) الموجود من الأصول المخطوطة لهذا التفسير ينتهي إلى آخر سورة العنكبوت، وقد عمدت جامعة أم القرى إلى تقسيمه على طلبة الدراسات العليا، وطبعت منه بعض الرسائل منذ ١٤٠٨هـ، ثم طبعه أسعد محمد الطيب دون تحقيق بعد جمع القسم المفقود من بعض التفاسير المتأخرة ونشرته، مكتبة نزار الباز بالمملكة العربية السعودية.

(١٢٨) مرويات أسباب النزول مصدراً للسيرة النبوية، الدكتور عبد الرزاق هرماس: ضمن بحوث مجلة السنة النبوية، العدد ٥، السنة ٢٠٠٦م، ص ١٨٢ وما بعدها.

٢- مرويات السيرة النبوية في تفسير ابن جرير الطبري:

يقول ابن تيمية: "أما التفاسير التي بأيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة"[١٢٩] وقال السيوطي: "أجمع العلماء المعتبرون أنه لم يؤلف في التفسير مثله"[١٣٠].

وبالإضافة إلى مزايا هذا التفسير الكثيرة، فإنه ذو فائدة، وأهمية قصوى لدارس السيرة النبوية، بسبب احتفاظه بالعديد من المرويات الثمينة لأشهر المدونين الأوائل للسيرة النبوية.

فمن خلال جرد للجزءين الأولين، فقط، من هذا الكتاب، بتحقيق محمود محمد شاكر، ومراجعة وتعليق أحمد شاكر، وجدت لعروة خمس روايات[١٣١]، ولوهب بن منبه روايتين[١٣٢]، ولمحمد بن مسلم بن شهاب اثنا عشر رواية[١٣٣]، ولمعمر بن راشد اثنتان وسبعون رواية، واحدة منها: من طريق أبي سفيان

(١٢٩) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٩٢/٢.

(١٣٠) الإتقان: ١٩٠/٢.

(١٣١) الأولى والثانية من طريق هشام بن عروة ٤٣٧/١، والثالثة من طريق ابن شهاب ٢٤/١، والرابعة والخامسة من طريق سعيد الجريري ١٨٧/١-١٩٣.

(١٣٢) الأولى من طريق ابن اسعاف ٥١٨/١ والثانية من طريق عمر بن عبد الرحمن بن مهرب ٥٢٥/١.

(١٣٣) ثلاث من طريق يونس ٢٤/١-٥٤-٦٢، واثنتان من طريق عقيل بن خالد ٢٩/١-٣١، واثنتان من طريق عمارة بن غزية ٥٩/١-٦٥، وواحدة من طريق سفيان بن عيينة ٦٣/١، واثنتان من طريق معمر: ٤٩٩/٢-٤٩٩.

العمري(١٣٤)، وواحدة من طريق محمد بن ثور(١٣٥)، والباقي، أي سبعون رواية، كلها عن طريق عبد الرزاق الصنعاني(١٣٦).

ولمحمد بن إسحاق بن يسار مائة وثمان روايات: واحدة من طريق المحاربي(١٣٧)، وأخرى من طريق عبدة(١٣٨)، ومن طريق يونس بن بكير ثمانية(١٣٩)، والباقي، أي مائة وعشر روايات، كلها من طريق سلمة بن الفضل الأبرش(١٤٠)؛ فإذا كان الجزءان الأوّلان من الكتاب يتضمنان هذا العدد من

(١٣٤) تفسير الطبري ٢/٤٩٩، تحقيق شاكر.

(١٣٥) نفسه ١/٩٦.

(١٣٦) ١/١٨٧، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٦٦، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٧، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١٤، ٥٤٦، ٢/٥٣، ٧٦، ٨٩، ١٠٢، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٦١، ١٧١، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٥، ٣٢٠، ٣٢٦ مكرر، ٣٢٩، ٣٦٣، ٣٨٣، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩٩، ٥٠٤، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٥٣، ٥٦٧.

(١٣٧) نفسه: ١/٢٠٠.

(١٣٨) نفسه: ١/٢٠٠.

(١٣٩) نفسه: ١/٩٠، ٢/٢٧٧، ٣٣٤، ٣٩٨، ٤٠٠، ٥١٣، ٥١٦، ٥٥١.

(١٤٠) نفسه: ١/٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩ مكرر، ٢٥١ مكرر، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣١٢، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٣، ٤٠٩، ٤٣٣، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٧٩، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٨ مكرر، ٥٢٩، ٥٣٠ مكرر، ٥٣٢، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٧٠، ٥٧١.

٢/٧، ٤٠، ٤٥ مكرر، ٥١ مكرر، ٥٢، ٦٢ مكرر، ٦٥، ٦٦، ٧٧، ٨٦، ٩٦، ٩٨، =

الروايات فلا شك أن بقية الأجزاء تشتمل على عدد أوفر، خاصة إذا عرفنا أن مطلع سورة البقرة لا يتضمن آيات كثيرة لها علاقة مباشرة بالسيرة النبوية.

والمهم عندنا أن ابن جرير رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم، يتميز بمنهجه الرفيع، الذي شهد له به كبار العلماء، حيث يفسر الآيات مستشهداً على ما يقوله بما يرويه بسنده إلى الصحابة والتابعين، ويتحفنا بمرويات غاية في الأهمية، ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعرض لتوجيه الأقوال ويرجح بينها[١٤١]، وهذا مفيد لدارس السيرة النبوية؛ لأنه جمع في تفسيره للآيات المتعلقة بحياة الرسول، بَيْنَ استيعاب الروايات المختلفة، والفهم السليم لتدرج الدعوة الإسلامية وتاريخ الإسلام.

٣- نماذج من مرويات الطبري في السيرة النبوية:

- حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت يهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة كل ألف سنة من الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة، وإنها سبعة أيام، فأنزل الله في ذلك قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ

=

١٦١، ١٦٩، ١٧٨، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٦١، ١٧١، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٦١، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٩٩؛ ٥١٣، ٥٥١.

(١٤١) التفسير والمفسرون: ١/٢١٠.

إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ الآية[١٤٢].

– حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[١٤٣].

– حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان العمري، عن معمر عن الزهري وقتادة: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ قال: كعب بن الأشرف[١٤٤].

– حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم، قالوا: فينا، والله، وفيهم نزلت. يعني في الأنصار وفي اليهود نزلت هذه القصة يعني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهراً في الجاهلية، ونحن أهل الشرك وهم أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه يقتلكم قتل عاد وإرم، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾[١٤٥].

٤– مرويات السيرة في تفسير ابن حاتم الرازي:

يعتبر عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ)، محدثا ومفسرا

(١٤٢) تفسير الطبري: ٢/٢٧٧ – ٢٧٨.

(١٤٣) تفسير الطبري: ٢/٤٣٧.

(١٤٤) نفسه: ٢/٤٩٩.

(١٤٥) الإتقان: ٢/٣٧٣.

فقد عاصر أصحاب الصحاح والسنن، وفي مجال التفسير يعد من طبقة ابن جرير الطبري، له "تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين" الذي يعتبر من المصادر المهمة في تفسير القرآن الكريم بالمأثور، حيث احتفظ لنا فيه بالعديد من المصنفات التي أصبحت في عداد المفقود، وقد أثنى عليه جمع من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر، الذي قال في تفسيره مع تفاسير الطبري وعبد ابن حميد وابن المنذر: "هذه التفاسير الأربعة قل أن يشذ عنها شيء من التفسير المرفوع، والموقوف على الصحابة، والمقطوع على التابعين"[١٤٦].

لقد أورد ابن أبي حاتم الرازي العديد من روايات السيرة عن العديد من المدونين الأوائل، مثل: عروة، وابن شهاب الزهري، وكذا ابن إسحاق. ومن خلال الرجوع إلى القسم الذي حققه الدكتور أحمد عبد الله الزهراني من هذا الكتاب، الذي يتضمن تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة، فقط، نلاحظ أمثلة جلية للقدر الكبير من روايات السيرة، التي يحتفظ بها هذا التفسير.

فقد أورد لوهب بن منبه: ثمان روايات، أغلبها عن عبد الصمد بن معقل، والباقي عن عمرو بن دينار وعبد الرحمن بن مهرب[١٤٧].

وأورد لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري سبع روايات، بطرق مختلفة، منها: طريق محمد بن إسحاق، ومعمر بن راشد، وغيرهما[١٤٨]، وأورد لموسى بن

(١٤٦) العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٠٢.

(١٤٧) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ١/١٢٧-١٢٨-١٧٧-١٧٨-١٩٩-٢٠١-٢٢٢-٢٢٤.

(١٤٨) نفسه: ١/٢٨٢ - ٣٣١.

عقبة رواية واحدة من طريق سفيان الثوري[١٤٩]، وروى لمعمر بن راشد تسعا وأربعين رواية، كلها من طريق عبد الرزاق بن همام الصنعاني[١٥٠].

كما أورد لابن إسحاق مائة وإحدى عشرة رواية، كلها من طريق سلمة بن الفضل الأبرش[١٥١].

وهذا الكم من الروايات المستخرج من تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة كاف لإطلاعنا على كثافة ما يوجد في تفسير ابن أبي حاتم من روايات تمكننا من تكملة النقص الموجود في كتب السيرة وخاصة منها سيرة ابن إسحاق في القسم الأول منها، المسمى: المبتدأ، الذي حذفه ابن هشام، والذي ينتهي عند تفسير الآية ١٤١ من هذه السورة، يمكن إعادة جمعه وترتيبه بالاستعانة بكتب التفسير، وعلى رأسها تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

٥- نماذج من مرويات السيرة في تفسير ابن أبي حاتم:

١- حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ أبو غسان، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب؛ فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ[١٥٢].

(١٤٩) نفسه: ١/٣٠٦.

(١٥٠) نفسه: ١/٥٧٦.

(١٥١) نفسه: ١/٥٥١.

(١٥٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١/٢٨٤، تحقيق: أحمد عبد الله العماري الزهراني.

٢- حدثنا الحسن بن أبي ربيع، أنبا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن قتادة في قولـــه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قال: هذه في المنافقين.

٣- حدثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبا عبد الرزاق، أنبا معمر، قتادة في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: قال: كانوا يقولون بأنه سيأتي نبي ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[١٥٣].

٤- حدثنا محمد بن يحيى، أنبا أبو غسان، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: حدثني مولى زيد بن ثابت -يعني محمد بن أبي محمد- عن عكرمة أو سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعْنا يا محمد تهتدِ، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١٥٤].

* * *

(١٥٣) نفسه:١/٢٧٥.

(١٥٤) نفسه: ١/٤٠٥.

المبحث الخامس
كتب علوم القرآن مصدراً للسيرة النبوية

كثيرة هي علوم القرآن التي تقدم خدمة جليلة للسيرة النبوية، بما تضيف من إفادات مهمة تسهم في تفسير الآيات القرآنية، المتعلقة بحياة الرسول ﷺ.

ومن ألصقِ علوم القرآن بمباحث السيرة النبوية أربعة علوم:

- أسباب النزول.
- فضائل القرآن.
- الناسخ والمنسوخ.
- المكي والمدني.

وسنحاول الحديث بتركيز عن كل واحد منها.

١- مرويات أسباب النزول مصدراً للسيرة النبوية:

تظهر أهمية علم أسباب النـــزول بين مصادر السيرة من جهتين:

الأولى: لكونه يهتم بأحوال نزول الوحي على رسول الله ﷺ، منذ أن أكرمه الله بالنبوة والرسالة، وفي ذلك يقول الواحدي: "... ولابد من القـــول أولاً في مبادئ الوحي وكيفية نزول القرآن ابتداء على رسول الله ﷺ وتعهد جبريل إياه بالتنزيل والكشف عن تلك الأحوال والقول فيها على طريق الإجمال "(١٥٥).

(١٥٥) أسباب النزول: الواحدي: ١١.

الجهة الثانية: اعتماد المصنفين في أسباب النـزول في تخريج وتـصنيف كتبـهم على كتب المغازي والسير، لذلك قال ابن حجر عند ذكر مـصادره في مقدمة العجاب: "فأبدأ غالبا بكلام الواحدي، ثم بما استفدته من كـلام الجعبري، ثم بما التقطته من كتب غيرهما من كتـب التفـسير وكتـب المغازي..."[١٥٦].

ولّما كان علم السيرة النبوية يدرس حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاتـه مع ما تعلق بذلك من أمور نبوته، فقد كانت أحاديث أسباب النزول جزءاً من تاريخ الرسالة المحمدية؛ لذلك قال الزركشي في بيان أهميـة معرفـة مرويـات أسباب نزول القرآن: "... وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانـه مجـرى التاريخ"[١٥٧].

ثم إن مما يؤيد هذه الأخبار أهمية أنها نقلت كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ، والأحوال التي تَعْرِضُ له عند ذلك، وهـذا جانـب يتـصل بمـسألة الاستدلال على صدق النبوة؛ كما تضمنت هذه الأخبار كيفية تلقي الـصحابة رضي الله عنهم للوحي الذي يخبرهم به عليه الصلاة والسلام ممـا يـدخل في موضوع علم السيرة[١٥٨].

وأصح مرويات أسباب النزول ما أخرجه أصـحاب الجوامـع الحديثيـة كالإمام البخاري في كتاب التفسير، إذ أن الغالب على أحاديث أبـواب هـذا

---

(١٥٦) العجاب في ذكر الأسباب: ١١.

(١٥٧) الزركشي، البرهان، جـ١، ص٢٢.

(١٥٨) انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ١١.

الكتاب أنها في حكم المرفوع[١٥٩]؛ ثم إن الناظر في أخبار السيرة التي نقلت عن المتقدمين كموسى بن عقبة، وابن إسحاق لن يَخْفَ عليه احتفالهم بأحاديث أسباب النزول.

ومما استفاده المؤلفون في السيرة من أسباب النزول ما يتعلق بضبط تواريخ الأحداث والوقائع، أو الاستدلال على زمن وقوع المغازي،،،، فقد وقع عند ابن إسحاق وابن هشام أن غزوة بني المصطلق (المُريسيع) كانت في شعبان سنة ست[١٦٠]، وفي طبقات ابن سعد أنها: "في شعبان سنة خمس من مهاجره..."[١٦١].

قال ابن عبد البر: "وقد اختلف في وقت هذه الغزاة، قيل كانت قبل الخندق وقريظة وقيل كانت بعد ذلك، وهو الصواب إن شاء الله"[١٦٢].

أما دليل ترجيح قول ابن إسحاق أنها كانت سنة ست هو اقترانها بحادثة الإفك ونزول سورة النور في هذه السنة، لذلك عمد الإمام البخاري عند ذكر غزوة بني المصطلق في كتاب الجهاد إلى تضمين ترجمة الباب حديث النعمان بن راشد عن الزهري: (كان حديث الإفك في غزوة المريسيع).

وقد ألف العلماء بعد القرن الثالث مؤلفات مهمة، جمعوا فيها هذه الروايات، وزاد بعضهم على بعض، ومن أشهرها: أسباب النزول للواحدي

---

(١٥٩) انظر: ابن حجر، فتح الباري، جـ٨، ص ٧٤٣-٧٤٤.

(١٦٠) انظر: ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، جـ٣، ص٣٣٣.

(١٦١) ابن سعد: الطبقات، جـ١، ٢٨١.

(١٦٢) ابن عبد البر، الدرر، ص ١٨٩.

٤٦٨هـ، والعجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي ٩١١هـ.

٢- كتب فضائل القرآن مصدرا للسيرة النبوية:

تتضمن كتب فضائل القرآن أخباراً عن هديه ﷺ في التعامل مع كتاب الله تعالى: تعلماً وتعليماً، بالإضافة إلى ثواب تلاوته كلياً أو جزئياً، ومن المصنفات الأولى في هذا العلم:

- منافع القرآن: للإمام الشافعي ٢٠٤هـ.
- فضائل القرآن وآدابه: لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي ٢٢٤هـ.
- فضائل القرآن: لخلف بن هشام بن ثعلب البزار ٢٢٩هـ.
- فضائل القرآن: لهشام بن عمار السلمي ٢٤٥هـ.
- فضائل القرآن: لحفص بن عمر الدوري ٢٤٦هـ.
- فضائل القرآن: لأبي الفضل الرياشي البصري ٢٥٧هـ.
- فضائل القرآن: ليحيى بن زكرياء ابن مزين ٢٦٠هـ.
- فضائل القرآن: لعلي بن الحسن بن فضال: نحو ٢٩٠هـ.
- فضائل القرآن: لمحمد بن أيوب ابن الضريس الرازي ٢٩٤هـ.
- فضائل القرآن: لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة ٢٩٧هـ.
- فضائل القرآن: لأبي بكر الفريابي ٣٠١هـ.
- فضائل القرآن: لأحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ.
- ثواب القرآن: لأبي الحسن العسكري ٣٠٥هـ.
- فضائل القرآن: لابن أبي داود ٣١٠هـ.

وهناك مصنفات أخرى كثيرة[١٦٣].

وينبغي الإشارة إلى أن أصحاب المصنفات الحديثية، كانوا يعتنون بهذا العلم من خلال تخصيصه بأبواب وكتب في مؤلفاتهم، وهذا صنيع البخاري، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وغيرهم.

ودارس السيرة يستفيد من كتب فضائل القرآن تفاصيل مهمة عن جمع الوحي على عهد رسول الله ﷺ[١٦٤]، وقراء الوحي[١٦٥]، وكُتّابه، وكيف كان ﷺ يستدعي من شاء منهم، ويبين له موضع الآيات[١٦٦]، وكيف كان ﷺ يلتزم ورده اليومي[١٦٧]، وأحواله عند القراءة[١٦٨]، وعرضه على جبريل[١٦٩]، وكيف تلقى الصحابة ﷺ نزول السور والآيات[١٧٠].

٣- كتب الناسخ والمنسوخ مصدراً للسيرة النبوية:

يقول الزركشي: "والعلم به -يعني الناسخ والمنسوخ- عظيم الشأن، وقد صنف فيه جماعة كثيرون، منهم: قتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، وأبو داود السجستاني، وأبو جعفر النحاس، وهبة الله بن سلام

---

(١٦٣) راجع: مقدمة تحقيق فضائل القرآن، للإمام النسائي، للدكتور فاروق حمادة: ١١ – ٢٢.

(١٦٤) انظر: فضائل القرآن، للنسائي: ٦٧.

(١٦٥) انظر: نفسه: ٦٤.

(١٦٦) انظر: فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٣١٢/١.

(١٦٧) انظر: المصدر نفسه: ٣٥٥/١، والنسائي: ١٠١.

(١٦٨) انظر: فضائل القرآن للنسائي: ١٠٣، وأبو عبيد: ٣١٤/١.

(١٦٩) انظر: المصدر نفسه: ٦١.

(١٧٠) انظر: فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٥١/٢.

الضرير، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن الأنباري، ومكي، وغيرهم "[١٧١].

وقد تضمنت كتب الناسخ والمنسوخ طائفة من أخبار السيرة مثل أحاديث نسخ القبلة[١٧٢]، وخبر نزول تشريع الصيام، واجباً على التخيير بعد الهجرة، ونسخه بعد ذلك فأصبح واجباً على التعيين[١٧٣]، ونسخ أحكام الجهاد، والغزو، التي شرعت بعد غزوة بدر، حين تمهد الإسلام وقويت شوكته عقب غزوة الحديبية[١٧٤].

ولأن أحاديث الناسخ والمنسوخ تعرض غالباً للأحكام العملية، فقد أخرجها أصحاب السنن ضمن أبواب كتبهم، كما أخرجها المصنفون في التفسير.

وفي هذه المصادر نجد أحاديث النسخ مسندة. أما بالنسبة للكتب المجردة لعلم الناسخ والمنسوخ، فالغالب عليها حذف الأسانيد، أو تخريج الآثار مسندة إلى التابعين.

٤- مرويات علم المكي والمدني:

بمعرفة المكي والمدني، نعرف الناسخ والمنسوخ، وتدرج الدعوة الإسلامية، مما يعيننا على معرفة تاريخ التشريع، ونقف على جوانب دقيقة من السيرة النبوية على هوامش مرويات ما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، أو ما نزل حضراً وما نزل سفراً، وما نزل في مكة ونقل إلى المدينة، وغير ذلك.

---

(١٧١) البرهان في علوم القرآن: ٣٤/٢ — ٣٥.

(١٧٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، للزهري ص ١٥ — ١٦، والناسخ والمنسوخ، للنحاس: ١٦ — ١٧ والناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد ٣٠ — ٣١.

(١٧٣) الناسخ والمنسوخ، للزهري: ١٦، وأبي عبيد: ٤٨ — ٤٩، والنحاس: ٢٣.

(١٧٤) الناسخ والمنسوخ، للزهري: ٢١.

وتحديد زمن نزول الآية القرآنية مفيد جداً لدارس السيرة النبوية، فهـــو إلى جانب توضيحه للآية القرآنية، وتفسيره لها تفسيراً صحيحاً، يزيـــل في أمـــاكن كثيرة ما قد يوجد من غموض في ترتيب الآيات عنـــد تعـــددها في الواقعـــة الواحدة، ويقطع دابر الخلاف عند تضارب الروايات(١٧٥).

وقد بذل العلماء رحمهم الله جهوداً مشكورة في ترتيب السور القرآنيـــة، وترتيب الآيات داخل كل سورة، وذلك تبعاً لتـــدرج الـــدعوة الإســـلامية، وسبيلهم في ذلك الروايات الصحيحة التي وردت عن أصحاب رسول الله ﷺ، الذين شهدوا نزول الوحي(١٧٦).

وقد اهتمت بهذا الموضوع كتب التفسير بالمأثور، وكذا كتب علوم القرآن المختلفة(١٧٧).

* * *

---

(١٧٥) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٦٠.

(١٧٦) مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح: ١٧٨.

(١٧٧) انظر: التنبيه على فضل علوم القرآن، لابن حبيب تـ ٤٠٦هـ، ضمن دورية المورد، المجلد ١٦ العدد ٣، سنة ١٩٨٨م، ص ٣٠٧.

الفصل الثاني

المصدر الثاني للسيرة النبوية:
كتب الحديث النبوي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العلاقة بين السيرة النبوية والحديث النبوي.

المبحث الثاني: كتب الحديث مصدراً للسيرة النبوية:

- كتب الصحاح.
- كتب السنن.
- الموطأ.
- مسند الإمام أحمد.

المبحث الثالث: ميزة كتب الحديث في عرض أحداث السيرة.

المبحث الرابع: تنبيهات لدارس السيرة النبوية لاستثمار مرويات كتب الحديث.

الفصل الثاني

المصدر الثاني للسيرة النبوية: كتب الحديث النبوي

اعتنى المحدثون بمرويات السيرة عرضاً ودراسة وشرحاً، فتميزت بذلك عن الروايات التاريخية، وأخبار السيرة، التي لم تخضع في غالبيتها للقواعد والأحكام الصارمة لمنهج الجرح والتعديل.

وإلى جانب هذا، تمتاز مرويات السيرة في كتب الحديث بخلوها من التأثيرات المذهبية والسياسية والفكرية، التي رمي بها أهل التاريخ والسيرة، حيث تم توثيقها بشكل موضوعي وبمنهج علمي صرف.

وفيما يلي، سوف نتعرف على مرويات السيرة في كتب الحديث من خلال العناصر التالية:

- بين السيرة والحديث.
- كتب الحديث مصدراً للسيرة النبوية.
- تنبيهات لاستثمار مرويات السيرة الواردة في كتب الحديث.

* * *

المبحث الأول

العلاقة بين السيرة النبوية والحديث النبوي

من القضايا الشائكة التي لم تلق بعد حقها من عناية الدارسين، توضيح الفرق الموجود بين السيرة والحديث؟ وهل هما شيء واحد أم لا؟ وإذا كانت هناك فروق فأين تتجلى؟

ويترتب على هذه الأسئلة فرع آخر يتعلق بحجية السيرة النبوية، وهل لها قيمة السنة النبوية نفسها سواء بسواء؟ وهل تعتبر مصدراً من مصادر التشريع إلى جانب القرآن والسنة؟

من المعلوم أن الحديث في عرف المحدثين: هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة. وعلى هذا التعريف تدخل السيرة في علم الحديث، الذي يجمع كل ما له علاقة بالرسول ﷺ من حيث هو رسول من ولادته إلى وفاته.

ففي مصطلح المحدثين تعتبر السيرة جزءاً لا يتجزأ من الحديث النبوي[١٧٨]، لذلك أفردوها بكثير من الأبواب في مصنفاتهم، مثل: كتب وأبواب المغازي والسير.

يقول الدكتور محمد حميد الله: "رحم الله البخاري، الذي سمى كتابه: الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وأيامه. ففيه: أمور رسول الله ﷺ:

---

(١٧٨) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، الدكتور محمد أبو شهبة: ٢٧.

من قوله، وفعله، وتقرير أفعال أصحابه بالسكوت، وفيه كذلك: ذكر أيامه، وما حدث في عصره الشريف، لا فقط من أحوال المسلمين أو العرب، بل أيضا معلومات من البلاد المجاورة، مثل الحبشة والروم وفارس وغيرها"[(١٧٩)].

ويؤكد ابن تيمية دخول السيرة ضمن الحديث النبوي بقوله: "وقد يدخل في الأحاديث بعض أخباره قبل النبوة، وبعض سيرته قبل النبوة، مثل: تحنثه في غار حراء، ومثل: حسن سيرته... وأمثال ذلك، مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه، فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيراً، ولهذا يذكر مثل ذلك في كتب سيرته، كما يذكر فيها نسبه وأقاربه وغير ذلك، بما يعلم أحواله، وهذا أيضا قد يدخل فيما يسمى الحديث[(١٨٠)].

أما في عرف الأصوليين والفقهاء فالأمر مختلف تماما، حيث لا تدخل كل السيرة عندهم في مضمون الحديث، الذي يقصرونه على ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أي ما يسمى بالسنة ؛ لانشغالهم بالجانب التشريعي.

ومن المعلوم كذلك أن السيرة خرجت من رحم علم الحديث، شأنها شأن بقية العلوم النقلية في الإسلام، مثل التفسير، والفقه، وانفصلت عنه في وقت مبكر -ولعلها أول علم ينفصل عن علم الحديث- وكان ذلك في زمن التدوين، حيث ظهر المدونون الأوائل في كلا العلمين في الفترة نفسها، أي خلال الربع الأخير من القرن الأول، وبداية القرن الثاني الهجريين، وقد اشتهر بعض المدونين

---

(١٧٩) سيرة ابن إسحاق: تحقيق محمد حميد الله: المقدمة: ط.

(١٨٠) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٠/١٨.

الأوائل بجهودهم في تدوين الحديث والسيرة معاً، مثل عروة بن الزبير ٩٣هـ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١٢٤، ولهما كتابان في المغازي.

وفي هذه الفترة لم تتحدد بعد ملامح الكتابة في السيرة النبوية حيث اقتصر عمل المدونين على جمع ما تفرق في الصدور والصحف حول وقائع السيرة، وغالبا ما كان اهتمامهم منصبا على المغازي كليا أو جزئيا.

وما يمكن استنتاجه عن هذه المرحلة هو أن السيرة النبوية أصبح لها رجالها، وكتاباتها الخاصة، وعلى هؤلاء ومروياتهم اعتمد كبار العلماء في زمن التصنيف.

وفي زمن التصنيف تميزت الأمور، واتضحت الرؤية أكثر فأكثر، فمع تأليف الإمام مالك لكتاب الموطأ تأسس منهج المحدثين في الكتابة، ومع بروز نجم محمد بن إسحاق وتأليفه للمغازي والسير تأسس منهج أهل السير.

لقد كان المصنفون في الحديث يرتبون مروياتهم حسب أبواب الفقه، إذا تعلق الأمر بالجوامع، أو حسب أسماء الصحابة، إذا تعلق الأمر بالمسانيد، وهكذا... بينما اتخذ أهل السير منحىً آخر وهو ترتيب المرويات حسب التسلسل الزمني للأحداث، مع الاهتمام بالأنساب، وإيراد الأشعار الكثيرة، والوثائق، والقوائم، والتفاصيل الدقيقة عن كل واقعة. كما وجد من أصحاب السير من صَنَّفَ على التبويب الفقهي، مثل أبي إسحاق الفَزَاري، وشيخه الإمام الأوزاعي.

قال د. حميد الله في كلامه عن منهج ابن إسحاق:

"... ولكن هذا يتعلق بالفرق الذي بين الحديث والتاريخ، فالحديث لا يطلب فيه قصة مربوطة، بل شهادة كل شاهد على معرفة الوقعة، وأما التاريخ

فهو يُبقي على الحديث، ولكن غرضه الإخبار عن الحكاية التاريخيـــة، كقـــصة مربوطة كاملة بدون إثقال الكلام بتكرار الأسانيد، وتكرار البيانات، وليس هذا من إيجاد ابن إسحاق، فقد نسب مثل هذا إلى الزهري..."[١٨١].

وهناك فروق أخرى بينهما، أشار إليها العلماء تلميحاً، حيـــث قـــصروا الحديث على ما بعد النبوة من حياة الرسول ﷺ، بينما وسعوا مجـــال الـــسيرة، ليشمل ما قبل البعثة، ويتوغل في تاريخ النبوءات، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وعباداتهم وعاداتهم، إذ بدون ذلك لا يمكن فهم ما جاء به الرسول ﷺ، يقـــول ابن تيمية رحمه الله: "وكتب الحديث هي ما كان بعد النبوة أخص، وإن كـــان فيها أمور جرت قبل النبوة، فإن تلك لا تذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبـــوة، بل قد أجمع المسلمون أن الذي فرض على عباده الإيمان به والعمل به هو ما جاء به بعد النبوة"[١٨٢]، ويضيف قائلا: "ولهذا كان عندهم من ترك الجمعة والجماعة وتخلى في الغيران والجبال، حيث لا جمعة ولا جماعة، وزعم أنه يقتدي بالنبي ﷺ -لكونه كان متحنثا في غار حراء قبل النبوة- في ترك ما شرع له من العبادات الشرعية، التي أمر الله بها رسوله واقتدى بما كان يفعل قبل النبوة، كان مخطئـــاً؛ فإن النبي ﷺ بعد أن أكرمه الله بالنبوة لم يكن يفعل ما فعله قبـــل ذلـــك مِـــن التحنث في غار حراء، أو نحو ذلك، وقد أقام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة، وأتاها بعد الهجرة في عمرة القضية، وفي غزوة الفتح، وفي عمرة الجعرانـــة، ولم يقصد غار حراء، وكذلك أصحابه من بعده، لم يكن أحد منهم يأتي غار حراء،

(١٨١) د. حميد الله، مقدمة تحقيق كتاب المبتدأ، ص: كط.

(١٨٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١١/١٠.

ولا يتخلون عن الجمعة والجماعة في الأماكن المنقطعة، ولا عمل أحد منهم خلوة أربعينية، كما يفعله بعض المتأخرين، بل كانوا يعبدون الله بالعبادات الشرعية، التي شرعها لهم النبي ﷺ، الذي فرض الله عليهم الإيمان به واتباعه، مثل الصلوات الخمس، وغيرها من الصلوات، ومثل الصيام، والاعتكاف في المساجد، ومثل أنواع الأذكار، والأدعية، والقراءة، ومثل الجهاد"(١٨٣).

وحكم صحيح السيرة النبوية كحكم السنة إذا قصد به التشريع، فهو بذلك جزء من السنة، ويكون بالتالي دليلاً شرعياً ثابتاً، على المسلمين أن يأخذوا به في أحكامهم. وبعض العلماء اعتبروا معرفة السيرة النبوية مما يعين الفقيه على حسن الاستنباط، واستخراج الأحكام الشرعية، خاصة عندما تعوزه الأدلة الشرعية الأخرى، قال أبو حيان التوحيدي في شيخه أبي حامد أحمد بن بشر العامري: "كان أبو حامد غزير العلم غزير الحفظ فقيهاً بالسير، وكان يزعم أن السيرة بحر الفتيا، وخزانة القضاء، وعلى قدر اطلاع الفقيه عليها يكون استنباطه"(١٨٤).

وينبغي التنبيه إلى أن السيرة تجمع بين الحديث والتاريخ كذلك، وهذا واضح بجلاء في كثير من الكتب المبكرة، مثل كتاب ابن إسحاق، الذي يضم كثيراً من القصص، وأخبار أهل الكتاب، وأحداث الجاهلية، لهذا اعتبر القنوجي، ت١٣٠٧هـ، السيرة من فروع التواريخ، لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث والآثار ذكرها ضمن فروع الحديث"(١٨٥).

---

(١٨٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١١/١٨.

(١٨٤) طبقات الشافعية: ١٣/٣.

(١٨٥) أبجد العلوم: ٣٢٢/١.

ونظرا لاشتمال السيرة على كثير من مرويات التاريخ، تساهل العلماء في التعامل معها، كما لم يتساهلوا مع غيرها، لكنهم كانوا صارمين إذا تعلق الأمر بالأحكام الشرعية. وبسبب تساهلهم هذا امتلأت كتب السيرة بالضعيف، والواهي، والموضوع من الروايات.

والخلاصة أن الحديث مرادف للسيرة من حيث العموم والشمول، ويختلفان في المنهج، وطريقة التصنيف، ويعتبر جانبٌ كبير من السيرة النبوية مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، تؤخذ منه الأحكام أسوةً بالسنة.

* * *

المبحث الثاني
كتب الحديث مصدراً للسيرة النبوية

اعتنت كتب الحديث النبوي بجمع أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، واشتمل بعضها على كثير من مرويات سيرته ﷺ في شكل كتب وأبواب، أو روايات مبثوثة في ثنايا بعض الأبواب.

وهذه الكتب احتوت على مادة غزيرة من السيرة النبوية معتمدةً، فقد نقل إلينا علماء الحديث في أزمنة التدوين كل ما يتصل بحياته ﷺ الخاصة والعامة وسائر أحواله، لأنها تؤلف جزءاً من هذا الدين، ثم خصوها بمطالب مهمة ضمن كتبهم.

ونستطيع أن نستخرج من هذه المادة وصفا دقيقاً لهدي رسول الله ﷺ في شؤونه كلها، وبذلك يكون دارس السيرة مجبراً على الرجوع لكتب الحديث النبوي؛ إذ بدونها لا يستطيع أن يُبْحِر في لجج السيرة النبوية، لأنها العمدة في الرواية والمنهج في الدراية.

وكتب الحديث كثيرة ومتنوعة، فمنها: الجوامع، والمسانيد، والموطآت، والمستدركات، والمستخرجات، والأجزاء، وكتب السنن، والمعاجم. وسنحاول الحديث عن بعضها فيما يلي:

١- كتب الصحاح:

وأولها وأجدرها بالتقديم صحيح البخاري، الذي يعتبر عند العلماء أصح

كتاب بعد كتاب الله، وبه أصبح البخاري أمير المؤمنين في الحديث، قال فيه الحافظ ابن كثير: "كتاب البخاري الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام"[١٨٦].

وقد ذكر في كتابه هذا جملة كبيرة من وقائع السيرة، وأورد فيه مرويات ثمينة، تتعلق بحياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، ومن الكتب المهمة المتعلقة بالسيرة في مصنفه نذكر: كتاب بدء الوحي، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب الجهاد والسير، وكتاب المناقب، وكتاب مناقب الأنصار، وكتاب المغازي. وداخل هذه الكتب أورد العشرات من الأبواب، ذات الصلة الوثيقة بمجال السيرة النبوية.

وإلى جانب صحة الرواية تشهد له تراجم أبوابه بالبراعة في استنباط الأحكام الشرعية، وبأنه إمام في الفقه إلى جانب إمامته في الحديث. وهذه بعض عناوين أبواب كتاب المغازي التي تدل على ذلك:

- باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية[١٨٧].
- باب فضائل النفقة في سبيل الله[١٨٨].
- باب غزو النساء وقتالهنَّ مع الرجال[١٨٩].
- باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى الإمام[١٩٠].

---

(١٨٦) البداية والنهاية: ابن كثير: ١١/٢٤.

(١٨٧) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، الباب ٢٧.

(١٨٨) المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير، الباب ٣٧.

(١٨٩) المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير، الباب ٦٥.

(١٩٠) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، الباب ١٦٤.

- باب كيف يعرض الإسلام على الصبي؟[١٩١].

وما في صحيح البخاري من مرويات السيرة النبوية الصحيحة، تكفي المسلم، وتفي بحاجته من الاطلاع على حياة الرسول ﷺ بغرض التأسي والاقتداء به في شؤونه كلها.

أما صحيح مسلم فهو كذلك من المصادر الأساسية للسيرة النبوية لما يتميز به صاحبه من تمحيص للروايات، وموازنة بينها، وتحرير ألفاظها دون تقطيعها، كما فعل البخاري، مقتصراً على الصحيح المجرد عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

فقد أورد في كتاب الإيمان: روايات عن بدء الوحي، ومعجزة الإسراء والمعراج، وخصال المنافقين، وبوَّب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وشفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه[١٩٢]، وفي باب الطهارة بوب لوضوء النبي ﷺ[١٩٣]، وفي كتاب المساجد ومواضع الصلاة بوب لابتناء مسجد النبي ﷺ، وتحويل القبلة من القدس إلى الكعبة[١٩٤]، ثم أورد بعد ذلك العديد من كتب السيرة مثل الجهاد والسير[١٩٥]، وفيه أشار إلى مرويات المغازي وآداب الحرب في الإسلام، وفي كتاب الآداب أحاديث عن هديه ﷺ في التسمية والاستئذان وغيرها[١٩٦] وفي كتاب الفضائل إشارات إلى ما فضل به ﷺ على

(١٩١) المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير، الباب ١٧٨.
(١٩٢) صحيح مسلم: ٧٨/١ – ١٣٩ – ١٤٥ – ١٩٢ – ١٩٤.
(١٩٣) صحيح مسلم: ٢١٠/١.
(١٩٤) صحيح مسلم: ٣٧٣/٧ – ٣٧٤.
(١٩٥) صحيح مسلم: ١٣٥٦/٣.
(١٩٦) صحيح مسلم: ١٦٨٢/٣.

غيره من الأنبياء والخلائق، وكثير من شمائلـه ﷺ[١٩٧]، وفي كتـاب فـضائل الصحابة إلماح إلى ما ميزهم الله به من فضل ومرتبة بدءاً بأبي بكـر، فعمـر، فعثمان، فعلي، فسعد، فبقية الصحابة ﷺ.

٢- كتب السنن:

لم يشترط أصحاب السنن تجريد الصحيح فيها، بل أخرجـوا الـصحيح والحسن وبعض الضعيف، وبينوا ضعفه، وتعتبر إلى جانب الصحيحين مـن أصـول الإسلام، حيث لم يَفُتْها من الصحيح إلا اليسير. وأولها: سـنن أبي داود السجـستاني ٢٧٥هـ، وقد صنفها على أبواب الفقه مقتصراً على السنن والأحكام، ولم يعرِّج على ذكر المواعظ، والقصص، والأخبار، والزهد، كما فعل غيره.

وقد بوب في كتاب الجهاد لما جاء في الهجرة[١٩٨]، وفي النساء يغزون[١٩٩]، وفي الدعاء على المشركين[٢٠٠]، وبعث العيون[٢٠١]، وعلى ما يقاتل المـشركون؟[٢٠٢]، وفي كتاب الخراج والإمارة والفيء بوب لصفايا رسول الله ﷺ[٢٠٣]، وفي كتاب الأدب كثير من الروايات في هدي النبي ﷺ في التعامل مع الناس[٢٠٤].

---

(١٩٧) نفسه: ١٧٨٢/٤.

(١٩٨) سنن أبي داود: ٣/٣.

(١٩٩) نفسه: ١٨/٣.

(٢٠٠) نفسه: ٣٧/٣.

(٢٠١) نفسه: ٣٨/٣.

(٢٠٢) نفسه: ٤٤/٣.

(٢٠٣) نفسه: ١٣٩/٣.

(٢٠٤) نفسه: ٢٤٧/٤ وما بعدها.

وثاني كتب السنن في الرتبة هو جامع الترمذي ٢٧٩هـ، وهو أكثر كتب السنن ذكراً للسيرة النبوية[٢٠٥]، ففي أبواب فضائل الجهاد بوب لما جاء فيمن جهز غازيا[٢٠٦]، وما جاء في غزوات الرسول ﷺ[٢٠٧]، وما جاء في الألوية والشعارات[٢٠٨]، وما جاء في دفن الشهداء[٢٠٩]. وفي أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ عقد باباً لما جاء في نعل رسول الله ﷺ[٢١٠]. وفي أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ عقد باباً بعنوان: ما كان يأكل النبي ﷺ[٢١١]، وما جاء في حب النبي ﷺ الحلواء[٢١٢]، وما جاء في أي اللحم كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟[٢١٣]. وفي أبواب الرؤيا، بوب لما جاء في رؤيا النبي ﷺ؟[٢١٤]. وفي أبواب فضائل القرآن بوب لما جاء في كيف كانت قراءة النبي ﷺ[٢١٥]. وفي أبواب المناقب بوب لكثير من مباحث السيرة، مثل فضائله ﷺ[٢١٦]، وميلاده[٢١٧]، وبدء

(٢٠٥) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: الدكتور فاروق حمادة: ٣٦.
(٢٠٦) تحفة الأحوذي ٣/٣.
(٢٠٧) تحفة الأحوذي: ٣/٢٢.
(٢٠٨) نفسه: ٣/٢٣.
(٢٠٩) تحفة الأحوذي: ٣/٣٦.
(٢١٠) نفسه: ٣/٦٦.
(٢١١) نفسه: ٣/٥١.
(٢١٢) نفسه: ٣/٩٢.
(٢١٣) نفسه: ٣/٩٥.
(٢١٤) نفسه: ٣/٢٥١.
(٢١٥) نفسه: ٤/٥٤.
(٢١٦) نفسه: ٤/٢٩٢.
(٢١٧) نفسه: ٤/٢٩٥.

نبوته(٢١٨)، ومبعثه ﷺ، وابن كَم كان حين بعث؟(٢١٩)، وما خصه الله به(٢٢٠)، وكيف كان الوحي ينزل عليه؟(٢٢١)، وما جاء في صفته ﷺ(٢٢٢)، وما جـاء في خاتم النبوة(٢٢٣)، ومناقب الصحابة رضوان الله عليهم(٢٢٤)، وأهل البيـت(٢٢٥)، وما جاء في فضل المدينة(٢٢٦)، وما جاء في فضل مكة(٢٢٧)، وما جاء في فـضل العرب(٢٢٨)، وغير ذلك.

وفي سنن النسائي (٣٠٣هـ): بعض من أبواب السيرة النبوية، ويمتاز بأنه أقل كتب السنن حديثاً ضعيفاً، وهو في رتبة سنن أبي داود أو قريب منها، وقد أورد مروياته في السيرة في كتب: القبلة، والجهاد، وعشرة النساء، وغيرها.

أما سنن ابن ماجة القزويني ٢٧٣هـ الذي قدمه بعض العلماء على الموطـأ؛ لما فيه من الزوائد على الكتب الخمسة، فلا يخلو من روايات تهم كاتب السيرة، ففي المقدمة أورد العديد من الأحاديث في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ(٢٢٩)،

(٢١٨) نفسه: ٤/٢٩٥.
(٢١٩) نفسه: ٤/٢٩٨.
(٢٢٠) نفسه: ٤/٢٩٨.
(٢٢١) نفسه: ٤/٣٠١.
(٢٢٢) نفسه: ٤/٣٠١.
(٢٢٣) نفسه: ٤/٣٠٥.
(٢٢٤) نفسه: ٤/٣٠٨ وما بعدها.
(٢٢٥) نفسه: ٤/٣٢٢.
(٢٢٦) نفسه: ٤/٣٥٢.
(٢٢٧) نفسه: ٤/٣٦٢.
(٢٢٨) نفسه: ٤/٣٦٤.
(٢٢٩) سنن ابن ماجه المقدمة: ١/٣٦ وما بعدها.

وفي كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بوب لما جاء في صلاة رســـول الله ﷺ في مرضه(٢٣٠)، وما جاء في صلاته ﷺ خلف رجل من أمته(٢٣١)، وفي كتاب الجنائز بوب لما جاء في غسل النبي ﷺ(٢٣٢)، ولما جاء في كفنـــه(٢٣٣)، ومـــا جـــاء في مرضه(٢٣٤)، وما جاء في ذكر وفاته ﷺ(٢٣٥)، وفي كتاب الصيام بوب لما جـــاء في صيامه ﷺ(٢٣٦)، وفي كتاب الجهاد بوب للرايات والألوية(٢٣٧)، وفي كتـــاب الطب بوب لما عَوَّذَ به النبي ﷺ وما عُوِّذَ به(٢٣٨)، وفي كتاب اللباس بوب للباس النبي ﷺ(٢٣٩)، وفي كتاب الزهد بوب لمعيشة وضِجَاع آل محمد ﷺ(٢٤٠).

٣- الموطأ:

يعتبر موطأ الإمام مالك، ١٧٩هـ، من أقدم كتب الحديث والفقـــه في الإســـلام، يقول فيه الشافعي: "ما على الأرض كتاب بعـــد كتـــاب الله أصـــح مـــن كتـــاب مالك(٢٤١)، وقد تلقاه الناس بالقبول، واعتنوا به روايةً، وشرحاً، ودراسة.

---

(٢٣٠) نفسه: ٣٨٩/١.

(٢٣١) نفسه: ٣٩٢/١.

(٢٣٢) نفسه: ٤٧١/١.

(٢٣٣) نفسه: ٤٧٢/١.

(٢٣٤) نفسه: ٥١٧/١.

(٢٣٥) نفسه: ٥٢٠/١.

(٢٣٦) نفسه: ٥٤٥/١.

(٢٣٧) نفسه: ٩٤١/٢.

(٢٣٨) نفسه: ١١٦٣/٢.

(٢٣٩) نفسه: ١١٧٦/٢.

(٢٤٠) نفسه: ١٣٨٨/٢-١٣٩٠.

(٢٤١) الموطأ للإمام مالك: المقدمة: ص: ج، والموطآت للإمام مالك، نذير حمدان: ١٠.

ويزخر الموطأ بكثير من مرويات السيرة النبوية قبل البعثة وبعدها، تشتمل على مغازيه، وخصائصه، وأوضاعه، وأسمائه، وفضائل أصحابه ﷺ.

ففي كتاب الجهاد بوب للنهي عن قتال النساء والولدان في الغزو(٢٤٢)، وما يجوز للمسلمين أكله قبل الخمس(٢٤٣)، وباب الدفن في قبر واحد ضرورة، وإنفاذ أبي بكر رضي الله عنه عِدَةَ رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ(٢٤٤)، وفي كتاب صفة النبي ﷺ بوب لما جاء في صفته ﷺ(٢٤٥)، وفي كتاب الجامع ذكر كثيراً من فضائل المدينة(٢٤٦).

٤- مسند الإمام أحمد:

يعتبر كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ٢٤١هـ، من أغزر كتب الحديث بمرويات السيرة النبوية، وقد روى فيه ما اشتهر. ولم يقصد الصحيح ولا السقيم(٢٤٧).

ومما يميز المسند -بالإضافة إلى منهج المحدثين الذي اعتمده الإمام أحمد في تصنيفه- هو أنه يمكننا من الوقوف على مشاركة الصحابة في أحداث السيرة النبوية، إلى جانب الرسول ﷺ.

ففي مسند أبي بكر إشارات كثيرة إلى خبر الهجرة(٢٤٨) وتفسير النبي ﷺ

(٢٤٢) الموطأ: ٢/٤٤٦.

(٢٤٣) الموطأ: ٢/٤٥١.

(٢٤٤) الموطأ: ٢/٤٧٠.

(٢٤٥) الموطأ: ٢/٨١٨.

(٢٤٦) الموطأ: ٢/٨٨٤ وما بعدها.

(٢٤٧) صيد الخاطر: ابن الجوزي: ٢٤٦.

(٢٤٨) المسند: ١/١٦٦ - ١٧١.

لكثير من الآيات[٢٤٩]، وخبر تحريم الطواف للعراة، وتحريم الحج للمشركين بعد فتح مكة[٢٥٠]، وميراث الرسول ﷺ[٢٥١]، والوفاة النبوية[٢٥٢]، وأدعية الرسول ﷺ[٢٥٣]، وغزوة ذات السلاسل[٢٥٤]، وزواج الرسول ﷺ بحفصة بنت عمر[٢٥٥].

وفي مسند عمر بن الخطاب إشارات إلى حج النبي ﷺ[٢٥٦]، وحديث المسح على الخفين[٢٥٧]، والصلاة[٢٥٨]، وخبر المنافقين[٢٥٩]، وخبر الحجر الأسود[٢٦٠]، وبدء نشره للإسلام[٢٦١]، والوصية بالصحابة خيراً[٢٦٢]، وغزوة تبوك[٢٦٣]،

---

(٢٤٩) المسند: ١/١٦٥.

(٢٥٠) نفسه: ١/١٦٨.

(٢٥١) نفسه: ١/١٧٠-١٧١ -١٧٢-١٧٩-١٩٦-١٩٧-١٩٨.

(٢٥٢) نفسه: ١/١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٣-١٨٨-١٨٩.

(٢٥٣) نفسه: ١/١٨٠-١٩١-١٩٩.

(٢٥٤) نفسه: ١/١٨٤.

(٢٥٥) نفسه: ١/١٩٦.

(٢٥٦) نفسه: ١/٢٠١.

(٢٥٧) نفسه: ١/٢٠٣.

(٢٥٨) نفسه: ١/٢٠٥.

(٢٥٩) نفسه: ١/٢٠٦.

(٢٦٠) نفسه: ١/٢٠٧-٢٣٩.

(٢٦١) المسند: ١/٢١١.

(٢٦٢) نفسه: ١/٢١٥.

(٢٦٣) نفسه: ١/٢١٨-٢٣٠.

وعطاء النبي ﷺ[٢٦٤]، وفتح مكة[٢٦٥]، وموافقات عمـــر[٢٦٦]، وأمـــوال بـــني النضير[٢٦٧]، وغزوة بدر[٢٦٨]، وحج النبي ﷺ[٢٦٩]، وهكذا...

ومسند الإمام أحمد موسوعة كبرى للأحاديث النبوية يحتوي علـــى مـــا يقارب ٢٧٥١٩ حديثاً مرتبة على أسماء الصحابة دون النظر إلى موضـــوعها، وقد اعتمد على أحاديث المسند كثير من المؤلفين في السيرة بعد القرن الثالـــث، ويكفي أن نعلم أن الإمام البيهقي ت٤٥٨هـــ حيث صنَّف "دلائل النبوة" جعل المسند من أهم مصادره في معرفة أحوال صاحب الشريعة ﷺ[٢٧٠].

* * *

(٢٦٤) نفسه: ١/٢٢٤-٢٢٥.

(٢٦٥) نفسه: ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢٦٦) نفسه: ١/٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤.

(٢٦٧) نفسه: ١/٢٣٧.

(٢٦٨) نفسه: ١/٢٤٠-٢٤١-٢٥٣-٢٥٢-٢٦٠.

(٢٦٩) نفسه: ١/٢٤٩-٢٥٠.

(٢٧٠) انظر: عبد الرحمن السنيدي، السيرة النبوية عند البيهقي، ص ٣٨٦.

المبحث الثالث

ميزة كتب الحديث في عرض أحداث السيرة النبوية

لمرويات السيرة التي أَوردها علماء الحديث في مصنفاتهم العديد من المزايا، نذكر منها:

١- **اعتماد الإسناد**: إذ تخرج الأحاديث بسلسلة رواتها إلى نهاية السند، ولذلك فوائد كثيرة، منها: الوقوف على أحوال الرجال، وضبط طرق الرواية عن أعلام مدوني السيرة الأوائل، فالإسناد وسيلة لتمييز الصحيح من الضعيف؛ مما يترتب عليه معرفة الأحكام الشرعية، قال أبو حاتم الرازي ٢٧٧هـ: "لم يكن في أمة من الأمم، منذ خلق الله آدم، أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة"، فقال له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له ولا يصح، فقال: "علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة؛ ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها" ثم قال: "رحم الله أبا زرعة! كان، والله، مجتهداً في حفظ آثار الرسول ﷺ"(٢٧١).

٢- **اختلاف مناهج التصنيف**: لم يؤلف أصحاب الحديث مصنفاتهم على منهج واحد، فهناك من اعتمد التبويب على أساس موضوعات الفقه، لاشتغاله بالأحكام، وعلى هذا كتب الجوامع الصحيحة، والسنن، والموطآت،

(٢٧١) شرف أصحاب الحديث: الخطيب البغدادي: ٤٢ – ٤٣.

والمستخرجات. وهناك من صنف على أسامي الصحابة، وعلى هذا أصحاب المسانيد. وهناك من ألف في الأحاديث المروية عن صحابي معين، أو تابعي، أو حول موضوع بعينه. ولكل طريقة خصائصها ومميزاتها، وكل هذه الكتب وغيرها من: مستدركات، ومشيخات، وشروح على كتب الحديث، يستفيد منها كاتب السيرة النبوية استفادة كبيرة.

٣- **ليست كل كتب الحديث على درجة واحدة**: فقد التزم الشيخان الصحة. أما من سواهما ففي كتبهم الصحيح والحسن والضعيف، ومن نعم الله علينا أن قيض للحديث، منذ وقت مبكر، في زمن الرواية نفسها، علماء جهابذة قاموا بخدمته، فنخلوه وعرَّفوا بصحيحه من سقيمه، وغثه من سمينه.

٤- **وصف الهدي النبوي**: لما كانت كتب الحديث، في غالبيتها، مهتمة بالأحكام، ولما كانت متابعة الرسول ﷺ هي سبيل الهداية والصلاح، فقد حرص حفاظ الحديث على جمع مختلف الأخبار التي صحت في عبادته، وعمله في اليوم والليلة، منذ أن بعثه الله تعالى إلى وفاته.

٥- **عدم الاستقصاء**: ويعني ذلك أننا لا نجد في كتب الحديث ما نصادفه في كتب السيرة والمغازي، من تفاصيل دقيقة، وجزئيات حول الأحداث والوقائع، عكس كتب السيرة التي تجمع مرويات كل حدث في مكانه، فتمكننا من تكوين نظرة شاملة حوله، بينما كتب الحديث التي اهتمت بتخريج المرويات حسب شروط خاصة بكل مصنف، لا تحرص على جمع المرويات في مكان واحد، مما أدى إلى تفرق الأخبار، وتقطيعها على عدة

كتب وأبواب، فلا نجد مرويات غزوة بدر، أو فتح مكة، أو حجة الوداع، كاملة في باب واحد، بل متفرقة على أبواب عدة، وأماكن متفرقة، **مما** يدفع دارس السيرة إلى جمعها من هذه المظان وترتيبها[٢٧٢].

* * *

(٢٧٢) من أمثلة ذلك ما قام به الدكتور فاروق حمادة في جمع أطراف خطبة الفتح الأعظم سنة ٨هـ، انظر: د. فاروق حمادة: خطبة الفتح الأعظم دار الثقافة البيضاء: ط ١: ١٤٠٤هـ.

المبحث الرابع
تنبيهات لدارس السيرة النبوية لاستثمار مرويات كتب الحديث

لقد خضعت مرويات الحديث النبوي لمنهج نقدي صارم من طرف علماء الجرح والتعديل، مما نتج عنه تمحيص شامل للمتون والأسانيد، وهذا لم يتوافر لمرويات السيرة النبوية في غالبيتها إلى اليوم، رغم الجهود المبذولة هنا وهناك، وعلى دارس السيرة النبوية في تعامله مع الحديث النبوي باعتباره مصدراً للسيرة النبوية أن يضع نصب عينيه ما يلي:

١- إن مرويات الحديث النبوي تُعَدُّ مصدراً للسيرة النبوية، وينبغي الجمع بينها وبين الآيات القرآنية؛ لأن الآيات تضع الإطار العام وتحدد سياق الكلام.

٢- على دارس السيرة أن يقدم مرويات كتب الحديث على مرويات كتب السيرة والمغازي والتواريخ؛ لأنها أصح، وقد خدمها العلماء عبر أزمنة مديدة، وفيها كثير مما يفي بحاجة الدارس إلى معرفة السيرة النبوية.

٣- على المؤلف في السيرة النبوية، عند دراسته لمرويات الحديث النبوي مصدراً للسيرة النبوية، أن يربط هذه المرويات بفقه السنة؛ لأن السيرة في حقيقتها تطبيق عملي لسنة الرسول ﷺ، وهذا ما يجعل دراستها مفيدة، وفاعلة في تقويم سلوك المسلم، عوض بعض الدراسات التي تريد قصر دراسة السيرة النبوية على التبرك، أو التسلية، ورواية القصص، وقد كان ابن القيم رحمه الله حكيماً في كتابه "زاد المعاد في هدي خير العباد"، عندما ربط بين الفقه

وأحداث السيرة النبوية، حيث فطن إلى أن السيرة النبوية، فوق كونها تاريخ حياة الرسول ﷺ، تجسد أحكام الإسلام، من خلال صلاته، وحجه، وصومه ﷺ، وتقدم لنا صورة واقعية واضحة عن المجتمع المسلم في تجلياته الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وفي ذلك قال أكرم ضياء العمري: "أما عن أهمية الحديث في دراسة السيرة المطهرة، فإن الأحاديث توضح العقائد، والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام النواحي العبادية، والتشريعية: من صوم، وصلاة، وحج، وزكاة، ونظم سياسية، ومالية، وإدارية، ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث، ولكل هذه الجوانب التي تناولتها الأحاديث صلةٌ بالحياة الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية في عصر النبي ﷺ، وما تلاه؛ لأن المسلمين التزموا بتطبيق السنة في حياتهم إلى حد كبير"[٢٧٣].

٤- إن مرويات السيرة في كتب الحديث، لا توجد في أبواب الجهاد والسير والمغازي وفضائل الصحابة والمناقب فقط، بل في أغلب الأبواب الأخرى؛ فعلى دارس السيرة النبوية أن يستثمر كل الكتب والأبواب في استخراج روايات السيرة النبوية، ما دمنا قد قررنا أنه لا فرق بين الحديث والسيرة إلا في بعض النواحي المنهجية، وطرق العلماء في التصنيف.

* * *

(٢٧٣) السيرة النبوية الصحيحة: ٤٩.

الفصل الثالث

المصدر الثالث: شعر الدعوة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : من شعر السيرة النبوية: نماذج من إرهاصات المولد إلى الهجرة.

المبحث الثاني : مصادر شعر السيرة النبوية.

المبحث الثالث : مميزات شعر السيرة النبوية.

المبحث الرابع : بعض التوجيهات لدارس السيرة النبوية.

الفصل الثالث

المصدر الثالث: شعر الدعوة الإسلامية

لقد كان الشعر عند العرب في جاهليتهم مدونة للأخبار والتاريخ، وأصبحت له، مع مرور الأعوام، مكانة فريدة في مجال الثقافة العربية قبل الإسلام، وبحكم سهولة حفظه وروايته مع حرص الناس على صيانته وسماعه صار له رواج عند العرب قبل البعثة النبوية وبعدها.

وكانت أغراض الشعر في الجاهلية متنوعة: ما بين الوصف، والمدح، والهجاء، والغزل، وغير ذلك، فلما ظهرت دعوة الإسلام نالها هجو المعاندين من مشركي العرب مما أثار شعراء الصحابة للمنافحة عن الرسول ﷺ والدعوة.

وان دراسة الشعر الذي عاصر مرحلة النبوة والرسالة، توقفنا على كثير من وقائع السيرة، وتُثْرِي معرفتنا بجوانب أخرى من حياته ﷺ، احتفظت لنا بها قصائد الشعراء.

ونظرا لأهمية هذا الشعر، عمد أوائل المصنفين في السيرة النبوية إلى تضمين كتبهم ما قيل منه في كل المواقف، التي عاشها الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

وسنتناول هذا الموضوع إن شاء الله من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: من شعر السيرة النبوية: نماذج من إرهاصات المولـــد إلى الهجرة.

المبحث الثاني: مصادر شعر السيرة النبوية.

المبحث الثالث: مميزات شعر السيرة النبوية.

المبحث الرابع: بعض التوجيهات لدارس السيرة النبوية.

* * *

المبحث الأول

من شعر السيرة النبوية: نماذج من إرهاصات المولد إلى الهجرة

تعج كتب السيرة بالكثير من الشعر الذي يورده المصنفون عقب إيراد الأحداث، وهذا الشعر يكاد يشمل كل مراحل السيرة النبوية، ولو تم توثيقه، وجمعه بطريقة جيدة؛ لأمكننا أن نخرج سيرة شعرية مكتملة عن حياة الرسول ﷺ.

ورغم ما قيل ويقال حول هذا الشعر، قديماً وحديثاً، لا يمكن إهماله جملة وتفصيلاً، فهو، بالإضافة إلى كونه أثراً أدبياً، يدل على عصره ومؤثراته العامة والخاصة، تناول أحداث السيرة وسجلها تسجيلا دقيقاً، وصدر عن شخصيات السيرة من هذا الطرف أو ذاك، ويقدم لنا أحيانا بعض التفاصيل التي لا ترد في آيات القرآن، ولا في روايات الحديث.

وسنقتصر في هذه النماذج، التي نعرضها من شعر السيرة، على مرحلة إرهاصات المولد، ومرحلة ما بعد المولد إلى البعثة إلى الهجرة النبوية، طلباً للإيجاز، وإلا فالنماذج كثيرة في كل مرحلة من مراحل السيرة النبوية.

١- حياة الرسول ﷺ قبل البعثة:

لقد أورد كُتَّاب السيرة ما قيل من شعرٍ في رسول الله ﷺ، حتى قبل مولده، مما يعتبر من إرهاصات النبوة، مثل أشعار الهواتف التي تبشر بالمبعث الشريف(٢٧٤)، كما نُسِب شعر كثير لأمه آمنة بنت وهب، قبل وبعد ولادته

(٢٧٤) راجع: هواتف الجان: لأبي بكر الخرائطي ٤٢ - ٤٣ - ٤٨- ٤٩ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - =

ﷺ[٢٧٥]، وللشيماء بنت الحارث أخته، ﷺ، من الرضاعة[٢٧٦]، ولرقيقة بنت أبي صيفي[٢٧٧]، وأكثر من روي له شعر في هذه الفترة هو عبد المطلب، جد الرسول ﷺ، ومن ذلك قوله عندما أُخبر بولادة الرسول ﷺ:

الحمد لله الذي أعطاني   هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان   أعيذه بالله ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنيان   أعيذه من شر ذي شنآن

من حاسد مضطرب العنان[٢٧٨]

ومنها قوله عندما التمس النبي ﷺ، وله خمس سنوات من العمر، فلم يجده:

لاهُمَّ أد راكبي محمدا   أده إلي واصطنع عندي يدا

أنت الذي جعلته لي عضدا   لا يبعد الدهر به فيبعدا

أنت الذي سميته محمدا[٢٧٩]

ولأبي طالب، عم الرسول ﷺ، شعر غزير في هذه الفترة، منه قوله:

إن ابن أمينة النبي محمدا   عندي بمثل منازل الأولاد

لم تقلق بالزمام رحمته   والعيس قد قلصن بالأزواد

=

٥٦-٥٨- ٥٩ – ٦٣ – ٦٥ – ٧١ – ٧٤ – ٧٥.

(٢٧٥) طبقات ابن سعد ١/١٠٠، والروض الأنف: ١/١٠٦.

(٢٧٦) الإصابة، لابن حجر: ١/٣٣٦.

(٢٧٧) طبقات ابن سعد: ١/٩٠.

(٢٧٨) طبقات ابن سعد: ١/١٠٣، والبداية والنهاية ٢/٢٤٦.

(٢٧٩) طبقات ابن سعد: ١/١١٢.

فارفضَّ من عـــينيَّ دمـــعٌ ذارفٌ   مثل الجمان مفرق الأفـــراد[٢٨٠]

٢- من البعثة إلى الهجرة:

قل أن نجد واقعة من وقائع السيرة في هذه الفترة إلا وقـــد ورد في شـــأنها شعر كثير، وإذا تجاوزنا أشعار ورقة بن نوفل[٢٨١]، فهناك أشعار أخرى كـــثيرة في هذه الفترة، نظمها أبو طالب عم الرسول ﷺ، أو أحد الصحابة الشعراء مثل حسان بن ثابت ومما قاله هذا الأخير في إسلام أبي بكر ﵁:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بمـــا فعـــلا

خير البريـــة أوفاهـــا وأعـــدلها   بعد النبي وأولاهـــا بمـــا حمـــلا

والتالي الثاني المحمـــود مـــشهده   وأول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميـــدا لأمـــر الله متبعـــا   بـــأمر صـــاحبه الماضـــي ومـــا

ولأبي طالب لامية طويلة، يخبر فيها أشراف قومه بعدم تخليه عن ابن أخيه، وأنه لا يتركه أبداً، ولو هلك دونه، ومطلعها:

ولما رأيت القـــوم لا ود فـــيهم   وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعـــداوة والأذى   وقـــد طـــاوعوا أمـــر العـــدو

ولأبي طالب، كذلك، في هجرة المسلمين إلى الحبشة، بعد أن نالهم الأذى من قريش:

---

(٢٨٠) تاريخ دمشق، لابن عساكر: ٩/١.

(٢٨١) البداية والنهاية، لابن كثير: ١١/٣ – ١٢.

(٢٨٢) نفسه: ٢٧/٣.

(٢٨٣) نفسه: ٥٣/٣ وما بعدها.

ألا ليت شعري كيف في النــأي وعمرو وأعداء العدو الأقــارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا وأصــــحابه أو عــــاق ذلـــك

ولعبد الله بن الحارث أشعار كثيرة في الهجرة إلى الحبشة يعاتب فيها قريشا على صنيعها ويدعو المسلمين إلى التقدم إلى الأمام ليشقوا طريقهم نحو الهــدف الأسمى وهو نشر الإسلام والتمكين لدين الله تعالى[٢٨٥].

ولأبي طالب مقطوعات شعرية في أمر مقاطعة بني هاشم، وكتابة الصحيفة، منها قوله:

ألم تعلموا أنا وجــدنا محمــدا نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليــــه في العبـــاد محبـــة ولا خير ممن خصه الله بالحـــب
وأن الذي ألصقتم من كتـــابكم لكـــم كـــائن نحـــساً كراغبـــة

ويقول حسان في رثاء المطعم بن عدي، أحد الــذين ســعوا في نقــض الصحيفة، وأجار النبي ﷺ، بعد أن عاد من الطائف حزيناً:

أيا عين فـــابكي ســـيد القـــوم بدمع فإنْ أنزفته فاسكبي الـــدما
فلو كان مجدٌ يخلد الدهر واحـــداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرتَ رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لبى مهلٌّ وأحرما[٢٨٧]

وقد أرخ هذا الشعر لبناء الكعبة، عندما تنازعت قبائل قريش حول وضع

(٢٨٤) سيرة ابن هشام: ٣٥٤/١.
(٢٨٥) راجع سيرة ابن هشام: ١٥٤/١ — ١٥٥.
(٢٨٦) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٧٨/١، وراجع كذلك: البداية والنهاية: ٩٥/٣.
(٢٨٧) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٠/١.

الحجر الأسود من البيت، إلى أن كادوا يقتتلون على ذلك، وحول هذا الحدث يقول أبو طالب:

إن لنـــــا أولـــــه وآخــــــره   في الحكم والعدل الذي لا ننكره
وقد جهــدنا جهــده لنعمــره   وقد عمرنــا خــيره وأكثــره
فإن يكــن حقـــاً ففينـــا أوفــره[288]

ولأبي هبيرة بن أبي وهب المخزومي في قضية التحكيم قوله:

تشاجرت الأحياء في فصل خطة   جرت بينهم في النحس من بعد أسعد
تلاقوا بها بالبغض بعــد مــودة   وأوقد ناراً بينهم شــر موقــد
فلما رأينا الأمر قد جــدّ جِــدُّه   ولم يبق شيء غير سـل المهنــد
ففاجأنا هــذا الأمــين محمــد   فقلنا رضينا بالأمين محمــد[289]

ولأبي طالب كذلك مقطوعة في استسقاء قريش بالنبي ﷺ، وهو لا يــزال غلاماً، فجاءهم الخصب، ومطلعها:

بشيبة الحمد أســقى الله بلــدتنا   وقــد فقــدنا الحيــا واجلــوّذ

٣- الهجرة النبوية:

قيلت العديد من الأشعار في الهجرة النبوية من طرف الصحابة رضي الله عنهم. مـــن ذلك ما أنشده أبو أحمد عبد بن جحش رضي الله عنه، حين قال من قصيدة له:

لمـــا رأتــني أم أحمـــد غاديـــا   بذمة من أخشى بغيب وأرهـــب

(٢٨٨) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ١/١٩٧.

(٢٨٩) السيرة النبوية، لابن هشام: ٩/٢١٠.

(٢٩٠) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ١/٩٠.

تقول: فإما كنت لابــد فــاعلاً | فيمم بنا البلدان ولتنــأ يثــرب
فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا | وما يشإ الرحمن فالعبد يركــب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم | إلى الله يوماً وجهه لا يخيب(٢٩١)

ويذكِّر صرمة بن قيس بمقام النبي ﷺ في مكة، وجهاده في تبليغ دعوة ربه، وما لاقاه من صدود وكفران في قوله:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة | يذكر لو لاقى صــديقا مواتيــا
ويَعْرض فيها في المواسم نفــسه | فلم يــر مــن يــؤوي و لم يــر

ومما ينسب لأبي بكر في أمر الهجرة قوله:

فلما ولجت الغار قــال محمــد | أمنت فثق في كل حس ومــدلج
بربــك إن الله ثالثنــا الــذي | نبوء به في كل مثــوى ومخــرج
ولا تحزن فــالحزن وزر وفتنــة | وإثم على ذي النهية المتحرج(٢٩٣)

ومن ذلك قوله في البيت المشهور:

إنْ أنت إصــبع قــد دميــت | وفي سبيل الله مــا لقيــت(٢٩٤)

وقد قيل إنه أنشد هذا البيت عندما سال الدم من إصبعه داخل الغار بحجر.

ومنها كذلك قول أبي بكر الصديق ﷺ:

قال الــنبي و لم يــزل يــوقرني | ونحن في سدف من ظلمة الغــار

(٢٩١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٨٣/٢.
(٢٩٢) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني: ٣٠٣/١.
(٢٩٣) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني: ٣٣٦/٢.
(٢٩٤) البداية والنهاية، لابن كثير: ١٧٨/٣.

لا تخش شـيئاً فـإن الله ثالثنـا وقد توكل لي منه بإظهـار[٢٩٥]

وقال في خروجهم من الغار مع عبد الله بن أريقط:

حتى إذا الليل وارتنـا جوانبـه وسد من دون ما نخشى بأسـتار
سار الأُريقط يهـدينا وأَيْنُقُـهُ ينعبن بالقرم نعبا تحت أكوار[٢٩٦]

وعندما عاب أبو جهل على سراقة عودته دون أن يقبض على رسـول الله ﷺ، رد عليه هذا الأخير قائلاً:

أبا حكم والله لو كنت شـاهداً لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمـه
علمت ولم تشكك بأن محمـداً رسول ببرهان فمن ذا ينازعه[٢٩٧]

ولما انطلق النبي ﷺ وصاحبه نحو المدينة، لم تعرف قـريش وجهتـهما إلا بوساطة رجل من الجن، كما يروى من أسفل مكة، يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خـيمتي أم معبـد
هما نـزلا بـالبر وارتحـلا بـه فقد فـاز مـن أمـسى رفيـق

ولما وصل المدينة لقيه أهلها، وهم ينشدون، قائلين:

طلـع البـدر علينـا مـن ثنيـات الـوداع
وجـب الـشكر علينـا مـا دعـا لله داع[٢٩٩]

* * *

(٢٩٥) الروض الأنف، للسهيلي: ٢٣٤/٢، والبداية والنهاية: ١٨٣/٣.

(٢٩٦) الروض الأنف، للسهيلي: ٢٣٤/٢.

(٢٩٧) نفسه: ٢٣٣/٢.

(٢٩٨) الطبقات الكبرى، لابن سعد: ٢٣١/١.

(٢٩٩) البداية والنهاية: ١٩٧/٣. مع الإشارة إلى أنّ هذا لم يأتِ من طريقٍ متصلٍ صـحيحٍ، لكـن ذكره عددٌ من المؤلفين في السيرة النبوية.

المبحث الثاني
مصادر شعر السيرة النبوية

مصادر شعر السيرة متعددة ومتنوعة لا تنحصر في كتب السيرة والتاريخ بل تتعداها إلى العديد من المظان الأخرى التي أوردت هذا الشعر واستشهدت به لأغراض مختلفة.

وتعتبر كتب الحديث النبوي على قلة ما أوردت من شعر أوثق المصادر وأصحها وأولاها بالاعتبار ومن ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث بني النضير قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وهاف على سراة بني لؤي حريق بالبورة مستطير[٣٠٠]

ومنه ما أخرجه مسلم في حديث غزوة بني قريظة أن سعد بن معاذ انفجر جرحه فمات فقيل في ذلك:

ألا يا سعد سعد بني معاذ فما فعلت قريظة والنضير
لعمرك إن سعد بني معاذ غداة تحملوا لهو الصبور
تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور
وقد قال الكريم أبو حباب أقيموا قينقاع ولا تسيروا

(٣٠٠) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، رقم الحديث ٤٠٣٢.

وقـــد كـــانوا ببلـــدهم ثقـــالا كما ثقلت بميطان الصخور[٣٠١]

وبعد كتب الحديث، تأتي كتب السيرة النبوية، وعلى رأسها سـيرة ابـن إسحاق في صورة تهذيب ابن هشام، الذي بذل جهداً في تمحيص شعر السيرة النبوية، وفرزه، وردَّ كثيراً منه، وشكك في صحة بعضه بتعليقاته المفيدة، ورغم ما أجراه على نص ابن إسحاق من حذف وتنقية، فقد حفظ لنا في كتابه مـا يقرب من خمسمائة نص شعري، ما بين قصيدة ومقطوعة[٣٠٢].

وفي كتاب المغازي للواقدي ٢٠٧هـ قدر لا بأس به من شعر السيرة النبوية، ما بين قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة، ثم طبقات ابن سعد ٢٠٣هـ، فـصاحبها وإن كان مقلاً من رواية الشعر، فقد روى كذلك قدراً مهمّاً في المراثي النبويـة خاصة[٣٠٣]، ويلي هذه الكتب "أنساب الأشراف"، للبلاذري ٢٧٩هـ، الـذي روى في سياق الأخبار، التي أوردها، كثيراً من الأشعار، ويبلغ مجموع ما أثبتـه من نصوص شعر السيرة نيفاً وثمانين نصاً[٣٠٤].

ويعتبر كتاب تاريخ الرسل والملوك، للطبري، من أهم المـصادر التاريخيـة لشعر هذه الفترة، وهو إلى جانب غزارة ما أورده في هذا المجال، انفرد بـإيراد نصوص شعرية لم يُسْبق إليها[٣٠٥].

---

(٣٠١) الجامع الصحيح، لمسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، الحديث رقم ٦٨. وقد نسب ابن هشام هذه الأبيات لجبل بن جواد. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/٣١٢.

(٣٠٢) شعر السيرة النبوية دراسة توثيقية: الدكتور شوقي رياض أحمد: ٨٣.

(٣٠٣) طبقات ابن سعد: ١/٤٠٩ وما بعدها.

(٣٠٤) شعر السيرة النبوية دراسة توثيقية: ٨٥.

(٣٠٥) نفسه: ٨٥.

وبعد كتب التاريخ تأتي كتب الأدب، التي حفلت بمادة وفيرة من شعر السيرة النبوية، مثل طبقات الشعراء، لابن سلام الجمحي ٢٣١هـ، والبيان والتبيين، للجاحظ ٢٥٥هـ، والشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ، والكامل في اللغة والأدب، للمبرد ٢٨٦هـ، والعقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ، وكتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني ٣٥٦هـ، وما ورد في هذه الكتب من شعر يتطلب التحقيق، والتمحيص، بالمقارنة مع ما ورد في المصادر الأخرى، أو ما ورد في دواوين الشعراء الصحابة التي حققت[٣٠٦].

وهناك مصادر أخرى لشعر السيرة، لا تقل أهمية عن سابقاتها، وهي دواوين الشعر العامة والخاصة، فيما يتعلق بالدواوين العامة، مثل: ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي ٢٣٠هـ، وديوان الحماسة، للبحتري ٢٨١هـ، فرغم قلة ما وورد فيها من شعر السيرة فهي تقدم الدليل على أن شعر السيرة، لا يقل جزالة وفنية عن بقية الشعر العربي العالي، ما دام أساس اختيار قصائد هذه الدواوين هو أن تكون من عيون الشعر العربي.

وأما دواوين الشعر الخاصة، فيقصد بها دواوين الصحابة، وغيرهم، ممن عاصروا فترة السيرة، وقد وصلنا بعضها بصنعة الأقدمين والمحدثين، ومن أهمها: ديوان حسان بن ثابت، الذي طبع طبعات مختلفة ومتعددة، وديوان كعب بن زهير، وديوان لبيد بن ربيعة، وديوان الأعشى البكري، وديوان أمية بن أبي الصلت، وديوان أبي محجن الثقفي، وديوان النابغة الجعدي، وديوان كعب بن مالك الأنصاري، وديوان العباس بن مرادس السلمي، وديوان عبد الله بن

(٣٠٦) شعر السيرة النبوية دراسة توثيقية: ٧٥.

رواحة، وديوان عبد الله بن الزِّبَعْرَى.

ورغم أن أصحاب هذه الدواوين من المشاركين في أحداث السيرة والْمُسْهِمين فيها، فما يوجد في دواوينهم من شعر السيرة شيء يسير جداً، إلا أنه على قلته له أهميته من حيث التوثيق، ومن حيث القيمة الفنية في دراسة شعر هذه الفترة، وخصوصاً ما ورد منه في دواوين: كعب، ولبيد، وأمية[٣٠٧].

وبعد هذه المصادر، على دارس السيرة أن يستأنس بكتب التفسير، وأسباب النزول، وكتب تراجم الصحابة ﷺ، وكذا كتب اللغة، وكتب البلدان؛ لأنها تشتمل على قدر لا بأس به من شعر السيرة، لا يحسن به إغفاله رغم قلته.

* * *

(٣٠٧) شعر السيرة النبوية: ٨١.

المبحث الثالث

مميزات شعر السيرة النبوية

لشعر السيرة النبوية، باعتباره المصدر الثالث من مصادر حياة الرسول ﷺ، العديد من المميزات، من أبرزها:

١- الصحة:

حيث لم تنفرد مظان دون أخرى بروايته، فقد ورد في كتب الحديث، والسيرة، والتاريخ، والأدب، ودواوين الشعراء، والصحابة، وغيرها، وبذل العلماء جهوداً كبيرة لتمحيصه، وبيان صحيحه من سقيمه، وقسط كبير منه يصلح للاستشهاد، ويثري معارفنا بجوانب كثيرة من السيرة النبوية، ما كنا لنتعرف عليها دونه.

٢- الفنية:

رغم حكم ابن سلام على بعض شعر السيرة، بأنه "ليس بشعر، وإنما هو كلام مؤلف معقود بقواف"[٣٠٨]، فهذا الحكم لا يسري على غالبية شعر السيرة، التي هي من النوع الرفيع، ذي النفس العالي في أفانين القول، وحسبك باستحسان الرسول ﷺ لكثير منه، وقوله: (إن من الشعر لحكمة)[٣٠٩] ورسول

---

(٣٠٨) طبقات فحول لشعراء: ١/٨.

(٣٠٩) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، رقم الحديث ٦١٤٦، فتح الباري: ١٠/٥٣٧.

الله ﷺ، وهو مَنْ هو في تذوق الشعر، ومعرفة جيده من رديئه، وعندما أورد ابن هشام لامية أبي طالب علق عليها بقوله: "هذا ما صح لي من هـذه القـصيدة، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. عقب عليه الحافظ ابن كثير، بقوله: قلت هذه القصيدة بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل مـن المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً"[٣١٠].

٣- دقة الوصف:

حيث حفظت لنا أشعار السيرة وصفا دقيقاً للأحداث والوقائع في مختلـف مراحل حياة الرسول ﷺ، فهذا أعشى بني قيس، يحذر من شـرك قـريش في داليته، التي مدح فيها الرسول ﷺ، ويحمل لنا في أبياتٍ قليلة غالب اهتمامـاتهم الدينية يقول:

فإيـاك والميتـات لا تقربنـها ... ولا تقربن سهماً حديداً لتقصدا

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... ولا تعبد الأوثـان والله فاعبـدا

ولا تقربن حرة كـان سـرها ... عليك حراماً فانكحن أو تَأَبَّـدَا

وذا الرحم القربى فـلا تقطعنـه ... لعاقبـة ولا الأسـير المقيـدا

وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمـد الـشيطان والله

ويقول كعب بن مالك في وصف غزوة أحد، وكثـرة جـيش قـريش، ومكونات هذا الجيش، وعدده، وعدته:

فجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسـر ومقنـع

---

(٣١٠) البداية والنهاية: ٥٧/٣.

(٣١١) سيرة ابن هشام: ٣٨٧/١ - ٣٨٨.

ثلاثـــــة آلاف ونحـــــن بقيـــــة ثلاث مئين إن كثرنا فأربع[٣١٢]

ومثل هذا كثير من شعر حسان ﷺ في بـــدر[٣١٣] وفي فـــتح مكـــة[٣١٤] وغيرهما.

٤- عرض شمائل الرسول ﷺ:

فقلَّ أن تجد قصيدة يمدح فيها الرسول ﷺ، لا يَعْرض فيهـــا الـــشاعر إلى شمائله ﷺ، وأخلاقه العالية، ومن ذلك قول كعب بن زهير ﷺ:

انبئت أن رســـول الله أوعـــدني والعفو عند رسول الله مـــأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلـــة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل[٣١٥]

ومنه قول أبي عزة في الرسول ﷺ:

مَنْ مُبْلِغٍ عني الرســـول محمـــدا بأنـــك حـــق والمليـــك حميـــد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظـــيم شـــهيد

وأنت امرؤ بوئت فينـــا مبـــاءة لها درجات سهلة وصـــعود[٣١٦]

٥- العاطفة الإسلامية الصادقة:

حيث كان تفاعل الشعراء إيجابيا مع الشعر، وبينوا مواقفهم من الأحداث، وعبروا عن عاطفةٍ إسلامية صادقة نحو الرسول ﷺ، ونحو الإسلام، ومن ذلـــك

(٣١٢) أسباب النـــزول الواحدي: ١٥٩.

(٣١٣) سيرة ابن هشام: ١/٦٦٤.

(٣١٤) سيرة ابن هشام: ٤/٤٤.

(٣١٥) ديوان كعب بن زهير: ٦٥.

(٣١٦) سيرة ابن هشام: ١/٦٦٠.

قول سعد بن أبي وقاص ﷺ، الذي يعتبر أول من رمى بسهم في سبيل الله، حين عاد من سرية عبد الله بن جحش:

ألا هـــل أتـــى رســـول الله أني … حميت صحابتي بـــصدور نبلـــي
أذود بهـــا أوائلـــهم ذيـــاداً … بكل حزونـــة وبكـــل ســـهل
فمـــا يعتـــد رام في عـــدو … بسهم يـــا رســـول الله قبلـــي
وذلك أن دينك ديـــن صـــدق … وذو حق أتيت به وعـــدل(٣١٧)

ومن ذلك قول عبد الله بن جحش، يرد على المشركين، الذين أشاعوا أن الرسول ﷺ وأصحابه قد أحلوا القتال في الأشهر الحرم:

تعدون قتلا في الحـــرام عظيمـــة … وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقـــول محمـــد … وكفـــر بـــه والله راء وشـــاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله … لئلا يُرَى لله في البيت ساجد(٣١٨)

ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة، وهو يقود ناقة الرسول ﷺ في عمـــرة القضاء:

باسم الذي لا ديـــن إلا دينـــه … باسم الـــذي محمـــد رســـوله
خَلُّو بني الكفـــار عـــن ســـبيله … اليوم نـــضربكم عـــن تاويلـــه
كما ضربناكم علـــى تنـــــزيله … ضربا يزيل الهـــام عـــن مقيلـــه
ويذهل الخليـــل.عـــن خليلـــه … قد أنزل الـــرحمن في تنـــــزيله

---

(٣١٧) سيرة ابن هشام: ٢/٢٤٤.

(٣١٨) نفسه: ٢/٢٥٦.

في صحف تتلى على رسوله ... بأن خير القتل في سبيله
يا رب إني مؤمن بقيله[٣١٩]

٦- غزارة شعر السيرة النبوية:

أورد كُتَّاب السيرة في كل مرحلة، أو واقعة من وقائع حياة الرسول ﷺ شعراً، وأكثر وقائع السيرة اشتمالاً على الشعر: المغازي النبوية، والوفود، والوفاة النبوية. ولو جُمع شعر السيرة النبوية، وتم توثيقه جيداً؛ فإننا سنحصل على مجموعة ضخمة من الشعر الصحيح العالي في درجته الفنية وصدق عاطفته الإسلامية نستعين به في كتابة السيرة النبوية، ونستعيض به في دراسة النصوص الأدبية عن النصوص الحداثية، التي عمت وطمت وصفَّتِ الحساب مع الله والدين، ذلك أن نصوص السيرة واقعية رفيعة الصنعة ومتنوعة في المضامين والموضوعات ولا تتعارض مع العقيدة والقيم الإسلامية...

* * *

(٣١٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٦.

المبحث الرابع
بعض التوجيهات لدارس السيرة النبوية

لا غنى لدارسي حياة الرسول ﷺ عن شعر السيرة؛ لأنه مكون مهم ضمن مكوناتها العامة، فينبغي جمع هذا الشعر، وتوثيقه توثيقاً صحيحاً، ثم دراسته دراسة متكاملة من جميع الجوانب، وفيما يلي بعض التوجيهات في هذا المجال:

١- يحتاج دارس السيرة في توثيق هذا الشعر، ودراسته إلى معارف متنوعة، أولها: الصناعة الحديثية، وكل ما يتعلق بالرواية، وشروطها؛ لكي يحكم على الروايات بالقبول أو الرد، فورود الأشعار بالإسناد لا يكفي لإثبات صحة الخبر، أو الشعر، الذي ورد في سياقه، بل لابد من التمحيص، والتحقيق، الذي يبدأ بالرواة وأحوالهم، وصفاتهم، ثم طريقة النقل من حيث الاتصال أو الانقطاع وغيره، وكذلك النظر إلى المصادر، وتقديم كتب الحديث، فكتب السيرة والتاريخ، فكتب الأدب، بعد التحقق من مناهج أصحابها، وخلفياتهم المذهبية والسياسية، التي غالباً ما تؤثر في رواياتهم لشعر السيرة.

٢- ينبغي لدارس السيرة أن يكون على علم واف باللغة العربية، وعلى دراية بفنون الشعر، وعلى معرفة دقيقة بالأدب العربي في أطواره الأولى، خاصة منها مرحلة ما قبل الإسلام، ثم مرحلة المبعث، فهذه المعرفة تمكنه من إدراك الفروق الجوهرية بين الأشعار، بالإضافة إلى معرفة السيرة النبوية نفسها،

والاطلاع على أحداثها اطّلاعاً دقيقاً.

وقد نسب ابن إسحاق أشعاراً كثيرةً إلى عصر المبعث، من ذلك: الشعر المنسوب للجن قبل البعثة، وبعدها، وهو مشكوك في قائله، وينظر إليه على أنه مجهول القائل[٣٢٠]، ورحم الله ابن سلام الجمحي الذي نحى باللائمة على ابن إسحاق في روايته لشعر السيرة، عندما قال: "فكتب في السيرة أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلامٌ مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه، فيقول: من حمل هذا الشعر، ومن أداه منذ آلاف السنين؟ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[٣٢١].

٣- يجد دارس السيرة النبوية أشعاراً كثيرة لخصوم الإسلام مشركين ويهود ومنافقين، وبعضها في هجاء النبي ﷺ. وحكم هذا الشعر هو الإسقاط، وعدم الإيراد إلا لداعٍ قويٍّ، يتطلب ذلك، يقول السهيلي رحمه الله "ولكني لا أعرض لشيء من أشعار الكفرة، التي نالوا فيها من رسول الله ﷺ، إلا شعر من أسلم وتاب، كضرار، وابن الزِّبَعْرَى، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعر، الذي نيل فيه من رسول الله ﷺ، قال أبو عبيد: رواية نصف بيت من ذلك حرام، وعلى القول بالإباحة فإن النفس تقذر تلك الأشعار، وتبغضها، وقائليها في الله، فالإعراض عنها خير

(٣٢٠) أنساب الأشراف: ٢٦٢/١.

(٣٢١) طبقات فحول الشعراء: ٨/١.

من الخوض فيها، وتتبع معانيها"[٣٢٢].

٤- لا ينبغي لدارس السيرة أن ينصت لدعوات المستشرقين، والمستغربين، الداعية إلى ترك شعر السيرة، جملة وتفصيلاً؛ بدعوى أنه منحول مختلق وموضوع.

فانتحال الشعر لم يكن خافياً على العلماء، منذ زمنٍ مبكر، حيث وقفوا وقفة تمحيص، وتحقيق؛ فبينوا أسباب الانتحال، وتعقبوا روايات وأشعار الوضاعين بالتحقيق، والفرز الدقيق، وعلى رأس هؤلاء العلماء: ابن هشام في صنيعه بأشعار ابن إسحاق. والأشعار المشكوك فيها لا تمثل إلا جزءاً يسيراً أمام الأشعار الصحيحة، التي هي الجزء الأضخم من شعر السيرة النبوية.

* * *

(٣٢٢) الروض الأُنف: ٢/٥٧.

الفصل الرابع

المصدر الرابع: كتب السيرة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : المؤلفات الشاملة في السيرة النبوية.

المبحث الثاني : كتب الشمائل.

المبحث الثالث : كتب الخصائص.

المبحث الرابع : كتب دلائل النبوة.

المبحث الخامس : كتب الأنساب.

المبحث السادس: كتب الصحابة.

المبحث السابع : كتب الطبقات.

الفصل الرابع

المصدر الرابع: كتب السيرة

بدأت العناية بسيرة رسول الله ﷺ في وقت مبكر جداً، أي في عصر الصحابة ﷺ، حيث كان بعضهم يسألون بعضاً عن مشاهدهم مع رسول الله ﷺ.

ثم اهتم الولاة والأعيان بها في مجالسهم الخاصة والعامة، حيث كانوا يجلبون عالماً مشهوراً بالحفظ والرواية، ويسألونه عن المغازي، ومن حضرها، وعدد من استشهد فيها، فيحدثهم بالإسناد إلى من حضر الواقعة(٣٢٣).

وقد مرت كتابة السيرة النبوية بالعديد من الأطوار، تدرجت خلالها إلى أن استقلت، وأصبح لها كيانها الخاص، ففي طور التقييد كانت مختلطة مع الحديث النبوي، أغلبها يتناقله الرواة عن طريق الرواية الشفوية، وعن طريق كتابة بعض الوقائع متفرقة، ثم تطور الأمر في مرحلة التدوين حيث جمع الرواة الأخبار المتفرقة لواقعة واحدة بأسانيدهم، وقد اعتمدوا في ذلك على الصحابة المشاركين في الأحداث أو أبنائهم، وفي هذه المرحلة بدأ الاستقلال الفعلي للسيرة عن الحديث، ثم جاءت مرحلة التصنيف، حيث تجلى منهج أهل السير واضحاً بيناً مع ظهور ابن إسحاق، الذي استفاد من سابقيه، وطور كتابة السيرة بإرسائه لقواعد جديدة في التأليف. وأغلب المصنفات الأولى في السيرة النبوية من عهدي التدوين والتصنيف مفقود، لكن جل مروياتها حفظه علماؤنا بطريقة الإسناد في

(٣٢٣) المغازي الأولى ومؤلفوها، المقدمة: ص: ٨.

بطون مؤلفاهم، طبقة بعد طبقة، وعلى مرويـــات المـــصنفات الأولى اعتمـــد المؤلفون في المراحل التالية[٣٢٤].

وقد تطور التأليف في السيرة النبوية بعد ذلك ليشمل أغراضا مختلفـــة[٣٢٥]، حيث فضل بعض العلماء الكتابة في السير الجامعة، واقتـــصر آخـــرون علـــى موضوعات معينة، كالشمائل، أو الدلائل، أو المغازي، أو الخصائص، وغيرها.

وسنقتصر في كلامنا على أغراض التأليف التي كانت مشهورة إلى بدايـــة القرن الرابع الهجري.

* * *

(٣٢٤) السيرة النبوية الصحيحة: ٦٦/١.

(٣٢٥) يقول صاحب كشف الظنون: تشتمل مباحث السيرة على خمسة عناصر:

الأول: في السيرة الذاتية، وهي ما يتعلق به ﷺ من ولادة ونشأة وزواج وخدم ومتاع.

الثاني: في النبوة والرسالة، وهو ما يتعلق بالوحي، والدعوة، ومواقف الناس منها.

الثالث: في الغزوات، والسرايا.

والرابع: في الشمائل، وهي الآداب، والأخلاق.

والخامس: في الخصائص، وهي ما امتاز به ﷺ عن بقية الخلق،...، كشف الظنون ١٠١٢/٢.

المبحث الأول

المؤلفات الشاملة في السيرة النبوية

يقصد بها المؤلفات الجامعة، التي ألفها المتقدمون، ولم تقتصر على موضوع محدد من السيرة النبوية، بل اهتمت بأخبار حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، وقد تطور ظهور هذه المصنفات منذ القرن الأول، إلى مطلع القرن الرابع. واستوعب علماء المغازي والسير كل المادة العلمية المتوافرة لهم، حيث استفاد منها علماء الحديث، والتاريخ، والتفسير، والسيرة، على حد سواء(٣٢٦).

والمؤلفات الجامعة في السيرة النبوية حتى مطلع القرن الرابع كثيرة(٣٢٧)، تحمل عناوين متعددة، مثل: المغازي، أو السيرة، أو المغازي والسير، ونذكر فيما ما يلي أهمها:

- مغازي عروة بن الزبير ٩٣هـ(٣٢٨).

---

(٣٢٦) توسع الدكتور عبد العزيز الدوري في الكلام عن التأليف في السيرة خلال هذه الفترة، لكن غلب عليه تخصصه في التاريخ، مع أن التصنيف في السيرة النبوية يتجاذبه جانبان: جانب يتصل بعلم الحديث، وآخر يتعلق بعلم التاريخ: راجع كتابه: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، حيث قسمه إلى قسمين: الأول: يشمل الدراسة، ص ٧ – ١٣٦. والثاني: للنصوص من ص: ١٣٧ إلى ٤٢٥.

(٣٢٧) مصادر السيرة وتقويمها، الدكتور فاروق حمادة: ٤٦ – ٧٢.

(٣٢٨) تهذيب التهذيب: ٧/١٨٠، والمغازي الأولى ومؤلفوها: ١٩، وقد جمعها محمد مصطفى الأعظمي، برواية أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي القرشي، الملقب بيتيم عروة، نشر مكتب التربية لدول الخليج، كما جمعها عادل عبد الغفور في رسالته لنيل =

- مغازي أبان بن عثمان بن عفان الأموي ١٠٥هـ[٣٢٩].
- مغازي وهب بن منبه اليماني ١١٤هـ[٣٣٠].
- مغازي الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ١٢٤هـ[٣٣١].
- مغازي موسى بن عقبة ١٤٠هـ[٣٣٢].
- المغازي والسير: لمحمد بن إسحاق ١٥١هـ[٣٣٣].
- مغازي معمر بن راشد ١٥٣هـ[٣٣٤].
- مغازي أبي معشر السندي ١٧٠هـ[٣٣٥].

= الدكتوراه بالجامعة الإسلامية.

(٣٢٩) نفسه: ٩٧/١، والمغازي الأولى ومؤلفوها: ٢٧.

(٣٣٠) نفسه: ١٦٦/١١، والمغازي الأولى ومؤلفوها: ٤٣.

(٣٣١) أُنجزت عدة بحوث لجمع مرويات الزهري في المغازي، منها: محاولة الدكتور سهيل زكار، وقد استلها من مصنف عبد الرزاق مباشرة، وفيها روايات كثيرة ليست للزهري، لم ينتبه إليها، وهناك محاولة علمية جادة للدكتور محمد العواجي تحت عنوان: مرويات الإمام الزهري في المغازي النبوية جمع ودراسة ضمن أُطروحات الجامعة الإسلامية ١٤١٨هـ، وهي منشورة.

(٣٣٢) أُنجزت كذلك بحوث عدة في جمع مرويات مغازي موسى بن عقبة في الجامعة الأردنية، وفي الجامعة الإسلامية، ويؤخذ عليها عدم التزامها برواية واحدة، وطريق واحد، كما جرت العادة عند المحدثين؛ حتى لا تختلط الروايات فيما بينها، أو تختلط روايات الحديث بروايات المغازي. راجع مغازي موسى بن عقبة جمع وتخريج زميلنا الدكتور محمد باقشيش، نشر جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب ١٩٩٤م.

(٣٣٣) نشر جزءاً منها عن مخطوطتين، إحداهما بالمكتبة الظاهرية والأخرى بمكتبة القرويين بفاس كل من الدكتور محمد حميد الله طبعة معهد الدراسات والأبحاث والتعريب بالرباط ١٩٧٦هـ، والدكتور سهيل زكار طبعة دار الفكر ١٩٧٨.

(٣٣٤) سيرة ابن إسحاق: تحقيق محمد حميد الله: المقدمة يز.

(٣٣٥) تهذيب التهذيب: ٢٤٣/١٠.

- السير لأبي إسحاق الفزاري ١٨٦هـ[٣٣٦].
- مغازي يحيى بن سعيد الأموي ١٩٤هـ[٣٣٧].
- مغازي محمد بن عمر الواقدي ٢٠٧هـ[٣٣٨].
- مغازي عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ[٣٣٩].
- تهذيب سيرة ابن إسحاق: عبد الملك بن هشام ٢١٨هـ[٣٤٠].
- مغازي محمد بن عائذ الدمشقي ٢٢٣هـ[٣٤١].
- مغازي أبي بكر بن أبي شيبة ٢٣٥هـ[٣٤٢].
- كتاب المغازي لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي ٢٣٨هـ[٣٤٣].

وهذه المصنفات كانت متداولة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، قروناً

---

(٣٣٦) قام بتحقيق الجزء الموجود منه الدكتور فاروق حمادة عام ١٤٠٨هـ، عن مخطوطة فريدة، بمكتبة القرويين، من رواية محمد بن وضاح القرطبي.

(٣٣٧) تهذيب التهذيب: ٢١٥/١١.

(٣٣٨) تهذيب التهذيب: ٣٦٦/٩، وقد اهتم بمغازي الواقدي كثير من المستشرقين: نشراً، ودراسة، على فترات، ويعتبر "مارسدن جونس" أشهر من اعتنى بها، ونشرته هي الموجودة الآن في المكتبات.

(٣٣٩) تهذيب التهذيب: ٣١١/٣.

(٣٤٠) أول من اهتم بها ونشرها هم المستشرقون، كذلك، خاصة الألمان، مثل "وستنفلد" وقد طُبعت حديثاً بعدة تحقيقات، منها: تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وتحقيق عمر عبد السلام تدمري، وتحقيق السقا والأبياري والتحقيق الأخير هو المفضل عند كثير من دراسي السيرة النبوية.

(٣٤١) السخاوي، الإلمام في ختم سيرة ابن هشام: ص ٣٠.

(٣٤٢) نفسه: ٦٨.

(٣٤٣) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: الدكتور محمد يسف: ٢١/١.

عديدة، كما تدل على ذلك فهارس ومشيخات العلماء[٣٤٤]، لكـــن، ضـــاع البعض منها في القرون المتأخرة؛ لأسباب متعددة.

وكثير من هذه المصنفات لم يقتصر أصحابها على أخبار السيرة، بل توسعوا في جمع كثير من روايات بدء الخليقة، وأخبار العرب في الجاهليـــة، وأنـــسابها، وأجداد النبي ﷺ، كما تناولوا بعض أخبار الخلافة الراشدة، مثل أخبار السقيفة، والفتوحات، وغيرها، ويدل على هذا التوسع الذي عرفته كتب السيرة ما أشار إليه ابن هشام في مقدمة كتابه، عندما قال: "... وتارك بعض ما ذكـــره ابـــن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيـــه مـــن القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شـــاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار..."[٣٤٥].

ومن توسعهم في ذكر أخبار ما بعد الوفاة النبويـــة إشـــارة أبي إســـحاق الفزاري إلى أخبار الفتوحات الإسلامية في الشام، وفـــارس، وأفريقيـــة[٣٤٦]، واستطراد ابن عائذ الدمشقي في مغازيه بذكره للفتوحات كذلك حـــتى وفـــاة المأمون العباسي عام ٢١٨هـ، وكان معاصراً له[٣٤٧]، وقد كثر اقتباس العلماء من

---

(٣٤٤) راجع -على سبيل المثال-: فِهْرِست ابن خير الإشـــبيلي: ٥٧٥هـ: ١٩٨ – ٢٠٤، والمعجـــم المفهرس لابن حجر العسقلاني: جـــ١، ص ٧٤ – ٨٠.

(٣٤٥) تهذيب السيرة: ١/٢-٣.

(٣٤٦) كتاب السير، للفزاري، مقدمة الدكتور فاروق حمادة: ٨١.

(٣٤٧) انظر: محمد بن عائذ الدمشقي ومصنفاته التاريخية: د. سليمان السويكت، مجلة الدارة العدد ٣ السنة ١٤٢٠/٢٥هـ، وله أيضا: مستخرج كتاب الصوائف لابن عائذ – ط ١ مكتبة التوبـــة الرياض ١٤٢٦هـ.

هذه المصنفات بعد القرن الرابع حيث أصبحت عمدةً لكل من صنف في السيرة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال مقدمات كتب السيرة، فابن عبد البر ٤٦٣هـ، يقول في مقدمة درره: "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي ﷺ، وابتداء نبوته، وأول أمره في رسالته، ومغازيه، وسيرته فيها... اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة، وكتاب ابن إسحاق، رواية ابن هشام، وغيره، وربما ذكرت فيه خبراً ليس منهما، والنسق كله ما رسمه ابن إسحاق"[٣٤٨].

وقد اتجهت عناية الباحثين في العصر الراهن إلى استخراج نسخ من هذه المصنفات المبكرة، وذلك بجمع مروياتها من الكتب المتأخرة، في العديد من الجامعات الإسلامية، وعلى الخصوص بقسم السنة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ مطلع القرن الخامس عشر، وذلك بتوجيه طلبة الدراسات العليا إليها[٣٤٩].

* * *

(٣٤٨) الدرر في اختصار المغازي والسير: ٢٧.

(٣٤٩) انظر: جملة من هذه الكتب المفقودة مع قواعد استخراجها عند د. حكمت بشير ياسين: القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية: الطبعة الأولى مكتبة المؤيد الرياض ١٤٢٢هـ.

المبحث الثاني
كتب الشمائل

موضوع كتب الشمائل هو أخلاق الرسول ﷺ، وصفاته، وفضائله، وسلوكه مع أزواجه، وأهل بيته، وأصحابه، والناس أجمعين، سلوكاً فيه آثار التربية الربانية، ففيها نجد صفات الرسول ﷺ الخَلْقية والخُلُقية، وما متعه الله به من كمالات الدنيا والآخرة، كجمال الصورة، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، بالإضافة إلى محاسن العادات وحميد الخصال.

وقد جمع لنا الصحابة ﷺ العديد من الأخبار عن صفات رسول الله ﷺ، فيها وصف دقيق لهيئته، وصورته، وحركاته، وسكناته، وأخلاقه العالية من مولده إلى وفاته، تدل على قوة تعلقهم به ﷺ، وشدة حبهم له.

وقد ضمت كتب الحديث العديد من أبواب الشمائل، فقد أوردها البخاري في كتاب الأدب، وكتاب الاستئذان، وكتاب اللباس، وذكرها مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة، وكتاب الآداب، وكتاب فضائل النبي ﷺ، وكتاب اللباس والزينة، وكتاب الزهد والرقائق، وأوردها الترمذي في سننه في أبواب البر والصلة، وأبواب الاستئذان، كما ذكرها ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، وكتاب الزهد.

وقد اهتم العلماء بالتأليف المفرد في موضوع الشمائل، منذ عهد مبكر، وتحديداً في النصف الثاني من القرن الثاني، ومن أهم هذه الكتب:

صفة النبي ﷺ: البختري وهب بن كثير القرشي المتوفى سنة: ٢٠٠هـ[٣٥٠].

صفة النبي ﷺ: لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني المتوفى سنة ٢١٥هـ[٣٥١].

فضائل النبي ﷺ وأصحابه: عبد الملك بن حبيب الأندلسي ٢٣٨هـ[٣٥٢].

مقام رسول الله ﷺ: عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي ٢٣٨هـ[٣٥٣].

مزاح النبي ﷺ: الزبير بن بكار ٢٥٦هـ[٣٥٤].

الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية: الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي: ٢٧٩هـ، وقد لقي من القبول ما لم يلقه كتاب في فنه، واهتم به العلماء اهتماماً بالغاً شرحا وتلخيصاً إلى أيامنا هذه، ومن آخر الذين لخصوه وحققوا أحاديثه الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله.

- الأخلاق النبوية: إسماعيل القاضي المالكي ٢٨٢هـ[٣٥٥].
- أخلاق النبي ﷺ: أبو الحسن أحمد بن فارس اللغوي المتوفى ٢٩٥هـ[٣٥٦].
- فضائل النبي ﷺ: سعيد بن إبراهيم القمي ٣٠١هـ[٣٥٧].

وقد توالى التأليف خلال القرن الرابع، وبعده، في مجال الشمائل وأصبح

---

(٣٥٠) الفهرست، لابن النديم: ١٩.

(٣٥١) الفهرست، لابن النديم: ١٤٧.

(٣٥٢) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: ٢٧٠/١.

(٣٥٣) نفسه: ٢٧٠/١.

(٣٥٤) الفهرست، لابن النديم: ١٢٣.

(٣٥٥) الإعلان بالتوبيخ، السخاوي: ٩١.

(٣٥٦) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين ١٤٨/١.

(٣٥٧) كشف الظنون، حاجي خليفة ١٣٤/٤.

يشكل غرضاً من أشهر أغراض السيرة النبوية، وأغزرها مادة؛ لكثرة الكتب التي صنفت فيها شرقاً وغرباً.

والباحث في مجال السيرة النبوية بحاجة إلى الاطلاع على كتب الشمائل النبوية؛ لاهتمامها بالتعرف على شخص الرسول ﷺ من خلال صفاته، وكذلك لعنايتها بجانب القدوة في تصرفاته، وهذا هو الغرض الأساسي من الاطلاع على السيرة النبوية، كما أن كثيراً مما ورد بها من مرويات لا نجده في كتب السيرة الجامعة، ولا في غيرها.

ورغم كثرة كتب الشمائل وما ألف عليها شرحاً وتلخيصاً، فكثير منها لا يزال قابعاً في رفوف خزائن المخطوطات، العامة والخاصة، وما طبع منها وهو قليل طبعاته تجارية، ويحتاج إلى عناية الباحثين المتخصصين.

* * *

المبحث الثالث

كتب الخصائص

تهتم كتب الخصائص بجمع ما اختص به النبي ﷺ عن غيره، من الأنبياء، والناس أجمعين، وقد يشترك مع بعض الأنبياء في شيء منها، لكنها في مجموعها لم تكن لأحد سوى رسول الله ﷺ.

وهذه الكتب تدور على موضوعات أربعة:

- ما وجب عليه ﷺ دون غيره كالتهجد.
- ما حرم عليه دون غيره كالصدقة.
- ما أبيح له دون غيره كالجمع بين أكثر من أربع.

وقد خلص الحافظ بن كثير رحمه الله إلى أن الخصائص النبوية على قسمين:

١- ما اختص به عن سائر إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- ما اختص به من الأحكام دون أمته(٣٥٨).

ولما اشتهر عند عدد من المتقدمين أن خصائص الرسول ﷺ يتعلق بها العلم دون العمل، ولا يتصل بها حكم عملي ناجز تمس الحاجة إليه، فقد قلّت عناية العلماء بها في العصور الثلاثة الأولى، ومال المؤلفون إلى التأليف في الشمائل، والدلائل، وغيرها، ولم تنل العناية اللائقة إلا مع المتأخرين حيث كثرت واتسع مجال الاهتمام بها.

(٣٥٨) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير ١٢٨.

ويعتبر الشافعي -رحمه الله- من أقدم من ألف في هذا العلم حيث تناول مجموعة من الخصائص النبوية باختصار في كتابيه الأم والرسالة[٣٥٩].

ومن الكتب المفردة في هذا العلم، التي تدخل ضمن الفترة المدروسة: خصائص النبي ﷺ وآل بيته: لأبي جعفر أحمد بن محمد القمي، المتوفى: ٣٠١هـ[٣٦٠].

ولا يستغني دارس السيرة عن معرفة خصائص الرسول ﷺ؛ لأنها أحد أغراض السيرة النبوية، التي تَزِيد المسلم يقيناً بصدق رسول الله ﷺ، وأنه رسول الله حقاً، أمده الله بميزات وخصائص لم يُمِدّ بها أحداً من الناس.

* * *

(٣٥٩) مصادر تلقي السيرة النبوية والعناية بها عبر القرون الثلاثة الأولى: الدكتور محمد أنور البكري، ندوة العناية بالسنة والسيرة، ص: ٤١.

(٣٦٠) هدية العرافين: ١٣٤/٥.

المبحث الرابع
كتب دلائل النبوة

الدلائل: جمع دليل، وهو في اللغة العلامة، والأمارة؛ لذلك تسمى دلائل النبوة بأعلام النبوة، وعلامات النبوة، وأماراتها وآياتها.

وموضوع الحديث في دلائل النبوة هو: الاستدلال على نبوة الرسول ﷺ، على غير شرط التحدي، وهذا ما يميز الدلائل عن المعجزات، فالمعجزة: أمرٌ خارق للعادة، مصحوب بالتحدي، وسالم عن المعارضة. وعليه فالتحدي والعجز عن المعارضة شرطان ضروريان في المعجزة، بخلاف الدليل. وقد نبه على هذا الفرق كثير من العلماء مثل السهيلي[٣٦١]، وابن حجر[٣٦٢]، ورغم وضوح الفرق بين المعجزات والدلائل، لم يلتزم به أغلب العلماء، الذين ألفوا في الدلائل، حيث أوردوا مرويات البشارات، وإرهاصات النبوة والمعجزات، والدلائل، وكل ما يتعلق بقومه ﷺ، وعشيرته، وحسبه، ونسبه، واصطفاء الله له في الدنيا والآخرة.

وتنقسم الدلائل إلى قسمين: معنوي، وحسّي مادي، ويأتي على رأس الدلائل المعنوية القرآن الكريم؛ لأنه أعظم معجزات الرسول ﷺ، ثم أخلاقه الطاهرة، وأوصافه الظاهرة: من حلم، وكرم، وشجاعة، وزهد، وقناعة، وإيثار[٣٦٣].

---

(٣٦١) الروض الأنف: ٣٩٩/١.

(٣٦٢) فتح الباري: ٥٨١/٦-٥٨٢.

(٣٦٣) البداية والنهاية: ٧٢/٦.

أما الدلائل الحسية فهي: المعجزات الواضحة، مثل: انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتكثير الطعام القليل، وتسليم الشجر، والحجر عليه، وغيرها[٣٦٤].

ولهذا اتسعت كتب الدلائل لتشمل مباحث علم السيرة كلها، وهذا صنيع أبي بكر البيهقي، وغيره من أصحاب الموسوعات الكبرى في السيرة النبوية.

ومصادر دلائل النبوة هي: القرآن الكريم في إشاراته إلى كثير من المعجزات؛ كالإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وشق الصدر، وغيرها، كما تعج كتب الحديث النبوي بكثير من مروياتها، فقد أوردها البخاري في باب علامات النبوة، ضمن كتاب المناقب، وذكرها مسلم في كتاب الفضائل، ضمن باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الشجر عليه، قبل النبوة، وفي باب في معجزات النبي ﷺ، وفي باب توكله على الله، وعصمة الله له من الناس، كما ذكرها أصحاب السنن وأصحاب السير الجامعة وأصحاب كتب العقيدة وإعجاز القرآن الكريم[٣٦٥].

وقد تصدى لإفراد مرويات دلائل النبوة بالتأليف العديد من العلماء، وكان حافزهم في ذلك:

تجريد الأحداث المتعلقة بالدلائل، لارتباطها بصدق النبوة.

ثم الاستجابة لطلب السائلين بجمع ما تفرق من هذه المرويات في كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي[٣٦٦].

---

(٣٦٤) منتهى السول، عبد الله بن سعيد عبادي: ١/٥٨ – ٥٩.

(٣٦٥) من مصادر السيرة النبوية: كتب دلائل النبوة، الدكتور أحمد فكير: ٥.

(٣٦٦) انظر: ما ذكره أبو نعيم في مقدمة دلائله في بيان سبب التأليف: الدلائل: ٣٢.

ومن أهم الكتب التي أُلِّفت في دلائل النبوة:

- الحجة في إثبات نبوة النبي ﷺ، لبشر بن المعتمر المعتزلي، ٢١٠هـ[٣٦٧].
- دلائل النبوة، لمحمد بن يوسف الفريابي ٢١٢هـ[٣٦٨].
- آيات النبي ﷺ لعلي بن محمد المدائني ٢١٥هـ[٣٦٩].
- أعلام النبوة، للخليفة العباسي المأمون ٢١٨هـ[٣٧٠].
- أمارات النبوة، ليعقوب بن إبراهيم الجوزجاني ٢٥٩هـ[٣٧١].
- دلائل النبوة، لأبي زرعة الرازي ٢٦٤هـ[٣٧٢].
- أعلام النبوة، لسليمان بن أبي عصفور الفراء المعتزلي ٢٦٩هـ[٣٧٣].
- أعلام النبوة، لأبي داود السجستاني، صاحب السنن ٢٧٥هـ[٣٧٤].
- دلائل النبوة، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ[٣٧٥].
- أعلام النبوة، لأبي حاتم الرازي ٢٧٧هـ[٣٧٦].

---

(٣٦٧) الفهرست، لابن النديم: ٢٣٠.

(٣٦٨) مصادر تلقي السيرة النبوية لمحمد أنور محمد على البكري، ندوة العناية بالسيرة والسنة: ص: ٣٩ هـ ٢. الفهرست: ١٤٧.

(٣٦٩) نفسه: ١٦٣.

(٣٧٠) معجم ما أُلِّف عن رسول الله ﷺ: صلاح الدين المنجد: ٦٣.

(٣٧١) البداية والنهاية: ٢٥٩/٤ والإعلان بالتوبيخ: ١٦٦.

(٣٧٢) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: ٢٤١/١.

(٣٧٣) الفهرست، لابن النديم: ٣٠٤.

(٣٧٤) فهرست ابن خير: ١٣٢/١ وغيره.

(٣٧٥) الفهرست، لابن النديم: ١١٥.

(٣٧٦) معجم ما أُلِّف عن رسول الله ﷺ: ٦٢.

- دلائل النبوة، لإبراهيم بن الهيثم البلدي ٢٧٨هـ[٣٧٧].
- هواتف الجان، للحافظ ابن أبي الدنيا ٢٨١هـ[٣٧٨].
- دلائل النبوة، للحافظ ابن أبي الدنيا ٢٨١هـ[٣٧٩].
- دلائل النبوة، لإبراهيم بن إسحاق الحربي ٢٨٥هـ[٣٨٠].
- دلائل النبوة، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي ٣٠١هـ[٣٨١].
- المعجزات، لأبي جعفر التونسي ٣٢٢هـ[٣٨٢].
- دلائل النبوة، لإبراهيم بن حماد بن إسحاق ٣٢٣هـ[٣٨٣].
- دلائل النبوة، لأبي الحسن الأشعري ٣٢٤هـ[٣٨٤].
- هواتف الجان، أبو بكر الخرائطي ٣٢٧هـ[٣٨٥].

وهذه الكتب منها المفقود، ومنها المخطوط، ومنها المطبوع، وتتفاوت في قيمة مروياتها من حيث الصحة والضعف، ومن أحسن ما أُلِّف فيها بعد القرن الثالث: كتاب أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠ه، وكتاب أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨ه.

* * *

(٣٧٧) الإعلان بالتوبيخ: ١٦٧.

(٣٧٨) كشف الظنون: ٢/٢٠٤٧.

(٣٧٩) سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٠٢.

(٣٨٠) كشف الظنون: ١/٧٦٠.

(٣٨١) من مصادر السيرة النبوية — كتب دلائل النبوة: الدكتور أحمد فكير: ٨.

(٣٨٢) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: ١/٢٥٤.

(٣٨٣) الفهرست، لابن النديم: ٢٨٢.

(٣٨٤) تبيين كذب المفتري: ١٣٦.

(٣٨٥) شرح القصيدة الشقراطيسية، لأبي شامة الدمشقي: بتحقيق الدكتور مصطفى المسلوتي، دار الحديث الحسنية، الرباط: ٢/١٤٨.

المبحث الخامس
كتب الأنساب

تهتم كتب الأنساب بتتبع النسب النبوي، وأنساب العرب، وتشعبها على اختلاف الطوائف والقبائل، فموضوعها هو بيان نسبة المترجمين إلى قبيلة أو بلدة أو قرية أو ولاء، وإلى جانب ذلك تهتم بالترجمة للرسول ﷺ.

ويعتبر علم الأنساب من خصائص العرب، ومن العلوم التليدة عندهم، وبعد مجيء الإسلام زادت أهميته، واهتم به العلماء، حيث تتبعوا أصول العرب وغيرهم، ممن كان لهم شأن في الإسلام، فنسبوهم إلى أصولهم وأجدادهم[٣٨٦].

وتعتبر كتب الأنساب من المصادر الأصلية للسيرة النبوية؛ لأنها تجمع بين الإشارة إلى نسب رسول الله ﷺ، وأنساب أصحابه، والكلام على أحداث السيرة النبوية، كما تتوسع في ذكر الأيام والأخبار المتصلة بالأنساب.

ولأهمية علم النسب ذهب ابن حزم ٤٥٦هـ إلى القول بأن تعلمه: منه: ما هو واجب فرض، ومنه: ما هو فرض على الكفاية. يقول عن ذلك في جمهرة أنساب العرب: "فأما الفرض من علم النسب فهو أن يعلم المرء أن محمداً ﷺ، الذي بعثه الله إلى الجن والإنس، بدين الإسلام... هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، الذي كان بمكة، ورحل منها إلى المدينة... وأما الذي تكون معرفته من النسب فضلاً في الجميع، وفرضاً على الكفاية... فمعرفة أسماء أمهات المؤمنين،

(٣٨٦) انظر: مقدمة الأنساب، للسمعاني ١١/١ دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

المفترض حقهن على جميع المسلمين... ومعرفة أسماء أكـــابر الـــصحابة مـــن المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم- الذين حبهم فرض[٣٨٧].

ومن المحاولات الأولى في الكتابة حول الأنساب: ما كتبه أبـــو اليقظـــان النسابة ١٩٠هـ، الذي لم يصلنا من آثاره إلا مقتطفات في كتب تالية[٣٨٨]، وما قام به محمد بن السائب الكلبي ١٤٦هـ، وابنه هشام ٢٠٤هـ، صاحب كتـــاب جمهرة النسب[٣٨٩]، ومحاولة الهيثم بن عدي ٢٠٦هـ[٣٩٠].

ومن أهم كتب الأنساب ذات الصلة بعلم السيرة إلى بداية القرن الرابع:

- نسب قريش، لأبي عبد الله المصعب الزبيري ٢٣٦هـ[٣٩١].
- أنساب قريش، لعبد الملك بن حبيب القرطبي ٢٣٨هـ[٣٩٢].
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار ٢٥٦هـ[٣٩٣].
- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩هـ[٣٩٤].
- الأنساب، لقاسم بن أصبغ البياني القرطبي ٣٤٠هـ[٣٩٥].

---

(٣٨٧) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، بتحقيق عبـــد الـــسلام هـــارون: ٢ – ٣، القـــاهرة، دار المعارف، ط.٦.

(٣٨٨) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: عبد العزيز الدوري: ٣٩.

(٣٨٩) نفسه: ٤٠ – ٤١.

(٣٩٠) نفسه: ٤٢.

(٣٩١) عني بنشره المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال" ونشرته دار المعارف بالقاهرة ١٩٥١.

(٣٩٢) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: الدكتور محمد يسف: ٢/٩٠.

(٣٩٣) نَشَر جزأه الأول بعد شرحه وتحقيقه محمود محمد شاكر رحمه الله ١٣٨١هـ في مكتبة دار العروبة.

(٣٩٤) نَشَر جزأه الأول بعد تحقيقه الدكتور محمد حميد الله، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩م، ونَـــشَر جزأه الثاني مع الفهارس الشيخ حمد الجاسر ١٤١٩هـ.

(٣٩٥) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: ٢/٩١.

وقد جمع مصنفو كتب الأنساب بين علمي السيرة والتاريخ معاً، لأنهم في عرضهم لسلاسل الأنساب كانوا يقدمون معلومات مهمة عن ذرية من يتكلمون عنه، ذكوراً وإناثاً، مع التوقف عند بعض الأسماء التي كانت لها مكانة في الجاهلية والإسلام، كما تحفل كتبهم بشعر غزير جداً، يستشهدون به على ما يُدْلون به من أنساب أو أخبار.

وقد استهل مصعب الزبيري كتابه نسب قريش بنسب معد بن عدنان، حتى وصل إلى رسول الله ﷺ، فذكر أولاده، وأحفاده، حتى إذْ أنهى ذكرهم انتقل إلى ولد العباس، وبذلك استوفى الجزء الأول من الكتاب(٣٩٦).

وأما الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش، فينحو نحو عمه المصعب الزبيري من سوق النسب، مع تخليله بأخبار كثيرة للرجال والنساء، مع انتقاء وبعد عن التكثر، وتميز بأشياء، منها: احتفاظه بكثير من الشعر، لا نجده في مصادر أخرى، كما أمدنا بكثير من الوثائق النافعة في الاستدلال على الحياة الاجتماعية في الجاهلية والإسلام(٣٩٧).

ويعتبر كتاب أنساب الأشراف للبلاذري أغزر هذه المصنفات بمرويات السيرة النبوية، فعندما وقف على عبد الله بن المطلب تناول السيرة النبوية، بدءاً بالمولد، فالمبعث، فالهجرة، فالمغازي، والمعجزات إلى الوفاة النبوية...(٣٩٨).

* * *

(٣٩٦) نسب قريش: مصعب الزبيري: ١-٣٤.

(٣٩٧) مقدمة محمود محمد شاكر لجمهرة نسب قريش وأخبارها: ٧-٨-٩.

(٣٩٨) أنساب الأشراف، البلاذري: ٩٢/١ - ٥٧٨.

المبحث السادس
كتب الصحابة

معرفة الصحابة، وثيقة الصلة بالسيرة النبوية؛ إذ هم رجال المبعث، وشهود أحداثه، وجنود مغازيه، وقادة سراياه، ومدار وقائعه، عليهم وإليهم المرجع في تاريخ السيرة النبوية، وفي الدلائل والشمائل، والسجايا، وإليهم تؤول الأمة فيما حفظوا، ورووا من أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وأقضيته وأحكامه، لا يصح خبر منها إلا إذا اتصل إسناده، برواية العدل الضابط، عن العدل الضابط إلى الصحابي يرفعه إلى رسول الله ﷺ(٣٩٩).

وقد اهتمت كتب الصحابة بجمع تراجمهم، وأخبارهم، وجهادهم مع رسول الله ﷺ، حيث نجد فيها أحاديث عن إسلام الصحابي ومبايعته، والمشاهد التي حضرها، وغير ذلك.

ومكانة كتب الصحابة بين مصادر السيرة ترجع -في الأساس- إلى ارتباط حياته ﷺ بحياة أصحابه الكرام، الذين خصهم الله بالسابقة والنصرة والهجرة والدعوة إلى الله، والعديد من الفضائل الأخرى، وفي ذلك يقول أبونعيم: "... وحق لمن أيقن بمعبوده، ومعاده، وصدق رسوله في دعوته وإرشاده، أن يصرف بعد معرفة الله وتوحيده، العناية لمعرفة شرع رسوله، ويراعيه حق الرعاية، فيتعلم كتاب الله العزيز... ويحفظ شرع رسوله... بنقل الصحابة المرضيين، المأمورين

(٣٩٩) المصنفات المغربية في السيرة النبوية، الدكتور محمد يسف: ٤/٢.

بالإبلاغ عند من شاهدوه من المتبعين، فهم السابقون إلى الإيمان، المنتخبون للتحقق والإحسان... فيرغب في معرفة مراتبهم من السابقة والهجرة "(٤٠٠).

وقد اهتم العلماء، وبخاصة أهل الحديث، بالتصنيف في تراجم الصحابة ﷺ، يقول ابن عبد البر: "ولا خلاف علمته بين العلماء، أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكد علم الخاصة، وأرفع علم أهل الخبر، وبه ساد أهل السير..."(٤٠١).

ومن ميزات كتب الصحابة، أن دارس السيرة يجد فيها تفاصيل لا يصادفها في بقية المصادر، لاهتمامها بجمع مرويات مشاركة الصحابي في أحداث، ترتبط به، ارتباطاً وثيقاً، مثل حدث الهجرة مع أبي بكر ﷺ، وقصة تخلف كعب بن مالك في غزوة تبوك، وغيرهما.

وقد اعتمد مصنفو كتب الصحابة، في مادتهم، على المصنفات الأولى في السيرة النبوية، مثل المغازي والسير، لابن إسحاق، ومغازي الواقدي، وطبقات خليفة بن خياط، وتاريخه، وطبقات ابن سعد.

ومن أهم المصنفات في معرفة الصحابة إلى حدود بداية القرن الرابع:

- الصحابة: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٢٠٨هـ(٤٠٢).
- معرفة من نزل من الصحابة في سائر البلدان: لعلي بن المديني ٢٣٤هـ(٤٠٣).

---

(٤٠٠) معرفة الصحابة، أبو نعيم: ١٠٦/١.

(٤٠١) الاستيعاب، ابن عبد البر: ٢٣.

(٤٠٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ٦٢.

(٤٠٣) علم الرجال: نشأته، وتطوره، د. محمد بن مطر الزهراني: ٩٨.

- الصحابة: لعبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الدمشقي، المعروف بدحيم ٢٤٥هـ[٤٠٤].
- تاريخ الصحابة، لمحمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ[٤٠٥].
- الصحابة، لأبي زرعة الرازي ٢٦٤هـ[٤٠٦].
- الصحابة، لأحمد بن سيار المروزي ٢٦٨هـ[٤٠٧].
- الصحابة، لأبي بكر أحمد بن عبد الله المعروف بابن البرقي[٤٠٨].
- الصحابة، لأبي حاتم الرازي ٢٧٧هـ[٤٠٩].
- الصحابة، لأبي جعفر محمد بن عبد الله الحضرمي مطين ٢٩٧هـ[٤١٠].
- الصحابة، لأبي منصور محمد بن سعد الباوردي ٣٠١هـ[٤١١].
- الصحابة، للحافظ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازي، الملقب بعبدان ٣٠٦هـ[٤١٢].

وقد تطورت كتب الصحابة، وتوسعت، لتصبح مع ابن عبد البر ثم ابن الأثير، وبعدهما ابن حجر، موسوعات شاملة، تحفل بأدق التفاصيل عن أحوال

---

(٤٠٤) جامع المسانيد، للحافظ ابن كثير ٢/ق ١١٩.

(٤٠٥) الإصابة، لابن حجر: ٣/١.

(٤٠٦) علم الرجال: نشأته، وتطوره: ٩٨.

(٤٠٧) جامع المسانيد: ١/ق ١٤٨.

(٤٠٨) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ٥٧٠/٢.

(٤٠٩) جامع المسانيد: ١/ق ١٥٦.

(٤١٠) الإصابة، لابن حجر: ٣/١.

(٤١١) تهذيب التهذيب: ٢٧١/١٢.

(٤١٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ٦٣.

الصحابة ﷺ.

ولا ننسى أن نشير إلى أن كتب الطبقات والتـــواريخ العامـــة والخاصـــة، وتواريخ البلدان لا تخلو من مادة عن الصحابة، كما اهتم بعض العلماء بالتأليف في فضائل الصحابة، مثل عبد الملك بن حبيب القرطبي ٢٣٨هـ[٤١٣]، والإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ[٤١٤]، وأبي عبد الـــرحمن النـــسائي ٢٤١هـــــ[٤١٥]، وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي ٣٤٣هـ[٤١٦].

* * *

(٤١٣) المصنفات المغربية في السيرة النبوية: ٢/٨.

(٤١٤) علم الرجال: نشأته، وتطوره: ١٠٤.

(٤١٥) نفسه: ١٠٤.

(٤١٦) نفسه: ١٠٤.

المبحث السابع
كتب الطبقات

تهتم هذه الكتب بتراجم الرجال، مرتبة حسب الطبقات، وذلك لتمكين الدارسين من التمييز بين الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين ولهذا الترتيب فائدته في معرفة الحديث المرسل، أو المنقطع، وتمييزه عن الحديث المسند، وفي التمييز بين الأسماء المتفقة والمتشابهة(٤١٧).

وترد السيرة النبوية في كتب الطبقات بأشكال مختلفة، حيث يخصها بعض المؤلفين بحيز وافر، كما أن تراجم الصحابة، التي تضمها، تشتمل على قدر كبير من مشاركاتهم في السيرة، إلى جانب الرسول ﷺ، بالإضافة إلى المعلومات الأخرى، كالأنساب، والأشعار، وغير ذلك.

ومن أشهر المصنفات في الطبقات:

- الطبقات، لمحمد بن عمر الواقدي ٢٠٧هـ، وقد أكثر محمد بن سعد النقل عنها في كتاب الطبقات الكبرى(٤١٨).
- الطبقات، للهيثم بن عدي ٢٠٧هـ(٤١٩).
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد ٢٣٠هـ(٤٢٠).

(٤١٧) بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الدكتور أكرم ضياء العمري: ٧٣ – ٧٤.

(٤١٨) الفهرست، لابن النديم: ١٥١.

(٤١٩) نفسه: ١٥٢.

(٤٢٠) أول من نشره هو المستشرق الألماني "ساخاو" وتلامذته، ما بين ١٩٠٤-١٩١٨م، وعن هذه =

- الطبقات، لعلي بن المديني ٢٣٣هـ[٤٢١].
- طبقات إبراهيم بن المنذر ٢٣٦هـ[٤٢٢].
- طبقات خليفة بن خياط العصفري ٢٤٠هـ[٤٢٣].
- طبقات مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ[٤٢٤].
- طبقات أبي بكر البرقي ٢٧٠هـ[٤٢٥].
- طبقات أبي حاتم الرازي ٢٧٧هـ[٤٢٦].
- طبقات أبي زرعة الدمشقي ٢٨٢هـ[٤٢٧].

وهذه الكتب وإن كانت تتجاذبها عدة علوم، كالتاريخ، والحديث،

=

الطبعة نقلت طبعة دار صادر في بيروت، وطبعة دار التحرير بالقاهرة، مع حذف تعليقات المستشرقين، وهذه الطبعة ناقصة في أماكن كثيرة، وقد قام الدكتور زياد محمد منصور بنشر القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، كما قام الدكتور محمد بن صامل السلمي بتحقيق جزء الطبقة الخامسة من طبقات الصحابة، وهي بعنوان من توفي عنهم رسول الله ﷺ وهم أحداث أسنان، وأصلها كذلك رسالة علمية في جامعة أم القرى، وحقق الدكتور عبد العزيز السلومي الطبقة الرابعة من الصحابة الذين أسلموا عند فتح مكة وما بعد ذلك، وقد قام بعض أصحاب المطابع بجمع هذه النواقص وإلحاقها بالأصل في طبعات تجارية لم تنل بعد عناية الدارسين والمحققين المختصين.

(٤٢١) فهرست ابن خير الإشبيلي: ٢٢٥.

(٤٢٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ٧٤.

(٤٢٣) تحقيق وتقديم الدكتور أكرم ضياء العمري نشر دار طيبة الرياض، ط.١، ١٩٦٧.

(٤٢٤) مقدمة تحقيق الطبقات لخليفة بن خياط، الدكتور أكرم ضياء العمري: ٤٣ م.

(٤٢٥) نفسه: ٧٤.

(٤٢٦) نفسه: ٧٤.

(٤٢٧) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ٧٥.

والتراجم، فهي بعلم السيرة ألصق، ولا أدل على ذلك من صنيع محمد بن سعد في أشهر كتاب للطبقات، وهو طبقاته الكبرى، فقد احتوى هذا الكتاب على ثمانية أجزاء، صنف فيها الرواة على اختلاف طبقاتهم، فعرض في الجزأين الأولين لسيرة رسول الله ﷺ، مع التقديم بفصل تمهيدي تناول فيه تاريخ الأنبياء السابقين، وتاريخ أجداد النبي ﷺ، وفي حديثه عن حياة الرسول ﷺ، نجده يتناول السيرة بتفصيلٍ من المولد إلى المبعث والهجرة فالمغازي والوفاة النبوية والمراثي، وفي الجزء الثالث بقسميه تناول البدريين: مكيين ومدنيين، وفي الجزء الرابع ترجم للمهاجرين والأنصار الذين لم يشهدوا بدراً، وقدم من أسلموا قديماً، ثم ذكر بعدهم من أسلموا قبل فتح مكة، وفي الجزء الخامس ترجم لأهل المدينة من الصحابة ومن بعدهم، وهكذا إلى أن ختم الجزء الثامن بتراجم النساء اللاتي شاركن في حياة الرسول ﷺ الخاصة والعامة، وروين الحديث النبوي الشريف، فمن خلال هذا العرض نلاحظ أن كتب الطبقات تشتمل على كثير من مرويات السيرة النبوية، وتنفرد بروايات لا نجدها في مصادر أخرى، كما أن منهجية تصنيفها فريدة، تُظْهِر لنا تطور الكتابة في السيرة النبوية بعد زمن ابن إسحاق.

* * *

الفَصْلُ الخَامِسُ

المصدر الخامس: كتب التاريخ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كتب التاريخ العام مصدراً للسيرة النبوية.

المبحث الثاني: كتب الحرمين الشريفين.

الفصل الخامس
المصدر الخامس: كتب التاريخ

اهتم المؤرخون بالسيرة النبوية؛ لأنها تعتبر النواة الأولى، والأساس الذي بني عليه تاريخ الإسلام كله، وهي التي كانت حافزاً للمسلمين على تدوين التاريخ، ورفعته إلى مصاف العلوم الإسلامية، وأحلته مكانة مهمة ضمنها.

وقد ألف العلماء كتباً كثيرة في التاريخ، تتسع للعديد من الأغراض، وتتنوع مناهج أصحابها في تناول الأحداث، وسنقتصر في بيان اهتمام المؤرخين بالسيرة النبوية على كتب التاريخ العام، وكتب تاريخ الحرمين الشريفين.

المبحث الأول
كتب التاريخ العام مصدراً للسيرة النبوية

تعنى كتب التاريخ العام بالتأريخ للدول والأمم والأقوام، وهي على نوعين:

أ- كتب ابتدأ مؤلفوها بتاريخ الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ثم تناولوا بعد ذلك تاريخ العرب قبل الإسلام ليصلوا إلى عصر المبعث، ثم الخلافة الراشدة، وما تلاها من أخبار دولة الإسلام حتى زمن المصنف.

ب- كتب استهلها مصنفوها بالمولد النبوي، مروراً بتاريخ صدر الإسلام، إلى الفترة التي عاش فيها المؤلف.

ومن أشهر كتب التاريخ العام، التي اهتمت بالسيرة النبوية:

- تاريخ خليفة بن خياط العصفري ت٢٤٠هـ[٤٢٨].
- كتاب المحبر، لابن حبيب البغدادي ت٢٤٥هـ[٤٢٩].
- تاريخ اليعقوبي: مات بعد ٢٩٢هـ[٤٣٠].
- فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت ٢٧٩هـ[٤٣١].
- تاريخ الأمم والرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ[٤٣٢].
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦هـ[٤٣٣].
- البدء والتاريخ، لابن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ[٤٣٤].

ويلاحظ على هذه الكتب أنها نقلت لنا المرويات، التي جمعها المحدثون والأخباريون وأهل السيرة، خلال القرن الثاني، ومن أهم مواردها: كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، وسيف بن عمر التميمي، فضلاً عن مرويات ابن إسحاق، وموسى بن عقبة.

(٤٢٨) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٨٨.

(٤٢٩) نشرته دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان ١٤٠٣هـ.

(٤٣٠) تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار العراق، ١٩٦٠م.

(٤٣١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، بيروت، لبنان، ١٩٦٠م.

(٤٣٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة.

(٤٣٣) طبع الكتاب في ستة أجزاء، ما بين ١٨٩٩ – ١٩١٩م، مع تعليقات بالفرنسية باهتمام المستشرق الفرنسي "كليمان هوار" ثم أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، ويقول الزركلي: وله بقية ما زالت مخطوطة.

(٤٣٤) البدء والتاريخ: طاهر بن مطهر المقدسي، نشرة "كليمان هوار" باريس ١٨٨٣ –١٩١٩م.

وبالنظر إلى هذه الكتب، نجد خليفة بن خياط بمنهجه في التصنيف الـذي يعتمد على الاختصار، يكثر من إيراد الأخبار المشهورة عند أهل السير، علـى عكس الطبري، الذي يعتمد على البسط والإكثار من إيراد الروايات العديـدة، استناداً إلى مصادر مختلفة، بعضها لا يستوفي شروط الصحة، وأغلـب كتـب التاريخ تورد الصحيح والضعيف والواهي والموضوع في أخبار السيرة، مما يجعل دارس السيرة محتاجاً إلى تمحيص هذه الروايات قبل الاستشهاد بها.

ونحن لم نفصل في مناهج هذه الكتب ومحتوياها في هذا الفـصل؛ لأننـا سنعود إليها في القسم الثاني بشيء من التدقيق إن شاء الله تعالى.

* * *

المبحث الثاني
كتب الحرمين الشريفين

يقصد بالمؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين: الكتب التي ألفت في تاريخ مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، أو هما معاً، وركز مؤلفوها على تاريخ ما قبل الإسلام وما بعده، كما اهتموا بتاريخ الكعبة المشرفة، وعدد مرات بنائها، والقبائل التي استقرت في مكة، والقبائل التي سكنت يثرب.

وعلاقة السيرة النبوية بهذه الكتب، تظهر بالنظر إلى أن أحداثاً كثيرة ارتبطت بتاريخ الحرمين، تفيدنا في مجال السيرة، مثل: واقعة الفيل، وجيش أبرهة، وأخبار السيل الذي جرف الكعبة في الجاهلية... فهذه أحداث عاشها النبي ﷺ قبل بعثته، وارتبط بها التاريخ لحياته، كما أن مبادرة الأوس والخزرج إلى الإيمان، والتصديق بدين الإسلام، لا يمكن فهمها إلا من خلال ربطها بطبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين سكان يثرب وغيرهم من القبائل اليهودية المجاورة.

ومن أبرز كتب تاريخ الحرمين الشريفين:

- تاريخ المدينة، لابن زبالة توفي قبل ٢٠٠هـ[٤٣٥].

---

(٤٣٥) في جرد المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين إلى بداية القرن الرابع، راجع: مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٧٧ – ٧٩.

- تاريخ مكة، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي ٢٥٠هـ[٤٣٦].
- تاريخ المدينة، لأبي عبد الله الزبير بن بكار ٢٥٦هـ.
- تاريخ المدينة، لعمر بن أبي شبة ٢٦٢هـ[٤٣٧].
- تاريخ مكة، للفاكهي ٢٨٠هـ[٤٣٨].

وبنظرةٍ سريعة في هذه الكتب نلاحظ أن كتاب الأزرقي حافل بالآثار المتصلة بتاريخ السقاية، وأخبار سدنة الكعبة في الجاهلية والإسلام، وعلاقة القبائل المجاورة بخدمة الكعبة المشرفة.

كما تضمن تاريخ المدينة لعمر بن شبة نصوصاً كثيرة عن مساجد الرسول ﷺ، والأماكن التي كان يصلي فيها، وتضمن أخباراً عن آبار المدينة في العهد النبوي، وعن مواقع منازل بعض الصحابة ﷺ، وغير ذلك مما له تعلق بعصر المبعث.

وينبغي أن ينتبه دارس السيرة في شأن الاستفادة من هذه الكتب إلى أمرين:

١- لقد تضمنت هذه الكتب، بخصوص أحداث السيرة ووقائعها، أخباراً وروايات ضعيفة ومرسلة، كما تضمنت أحاديث صحيحة، فعليه أن يعرض الروايات بعضها على بعض وعلى الروايات الصحيحة، خاصة فيما يتصل بعصر المبعث.

---

(٤٣٦) حققه الشيخ رشدي صالح ملحس.

(٤٣٧) طبعه الشيخ حبيب محمود أحمد، بتحقيق فهيم شلتوت ١٣٩٩هـ.

(٤٣٨) طبع المستشرق الألماني "وستنفلد" زياداته على الأزرقي، والكتاب له مخطوطات كثيرة في الخزائن، طبع مصوراً في بيروت، عام ١٩٦٤م، وحققه: عبد الملك بن دهيش ١٤٠٧هـ.

٢- بخصوص المعالم التاريخية التي تحدثت عنها هذه الكتب فقد طالها التطـــور، والتغيير في الأسماء، وفي الجغرافية، بما يلزم معه الرجوع إلى الكتـــب الـــتي أُلِّفت في الحرمين الشريفين حديثاً(٤٣٩).

* * *

(٤٣٩) منها عدد من المؤلفات، التي نشرتها الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة ســـنة علـــى تأســـيس المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٩هـ، وأهمها:

- تاريخ الكعبة المعظمة، لحسين باسلامة، نشر ١٣٥٤هـــ، وأُعيد نشره ١٤١٩هـــ.
- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، لأحمد ياسين الخياري، نشر عام ١٤٠٥هـــ، وأُعيد نـــشره ١٤١٩هـ.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة، ١٤٠٢هـ.
- وكتب ومقالات علامة الجزيرة حمد الجاسر، مثل المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، وغيره.

الفصل السادس

المصادر الاستئناسية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كتب الأدب مصدراً للسيرة النبوية.

المبحث الثاني: كتب الجغرافيا والبلدان.

الفصل السادس

المصادر الاستئناسية

بعد المصادر الأساسية للسيرة النبوية، والتي ذكرناها مرتبة حسب أهميتها، حتى يكون دارس السيرة على علم بمحتوياتها، ومناهجها، وطريقة الاستفادة منها، لابد أن نشير إلى أن هناك مصادر أخرى تكميلية، تشتمل على كثير من المعلومات، والأشعار، والأخبار التي يحسن الرجوع إليها، والاستئناس بها؛ لأنها تضيء لنا جوانب أخرى من السيرة النبوية، وتؤكد على ثرائها العلمي والمعرفي وشمولها ... ومن أبرز المصادر الاستئناسية: كتب الأدب، وكتب الجغرافية والبلدان.

المبحث الأول

كتب الأدب مصدراً للسيرة النبوية

والمراد بها: مجاميع النثر والشعر، التي أُلِّفت خلال القرون الثلاثة الأولى، والتي حفظت لنا أخباراً ضاعت في الغالب مصادرها لكن يجب التعامل معها بحذر، طالما أن مروياتها لا تنقل بالإسناد المتصل دائماً.

ومن مجاميع النثر: كتب الجاحظ ت٢٥٥هـ، مثل: كتاب "البيان والتبيين"، الذي يعج بأخبار السيرة، ومؤلَّفه الأشهر: "البرصان والعرجان والعميان والحولان..."، الذي يوجد به من أخبار السيرة ما لا يوجد في غيره، وسبب

تأليفه أن الهيثم بن عدي، لما صنف "المثالب الكبير"، و"المثالب الصغير"، تحدث فيهما عن ذوي العاهات من أشراف العرب، ومن الصحابة ﷺ، وأظهر أنها من معايبهم، فانتفض الجاحظ، وألف كتابه في الرد عليه معتمداً على مصادر متعددة، مثل كتب أبي عبيدة، وابن الكلبي. وفي ثنايا أخباره يورد الكثير من وقائع الجاهلية، وصدر الإسلام(٤٤٠).

ومن مجاميع كتب النثر، التي احتفظت بأخبارٍ تتصل بالسيرة، أيضاً: كتاب "العقد الفريد"، لابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ، قال عنه الحميدي: "... من أهل العلم والأدب والشعر، وله الكتاب الكبير المسمى "كتاب العقد في الأخبار"(٤٤١)، وقال عنه الحافظ الذهبي في ترجمته ضمن السير: "سمع بقي بن مخلد، وجماعة، وكان موثقاً نبيلا بليغاً شاعراً"(٤٤٢)، ورغم ما قيل عن كتابه،

---

(٤٤٠) يقول الجاحظ في مقدمة كتابه: "وذكرت لي كتاب الهيثم بن عدي في ذلك، وقد خبّرتك أن لم أرض بمذهبه، ولم أحبه له حظاً في حياته، ولا لولده بعد مماته... ولو لا أن الذي أكتبه إليك مجانب لطرق الهيثم، وخارج مما يشتهيه الرّيض المتكلف الملول، وأنه كتاب جد غير هزل، لما كتبته لك، قال الهيثم بن عدي: العرج الأشراف: أبو طالب، معاذ بن جبل، عبد الله بن جذعان، الحارث بن أبي شمر...، ولكن ما معناه في أن أبا فلان كان أعمى، إذا لم يكن إنما اجتلب ذكر العرج والعمى، ليجعل ذلك سبباً إلى قصص في أولئك العرجان، وإلى فوائد أخبار في أولئك العميان، وإلى أن جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء...". انظر: كتاب البرصان والعرجان والعميان: ص ٤ وما بعدها، بتحقيق محمد مرسي الخولي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. ٢، ١٤٠١هـ.

(٤٤١) جذوة المقتبس، الحميدي: ١٠٤.

(٤٤٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٩/٤٦٣.

ومحتوياته، ومصادره، ففيه فوائد عن السيرة النبوية، والحديث، وحياة الصحابة، يجب أن تؤخذ ممحصة مدققة(٤٤٣).

ومن أبرز الكتب الأدبية، التي يحسن بدارس السيرة الاستئناس بها: كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، ت٣٥٦هـ، وقد وُصف أبو الفرج بأنه كان بحراً في نقل الآداب، وبصيراً بالأنساب، وأيام العرب، وجيد الشعر(٤٤٤)، ورغم ما قيل عن تشيعه، وامتلاء كتابه بالهزل، والضلال، والملاهي، ففي رواياته ما يمكن اعتماده، وقد اعتمده كثير من العلماء -ومنهم ابن حجر في الفتح، والإصابة- في استخراج أخبار الصحابة ﷺ في مواضع، ويمكن الرجوع إليه لدحض ما ورد به من روايات شنيعة عن آل البيت النبوي، ومرويات تجرح في سيرة الصحابة الكرام ﷺ(٤٤٥).

يقول الدكتور فاروق حمادة: "فإذا ما وجدنا شيئاً يتعلق بالسيرة والسنة والصدر الأول -ولا شك أن في كتاب أبي الفرج الكثير- فلنا أخذه بالميزان، وتقويمه بمنهج علماء المسلمين في الجرح والتعديل، إسنادا، ومتنا،..."(٤٤٦).

ولا ينبغي أن نغفل كتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ، مثل: أدب الكاتب، وكتاب الكامل في اللغة، والأدب، لمحمد بن يزيد المعروف بالمبرد ٢٨٥هـ، وكتب الصولي أبي بكر بن محمد بن يحيى ٣٣٥هـ، مثل: الأوراق، وأدب الكاتب، وكتب الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس

---

(٤٤٣) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ١٠١.

(٤٤٤) ميزان الاعتدال: ١٢٣/٣.

(٤٤٥) كتب حذر منها العلماء: مشهور بن حسن آل سلمان: ٢٤/٢، وما بعدها.

(٤٤٦) مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ١٠٠.

٣٣١هـ، مثل: الوزراء، والكتاب، وكتب القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم ٣٥٦هـ، مثلا: الأمالي[٤٤٧].

فهذه الكتب وإن كان غرضها الأساس هو الأدب، وطُرَفُهُ، والبلاغة وسحرها، فقد ساقت العديد من أخبار السيرة، والخطب، والحديث النبوي، والبلاغة النبوية، ورغم ورود هذه الأخبار بالأسانيد، فإنه لا ينبغي الاطمئنان إليها، إلا بعد تمحيصها، وبعد ذلك فإنها تأتي في درجة متأخرة من حيث الاعتماد، كمصدر من مصادر السيرة النبوية.

أما كتب الشعر، فمن ألصقها بالسيرة النبوية: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، ٢٣١هـ، ففي كلام ابن سلام عن متمم بن نويرة، ضمن طبقة أصحاب المراثي، جاء بأخباره مع رسول الله ﷺ[٤٤٨]، ولما وصل إلى "طبقة شعراء القرى العربية"، ذكر في أخبار شعراء المدينة حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة[٤٤٩]، كما ذكر قصة أبي قيس بن الأسلت، الذي أقبل يريد النبي ﷺ، فصده عبد الله بن أبي[٤٥٠]، وقصة قيس بن الخطيم، الذي أسلمت زوجته قبل الهجرة، وكان يعرضها للفتنة[٤٥١]، وفي شعراء مكة ذكر أخبار عبد الله ابن الزِّبَعْرى، وأبي طالب بن عبد المطلب، والزبير ابن عبد المطلب، وغيرهم ... كما انتقد صنيع ابن إسحاق فيما يرويه من شعر

(٤٤٧) نفسه: ٩٧ وما بعدها.

(٤٤٨) طبقات فحول الشعراء: ١/٢٠٥.

(٤٤٩) نفسه: ١/٢١٥-٢٢٦.

(٤٥٠) نفسه: ١/٢٢٧.

(٤٥١) نفسه: ١/٢٣١.

السيرة النبوية[٤٥٢].

ويأتي بعد كتاب ابن سلام: مصنف ابن قتيبة ٢٧٦هـ، "الشعر والشعراء " وقد ترجم فيه بدوره لعدد من الصحابة الشعراء، وذكر قبائلهم ،وأحـــوالهم في الشعر، وما يستحسن من أخبارهم، وما يستجاد من شعرهم[٤٥٣].

* * *

(٤٥٢) قال ابن سلام في كلامه على شعر أبي سفيان بن الحارث: "ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعراً، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهـــم". طبقـــات فحـــول الشعراء: ٢٤٧/١.

(٤٥٣) انظر: الشعر والشعراء: بيروت، دار الكتب العلمية، ط. ٩، ١٤٠١هـ.

المبحث الثاني
كتب الجغرافيا والبلدان

ترد ضمن مرويات السيرة النبوية العديد من أسماء المواضع والأماكن في الجزيرة العربية، كما يرد ضمنها وصف لعدد من المسالك، والطرق القديمة، والتضاريس، وقد اهتمت كتب غريب الحديث، وكتب شروح أمهات كتب الحديث بضبط وبيان كثير من هذه الأسماء والأماكن.

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: "وكتب الجغرافية التاريخية، تلقي ضوءاً على تضاريس الجزيرة العربية، التي دارت فيها أحداث السيرة، وتبين مستوى المعيشة، وحاصلاتها الزراعية، وتحدد المسافات بين الأماكن، وتوضح توزيع العشائر"(٤٥٤).

والمؤلفات في جغرافية السيرة النبوية تأخرت بعض الشيء عن الفترة التي ندرسها، وحتى من صنف في ذلك لم يقصد التعريف بمواقع السيرة وحدها، بل خلطها بغيرها، وهذا صنيع أبي عبيد البكري ٤٨٧هـ، في "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، وياقوت الحموي ٦٢٦هـ، صاحب "معجم البلدان"، فقد ورد بهما تعريفٌ لقسط لا بأس به من مواضع السيرة(٤٥٥).

(٤٥٤) السيرة النبوية الصحيحة، جـ١، ص٧١.

(٤٥٥) ذكر ياقوت في مقدمة معجمه أن من أسباب تأليفه للكتاب خلافاً كان بينه وبين أحد معاصريه، حول ضبط اسم "حباشة" بالشكل، وهو موضع سافر إليه النبي ﷺ قبل بعثته. معجم البلدان ١/١٠-١١، وفي الفائق، للزمخشري، رواية عن عائشة رضي الله عنها أن أخاها =

وبما أن متطلبات الدراسة العلمية للسيرة النبوية أصبحت توجب تدقيق وضبط أسماء المواضع، فإن القيام بهذه الدراسة تفرض الاعتماد على الدراسات الحديثة، والمتخصصة في جغرافية الجزيرة العربية في أفق إدماج هذه الدراسات ضمن مصادر السيرة النبوية المعتمدة.

وقد بذل العديد من العلماء، قبل عقود قريبة، جهوداً مشكورة في هذا المجال، مثل أبي الحسن الندوي، وأبي الأعلى المودودي، والدكتور محمد حميد الله، من خلال زياراتهم للمواقع، وضبطها، ورسم أشكال تقريبية للجزيرة العربية، بقبائلها، وتضاريسها، وخرائط المغازي والسرايا.

ومن الدراسات المهمة في هذا المجال أبحاث الأساتذة: محمد الشايع، وحمد الجاسر، ومحمد بن بليهد، وسعد بن جنيدل، وعبد الله بن خميس، وأخيراً شوقي أبو خليل في أطلس السيرة النبوية(٤٥٦).

* * *

=

عبد الرحمن توفي بالحبشي على رأس أميال من مكة. انظر: الفائق في غريب الحديث: ٣/٢٥.

(٤٥٦) راجع للأستاذ الشايع: نظرات في معجم البلدان، وعكاظ الأثر المعروف سماعاً، والمجهول مكاناً. وبين اليمامة وحجر اليمامة، وللأستاذ حمد الجاسر "المعجم الجغرافي للبلاد العربية، ومدينة الرياض عبر أطوار التاريخ"، ومقالاته في مجلة العرب وفصلية الدارة، وغيرها.

القسم الثاني

السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين
مع الموازنة بين منهجيهما

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التأليف في السيرة عند المحدثين.

الفصل الثاني: المدارس التاريخية الإسلامية إلى بداية القرن الرابع الهجري.

الفصل الثالث: مناهج المؤرخين في دراسة السيرة النبوية.



الفصل الأول

التأليف في السيرة عند المحدثين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أوائل علماء السيرة من رجال الحديث النبوي، وإسهاماتهم في مجال السيرة النبوية: تأليفاً، ورواية.

والمبحث الثاني: عرض مجمل لمنهج المحدثين في رواية أخبار السيرة النبوية.

والمبحث الثالث: موقف حفاظ الحديث من المصنفات الأولى في السيرة والمغازي.

الفصل الأول

التأليف في السيرة عند المحدثين

إذا كان أوائل المشتغلين بالسيرة من طبقة التابعين كلهم محدثين، فإن تطور علم السيرة النبوية خلال القرن الثاني للهجرة جعل هذا العلم يتجاذبه جانبان:

أولهما: الجانب الحديثي، فعلم السيرة نُقل بالأسانيد، كما أن المصنفين في الحديث خصصوا أبواباً من كتبهم لمرويات بدء الوحي، والمغازي، والجهاد، والسير، وفضائل الصحابة...

الثاني: الجانب التاريخي، الذي يهتم بتفصيل الأخبار، وترتيب الوقائع، وجزئيات الأحداث، مع تسلسل ذلك على السنوات(٤٥٧).

وإذا نظرنا إلى مناهج المؤلفين في السيرة منذ القرن الثاني، فإننا نجدها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: درج أصحابه على طريقة المحدثين في قبول الروايات، وفي التبويب للأخبار، ومن هؤلاء: موسى بن عقبة، وأبو إسحاق الفزاري..

القسم الثاني: سلك منهج المؤرخين في استيعاب الأخبار، وترتيبها على الحوليات، دون التدقيق في القبول والرد، ومن هؤلاء الواقدي، والبلاذري..

القسم الثالث: جمع بين منهج المحدثين والمؤرخين، وأول من مثل هذا

---

(٤٥٧) الاتجاهات المعاصرة في كتاب السيرة، "هرماس"، ضمن مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٥، ص ٨٧.

القسم: ابن إسحاق، ثم خليفة بن خياط.. وقد بلغ هذا المنـــهج أوج تطـــوره خلال القرن الثامن، مع الحافظ الذهبي في القسم المخصص للسيرة من تاريخـــه، ومن سير أعلام النبلاء، والحافظ ابن كثير في قسم السيرة من البداية والنهاية.

واعتباراً لذلك، سيتم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أوائل علماء السيرة من رجال الحديث النبوي، وإسهاماتهم في مجال السيرة النبوية: تأليفاً، ورواية.

والمبحث الثاني: عرض مجمل لمنهج المحدثين في رواية أخبار السيرة النبوية.

والمبحث الثالث: موقف حفاظ الحديث من المصنفات الأولى في الـــسيرة والمغازي.

* * *

المبحث الأول

أوائل علماء السيرة من رجال الحديث النبوي، وإسهاماتهم في السيرة النبوية: تأليفاً ورواية

حينما ابتدأ جمع السنة النبوية على عهد كبار التابعين، اهتم رواة الحديث بتتبع أخبار المغازي النبوية، ونقلها وروايتها، ولذلك فإننا نجد في كتب تواريخ المحدثين تراجم رواة السيرة، وظل الأمر على ذلك حتى منتصف القرن الثاني الهجري، الذي توفي فيه ابن إسحاق(٤٥٨).

وكما اهتم المحدثون من التابعين برواية أخبار السيرة اهتموا، أيضاً، بجمعها وتدوينها قبل أن تدخل السيرة النبوية إلى مرحلة التصنيف، خلال القرن الثاني، الذي تم فيه استيعاب مرويات هذا العلم.

المطلب الأول

أعلام مدوني السيرة من طبقة التابعين

لم يكتف كبار التابعين بسماع السيرة ورواية أحاديثها، بل اتجهوا في فترة مبكرة إلى تدوينها، وكانت مبادرتهم إلى التدوين ترجع إلى حرصهم على ضبط ما تلقوه عن شيوخهم من الصحابة، وأيضاً، استجابة لطلب معاصريهم، ووجد من هؤلاء المدونين من قصده بعض صغار الصحابة للسؤال، وأشهر مدوني السيرة الأوائل أربعة من كبار التابعين:

---

(٤٥٨) انظر في ذلك: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دراسة منهجية في علوم الحديث، د. فاروق حمادة، ص ١١٦ – ١٢٤.

١- عروة بن الزبير بن العوام ت ٩٤هـ: سمع من أبي حميد الساعدي، وابن عباس، وأبي هريرة، والمغيرة بن شعبة، وعائشة، وعبد الله بن عمر...، روى عنه الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعمرو بن دينار[٤٥٩]...، أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة: "كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعمرو بن عبد الرحمن"[٤٦٠]، ونقل عن حميد بن عبد الرحمن: "لقد رأيت الأكابر من أصحاب النبي ﷺ، وإنهم ليسألونه عن قصةٍ ذكرها"[٤٦١].

وقد نقل عدد من كتب التاريخ، والتراجم، أنه ألف في المغازي، ففي خبر وفاته ضمن "البداية والنهاية" نقل ابن كثير عن الواقدي أن عروة "كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير، وهو أول من صنف المغازي، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه"[٤٦٢].

وفي ترجمة أبي الأسود، محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، ضمن سير أعلام النبلاء، قال الذهبي: "نزل أبو الأسود مصر، وحدث بها بكتاب المغازي لعروة ابن الزبير"[٤٦٣]، وقد عمد د. محمد مصطفى الأعظمي إلى استخراج "مغازي عروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه" من الكتب، وطبعها مكتب التربية العربي

---

(٤٥٩) التاريخ الكبير، جـ ٧، ص ٣١، الجرح والتعديل، جـ ٦،ص ٣٩٥، تهذيب التهذيب، جـ ٤ ص ١١٧.

(٤٦٠) الجرح والتعديل ج، ٦، ص ٣٩٦.

(٤٦١) تهذيب التهذيب، جـ ٦، ص ١١٨.

(٤٦٢) البداية والنهاية، جـ ٩، ص ١٠١.

(٤٦٣) سير أعلام النبلاء، جـ ٥، ص ٨٩.

لدول الخليج بمناسبة بدء القرن الخامس عشر للهجرة[٤٦٤].

٢- أبان بن عثمان بن عفان ت ١٠٥هـ: روى عن أبيه، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، روى عنه الزهري، وأبو الزناد، وعبد الله بن أبي بكر...[٤٦٥]، قال ابن سعد: "كان قليل الحديث"[٤٦٦]، وقد نُقل في كتب التراجم أن أبانَ ممن ألف في المغازي، ففي ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن، ضمن "الطبقات الكبرى": "...وكان ثقة قليل الحديث إلا مغازي رسول الله ﷺ، أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما تقرأ ويأمرنا بتعليمها "[٤٦٧].

٣- شرحبيل بن سعد ت ١٢٣هـ: روى عن زيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن عباس، وجابر...، روى عنه يحيى بن سعيد، ومالك ابن أنس، وابن أبي ذئب، وابن إسحاق...[٤٦٨]، قال ابن أبي حاتم: "كان عالماً بالمغازي"[٤٦٩]، وقال ابن سعد: "كان شيخاً قديماً روى عن زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي إلى آخر

---

(٤٦٤) مغازي رسول الله ﷺ: عن عروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(٤٦٥) التاريخ الكبير، جـ١، ص٤٥٠، الجرح والتعديل، جـ٢، ص٢٩٥، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٧، التعريف بمن ذكر في الموطأ لابن الحذاء، جـ٢، ص٢٣، تهذيب التهذيب، جـ١، ص٦٥.

(٤٦٦) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ١٠٨.

(٤٦٧) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ١٠٨.

(٤٦٨) التاريخ الكبير، جـ ٢ ص ٢٥١.

(٤٦٩) الجرح والتعديل، جـ ٤ ص ٣٩٩.

الزمان، حتى اختلط، واحتاج حاجة شديدة..." [(٤٧٠)].

ونقل ابن أبي حاتم عن ابن عيينة "... لم يكن بالمدينة أحد أعلم بالمغـــازي والبدريين منه، فاحتاج، فكأنهم اتهموه"[(٤٧١)]، وفي التهذيب: "لم يكن أحد أعلم بالبدريين منه، وأصابته حاجة، فكانوا يخافون إذا جاء إلى الرجل فلم يعطـــه أن يقول لم يشهد أبوك بدراً"[(٤٧٢)].

٤- محمد بن مسلم بن شهاب ت١٢٤هـ: روى عن أنس، وسهل بن ســـعد، وأبي الطفيل...، روى عنه منصور بن المعتمر، وعمرو بن شعيب، ويحـــيى بـــن سعيد الأوزاعي، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق...، وقال الإمام مالـــك: أول من أسند الحديث ابن شهاب[(٤٧٣)]، وفي طبقات ابن سعد: "كان الزهري ثقـــة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً"[(٤٧٤)]، وفي التهذيب: قال أبو الزناد: "كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس... وقال سعد بن إبراهيم كان يأتي المجـــالس مـــن صدورها، ولا يلقى في المجلس كهلاً إلا ساءله، ولا شابّاً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار، فلا يلقى شاباً إلا ساءله، ولا كهـــلاً ولا عجـــوزاً إلا ســـاءله"[(٤٧٥)]، وفي طبقات ابن سعد: "قال معمر: وكنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري، حـــتى

(٤٧٠) الطبقات الكبرى، جـــ٥ ص ١٥٠.

(٤٧١) الجرح والتعديل، جـــ٤ ص ٤٨٤.

(٤٧٢) تهذيب التهذيب جـــ٢، ص٤٨٤، وكان شرحبيل من أوعية السيرة، لكن لم يرد أنه ألّف فيها.

(٤٧٣) التاريخ الكبير، جـــ ١، ص ٢٢٠، الجرح والتعديل، جـــ ٨، ص ٧١.

(٤٧٤) الطبقات الكبرى، جـــ ٥، ص ٢٢٨.

(٤٧٥) تهذيب التهذيب، جـــ ٥، ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

قتل الوليد بن يزيد، فإذا الدفاتر حملت على الدواب من خزانته، يعني من علم الزهري"[٤٧٦].

وقد وجد في زمن هؤلاء المدونين عدد كبير من كبار التابعين الذين اشتهروا برواية أحاديث السيرة، منهم: أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام، وجدّ موسى بن عقبة...، وأم موسى بنت أبي حبيبة[٤٧٧].

ومنهم كريب بن أبي مسلم الهاشمي، مولى ابن عباس تـ ٩٨هـ[٤٧٨].

ومنهم نافع بن جبير بن معطم ت٩٩هـ، الذي روى عنه عروة، والزهري، وصالح بن كيسان، وموسى بن عقبة[٤٧٩].

المطلب الثاني

مغازي موسى بن عقبة ت١٤١هـ

قال الذهبي في ترجمته: "كان بصيراً بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك"[٤٨٠]، وموسى بن عقبة من صغار التابعين، أدرك ابن عمر، وجابراً، وروى عن أم خالد بن معدان، ولها صحبة[٤٨١]، ونقل الذهبي -أيضاً- عن محمد بن طلحة الطويل: "كان شرحبيل ابن سعد عالماً بالمغازي، فاتهموه أن

(٤٧٦) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٢٢٥، وكانت هذه الدفاتر قد ألفت لعمه هشام بن عبد الملك.

(٤٧٧) التاريخ الكبير، جـ ٨، ص ٢٤، الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ١٤٧، الجرح والتعديل، جـ٩، ص ٣٥٩.

(٤٧٨) الجرح والتعديل، جـ ٧ ص ١٦٨، تهذيب التهذيب، جـ ٤ ص ٥٩١.

(٤٧٩) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ١٠٥، الجرح والتعديل، جـ ٨ ص ٤٥١.

(٤٨٠) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٦٩.

(٤٨١) التاريخ الكبير، جـ ٧ ص ٢٩٢، الجرح والتعديل، جـ ٨ ص ١٥٤.

يكون يدخل فيهم من لم يشهد بدراً، ومن قتل يوم أحد، والهجرة، ومن لم يكن منهم، وكان قد احتاج، فسقط عند الناس، فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال: وإن الناس قد اجترؤوا على هذا، فدب على كبر السن، وقيد من شهد بدراً وأُحداً، ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة، وكتب ذلك"(٤٨٢)، وقال الواقدي: كان لموسى بن عقبة وأخويه إبراهيم ومحمد حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكانوا كلهم فقهاء محدثين، وكان موسى يفتي "(٤٨٣).

يظهر مما سبق أن موسى بن عقبة كان أحد الثقات من رواة الحديث بالمدينة، فلما وقعت الحادثة التي ذكرها ابن سعد في ترجمة شرحبيل بن سعد(٤٨٤) أنه بقي إلى آخر الزمان، حتى اختلط، واحتاج حاجة شديدة، وكان عالماً بالمغازي، قام موسى بن عقبة للذب عن السيرة، وتدقيق صحيحها، فصنف كتابه في مغازي رسول الله ﷺ، الذي كان عمدة العلماء منذ تأليفه حتى القرون المتأخرة، يدل على ذلك ما أورده الذهبي عن ابن المنذر أن المسور بن عبد الملك المخزومي قال للإمام مالك: يا أبا عبد الله، فلان كلمني يعرض عليك، وقد شهد جده بدراً، فقال مالك: لا تدري ما يقولون؟! من كان في كتاب موسى ابن عقبة شهد بدراً فقد شهدها، ومن لم يكن في كتاب موسى فلم يشهد بدراً"(٤٨٥).

---

(٤٨٢) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٧٠.

(٤٨٣) نفس المرجع، جـ ٥ ص ٧١.

(٤٨٤) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ١٥٠.

(٤٨٥) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٧٠.

وأشهر الشيوخ الذين روى عنهم موسى في المغازي:

- ابن شهاب الزهري، وأكثر مروياته عنه،

- ثم نافع مولى ابن عمر، وسالم بن عبد الله، وكريب مولى ابن عباس.

ويأتي بعد هؤلاء عبد الله بن الفضل بن العباس، وحمزة بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن دينار، وأبو الزبير محمد، والمنذر بن جهم، والمرقع بن صيفي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن أبي لبيد، ومحمد بن أبي بكر بن حزم، وأيمن بن نابل، وسعيد بن إبراهيم، والضحاك بن خليفة، وعلقمة بن وقاص، وعطاء بن أبي رباح، وأم موسى بن عقبة(٤٨٦).

وقد ظلت مغازي ابن عقبة تروى، كما تدل على ذلك فهارس العلماء(٤٨٧)، وخلال العصر الراهن اهتم بها المستشرق "سخاو" فنشر بعض نصوصها في "برلين" عام ١٩٠٤م(٤٨٨)، وجمع د. محمد باقشيش مستخرجاً لها، قدمه للحصول على درجة الماجستير في السنة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة(٤٨٩).

المطلب الثالث

مغازي معمر بن راشد ت١٥٤هـ

قال الذهبي في السيرة: "وكان من أوعية العلم، مع الصدق والتحري، والورع، والجلالة، وحسن التصنيف"(٤٩٠)، وذكرهُ في "تذكرة الحفاظ" ضمن

(٤٨٦) انظر: المغازي لموسى بن عقبة، جمع ودراسة وتخريج د. محمد باقشيش، ص ٢٦ – ٢٨.

(٤٨٧) انظر: فهرست ابن خير، ص ١٩٨، المعجم المفهرس، لابن حجر، ص ٧٤.

(٤٨٨) مادة (سيرة) ضمن دائرة المعارف (الإسلامية)، جـ ١٢ ص ٤٥٠.

(٤٨٩) طبعت هذه الرسالة ضمن منشورات كلية الآداب جامعة ابن زهر بالمغرب، عام ١٩٩٤م.

(٤٩٠) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٢٣٩.

الطبقة الخامسة[٤٩١]، لكن أكثر مترجمي معمر لم يذكروا أسماء تصانيفه، باستثناء ابن النديم في الفهرست، حيث ذكر له "كتاب المغازي"[٤٩٢].

وقد حدّث معمر عن عدد من أئمة السيرة، منهم: ابن شهاب الزهـــري، وعمرو بن دينار، وأبو إسحاق السبيعي، وهشام بن عروة، ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم[٤٩٣]، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه: "انتهى الإسناد إلى ستة نفر أدركهم معمر وكتب عنهم، لا أعلم اجتمع لأحد، غير معمر، مـــن أهـــل الحجـــاز: الزهري، وعمرو بن دينار، ومن أهل الكوفة: أبو إسحاق، والأعمـــش، ومـــن البصرة: قتادة، ومن اليمامة: يحيى ابن أبي كثير"[٤٩٤].

وقد نقل الواقدي وابن سعد أحاديث في المغازي عن معمـــر[٤٩٥]، لكـــن أوسع من استوعب هذه المرويات هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

ففي "تفسير القرآن العزيز" أخرج عبد الرزاق عن معمر عدداً من مرويات المغازي، تكفي لجمع مستخرج للكتاب الذي نسبه ابن النديم إليه[٤٩٦]، وقـــد روى عدداً من أحاديث عبد الرزاق عن معمر في المغازي كثير من أئمة الحديث

(٤٩١) تذكرة الحفاظ، جـــ ١ ص ١٤٢.

(٤٩٢) الفهرست، ص ١٣٨.

(٤٩٣) تهذيب التهذيب، جـــ ٥ ص ٥٠٠ – ٥٠١.

(٤٩٤) الجرح والتعديل، جـــ ٨ ص ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٤٩٥) انظر: على سبيل المثال قسم المغازي من الطبقات الكبرى، جـــ ٢ ص ٢٧٢–٢٧٦–٣٠٠.

(٤٩٦) في طبعة تفسير القرآن العزيز، للصنعاني، التي نشرتها دار المعرفة في بيروت، تضمن الجزء الأول منها ٦٣ حديثا في المغازي، وتضمن الجزء الثاني ٦٨ حديثاً، فيكون مجموع مرويات المغـــازي التي أخرجها عبد الرزاق في تفسيره عن معمر مائة وواحداً وثلاثين حديثاً.

والتفسير[٤٩٧].

هذا ولن يستنفد الباحث الكلام إذا أراد تتبع أسماء علماء السيرة، ورواهّا، الذين تُرجم لهم في كتب تاريخ الرواة وكتب الجرح والتعديل، وعاشوا خلال القرن الثاني للهجرة، إذ أن كتب الطبقات والتواريخ حافلة بأسماء هؤلاء، ويكفي الباحث تصفح أسامي الشيوخ الذين روى عنهم ابن إسحاق -فقط- خلال النصف الأول من هذا القرن، وإذا أضفنا إليهم رواة السير والمغازي في الشام، خلال الفترة نفسها علمنا ما كان عليه الاهتمام بالسيرة النبوية خلال هذا القرن.

المطلب الرابع

عبد الملك بن محمد بن حزم ت١٧٦هـ

من المؤلفين في المغازي خلال القرن الثاني: عبد الملك بن محمد بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم، قال فيه أبو حاتم: "روى عن أبيه وعن عبد الله بن أبي بكر، روى عنه ابن وهب "[٤٩٨]، وفي التاريخ الكبير أن جده عمرو بن حزم ﵁ شهد غزوة الخندق[٤٩٩].

فقد ذكره ابن ماكولا في الإكمال وكناه فقال: "أبو طاهر"[٥٠٠]، وترجم له ابن سعد ضمن الطبقة السادسة من أهل المدينة من التابعين[٥٠١]، وفي

(٤٩٧) منهم الإمام البخاري في جامعه الصحيح، والإمام الطبري في جامع البيان.

(٤٩٨) الجرح والتعديل، جـ ٥ ص ٣٦٩.

(٤٩٩) التاريخ الكبير، جـ ٥ ص ٤٣١-٤٣٢.

(٥٠٠) الإكمال، جـ ٢ ص ٤٤٩.

(٥٠١) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٢٩٤.

الفهرست لابن النديم أنه توفي سنة ست وسبعين ومائة ببغداد، وكان قاضيا بها لهارون الرشيد، وله من الكتب كتاب المغازي[٥٠٢].

وأشهر شيوخ عبد الملك بن محمد الحزمي أبوه وعمه:

فأبوه محمد بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم، وثقه أبو حاتم، والنسائي، وابن حبان، وقال الواقدي: توفي ١٣٢هـ[٥٠٣].

أما عمه عبد الله بن أبي بكر فهو من المشهورين برواية المغازي، وقد روى عنه ابن إسحاق الكثير من الأحاديث[٥٠٤]، وكان قد سمع من عروة بن الزبير، ومحمد ابن شهاب، وتوفي ١٣٥هـ[٥٠٥]...، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة من التابعين، وقال في ترجمته: "... وكانت لآل حزم حلقة في المسجد، وكان ثقة كثير الحديث عالماً"[٥٠٦].

أما ابن أخيه عبد الملك، الذي كان قاضيا في بغداد على عسكر المهدي، فقد وصفه ابن سعد بما وصف به موسى بن عقبة قبله أنه "كان قليل الحديث"[٥٠٧].

---

(٥٠٢) الفهرست، ص ٣١٦.

(٥٠٣) تهذيب التهذيب، جـ ٥ ص ٥٣.

(٥٠٤) يمكن الرجوع في ذلك إلى قطعة سيرة ابن إسحاق بتحقيق: د. حميد الله الأحاديث رقم: ٤-٤٤-٤٦-٤٨-٩٢-١١٨-١٤٣.

(٥٠٥) تهذيب التهذيب، جـ ٣ ص ١١٠.

(٥٠٦) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٢٥٤.

(٥٠٧) المصدر السابق، ٥ ص ٢٩٤.

المطلب الخامس

عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت٢١١هـ

قال ابن سعد في ترجمته ضمن الطبقة الرابعة من المحدثين باليمن: "عبد الرزاق بن همام بن نافع، ويكنى أبا بكر، مولى لِحِمْيَرٍ، مات باليمن في النصف من شوال ٢١١هـ"(٥٠٨).

ذكره العجلي في معرفة الثقات فقال: "يماني ثقة، يكنى أبا بكر، وكان يتشيع"(٥٠٩)، وقال البخاري في ترجمته: "... ما حدث من كتابه فهو أصح"(٥١٠)، وفي تهذيب التهذيب: "قال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه بآخرة، كتب عنه أحاديث مناكير. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ويحتج به، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان ممن يخطئ إذا حدث من حفظه، على تشيع فيه، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر "(٥١١).

وحلاه الذهبي في السير بقوله: "الحافظ الكبير عالم اليمن"(٥١٢)، وترجم له في التذكرة ضمن الطبقة السابعة، وقال: "وثقه غير واحد... وله ما ينفرد به، ونقموا عليه التشيع، وما كان يغلو فيه... ، وكان رحمه الله من أوعية العلم، ولكنه ليس في حفظ وكيع وابن مهدي"(٥١٣).

---

(٥٠٨) نفس المصدر، جـ ٦ ص ٣٥٥.

(٥٠٩) معرفة الثقات، جـ ٢ ص ٩٣.

(٥١٠) التاريخ الكبير، جـ ٦ ص ١٣٠.

(٥١١) تهذيب التهذيب، جـ ٣ ص ٤٤٦.

(٥١٢) سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٥٩٨.

(٥١٣) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ٢٦٧.

وفي الفهرست لابن النديم: "... وله من الكتب: كتاب السنن في الفقه، وكتاب المغازي"[٥١٤].

وإذا كان ابن النديم قد اقتصر من كتب عبد الرزاق على كتاب السنن والمغازي، ولم يذكر غيرها، فقد عرف عن الصنعاني الاهتمام بجمع أخبار السيرة، وظهر ذلك خاصة في تفسيره كما تقدم عند الكلام عن شيخه معمر بن راشد.

ففي تفسير سور: آل عمران، والأنفال، والتوبة، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والعنكبوت، والروم، والسجدة، والأحزاب، وسورة محمد، أخرج عبد الرزاق مائة وواحداً وثلاثين حديثاً، كلها تتعلق بالمغازي، وهذه السور أكثرها مدني.

كما أننا نجد في تفسيره الكثير من أحاديث السيرة المتعلقة بالفترة المكية، مثل أحاديث بدء الوحي في تفسير سورة المدثر، وسورة اقرأ[٥١٥]، وأخبار الصدع بالدعوة في تفسير سورة الحجر[٥١٦]...، وتبلغ عدة أحاديث الفترة المكية في تفسير الصنعاني مئتين وأربع عشرة رواية، موزعة على تفسير عدد من السور، بدءاً بسورة الأنعام التي أخرج فيها تسعة عشر حديثاً في السيرة، وانتهاء بسورة المسد، التي أخرج فيها حديثاً واحداً، وبجمع مختلف هذه الروايات تصبح عدة أحاديث السيرة في تفسير الصنعاني ثلاث مئة وخمسة وأربعين حديثاً، أخرجها من طريقه عدد من المفسرين، الذين جاؤوا من بعده، خاصة ابن جرير

---

(٥١٤) الفهرست، ص ٣١٨.

(٥١٥) انظر: الصنعاني، تفسير القرآن العزيز، جـ ٢ ص ٢٦٢ حديث ٣٣٧٨ وجـ ٢ ص ٣١٣ حديث ٣٦٦٣.

(٥١٦) انظر المصدر السابق، جـ ٢ ص ٣٠٣ حديث ١٤٦٥ — ١٤٦٦.

الطبري في جامع البيان.

فهؤلاء الذين تقدم ذكرهم في مطالب هذا المبحث هم أشهر المـؤلفين في المغازي والسيرة من حفاظ الحديث، وقد وجد في عصرهم محـدثون آخـرون اهتموا بحفظ السيرة، وروايتها، لكن، لا نستطيع القطع بكونهم ألفوا فيها؛ تبعاً لما بين أيدينا في كتب التراجم.

ثم إنه بانتهاء القرن الثاني اكتمل جمع مرويات هذا العلم، فاتجه التأليف في المغازي عند المحدثين إلى الاهتمام بموضوعاتٍ خاصة في السيرة، مثل التأليف في دلائل النبوة، ومن ذلك:

- آيات النبي ﷺ، لعلي بن المديني ت ٢١٥هـ.
- أمارات النبوة، ليعقوب الجوزجاني ٢٥٩هـ.
- دلائل النبوة، لأبي زرعة الرازي ت ٢٥٩هـ.
- أعلام النبوة، لأبي داود السجستاني ت ٢٧٥هـ.
- أعلام النبوة، لأبي حاتم الرازي ت ٢٧٧هـ.

ومن ذلك أيضاً: **التأليف في الشمائل المحمدية**، ومن أشهر ما صنفه المحدثون في موضوعها:

- الشمائل المحمدية، للإمام الترمذي ت ٢٧٥هـ،
- مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا ت ٢٨١هـ،
- الأخلاق النبوية، لإسماعيل بن إسحاق ت ٢٨٢هـ.

* * *

المبحث الثاني

عرض مجمل لمنهج المحدثين في رواية أخبار السيرة النبوية

تتوزع أحاديث السيرة التي أخرجها المحدثون بين مصدرين:

الأول: الكتب المصنفة في السنة النبوية، سواء كانت جوامع، أو مسانيد، أو مستدركات، أو غير ذلك.

الثاني: الكتب المصنفة في المغازي والسير فقط.

وهذه الكتب كثيرة، وهي متفاوتة فيما بينها، تبعاً للشروط التي وضعها كل مصنف لكتابه، لكنها جميعاً تعتمد الرواية بالأسانيد، وتتفاوت بين الصحيح والحسن.

وفيما يأتي حديثٌ عن السيرة في هذين المنهجين:

المطلب الأول

مرويات السيرة عند علماء الحديث

اهتم رواة الحديث النبوي بأخبار السيرة، ونقلوها ودونوها ضمن كتبهم، وبالرجوع إلى مصنفات السنة نجد علماء الحديث اهتموا، من جهة، بما صح من أخبار البعثة، ومرويات الدلائل والمناقب...، كما أفردوا، من جهة ثانية، أبواباً للمغازي النبوية، جمعوا فيها أخبار الجهاد وأحكامه التفصيلية.

فبالنسبة للقسم الأول، الذي لا يعرض للمغازي، لم يترك المحدثون جانباً من الحياة النبوية الشريفة إلا جمعوا ما صح فيه من أحاديث، سواء تعلق الأمر

بالكتب المصنفة على الأبواب الفقهية، أو بالمصنفات المرتبة على أسماء الـــرواة، قال الرامهرمزي ت٣٦٠هـ: "إن أصحاب الحديث... أثبتوا ما عظـــم الله عـــز وجل من شأن رسوله ﷺ، فنقلوا شرائعه، ودونوا مشاهده، وصـــنفوا أعلامـــه ودلائله، وحققوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته.. وعبروا عن جميع فعـــل النبي ﷺ في سفره وحضره، وظعنه وإقامته، وسائر أحواله: من منام، ويقظـــة، وإشارة، وتصريح، وصمت، ونطق، ونهوض، وقعود، ومأكـــل، ومـــشرب، وملبس، ومركب، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط، والإنكار والقبول، حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها؟... "[٥١٧].

أما بالنسبة للقسم الثاني المتعلق بالمغازي فقد اتجه المحدثون إلى تجريد ما صح من مروياته في أبوابٍ مستقلة، ضمن مصنفات الـــسنة، وقـــد عـــدَّ الحـــاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ أبواب المغازي النوع الثامن والأربعين من علوم الحديث، فقال في هذا النوع: "معرفة مغازي رسول الله ﷺ، وسراياه، وبعوثه، وكتبه إلى ملوك المشركين، وما يصح من ذلك وما يشذ، وما أبلى كل واحد من الصحابة في تلك الحروب بين يديه، ومن ثبت، ومن هرب، ومن جبن عن القتال، ومـــن كرَّ، ومن تدين بنصرته ﷺ ومن نافق، وكيف قسم رسول الله ﷺ الغنائم، ومن زاد ومن نقص، وكيف جعل سَلَب القتيل بين الاثنين والثلاثة، وكيـــف أقـــام الحدود في الغلول، وهذه أنواع من العلوم لا يستغني عنها عالم"[٥١٨].

وإذا كانت مرويات القسم الأول جاءت متفرقة في كتب الـــسنة، تبعـــاً

(٥١٧) المحدث الفاصل ص ١٥٩.

(٥١٨) معرفة علوم الحديث، ص ٢٣٨.

لموضوعاتها أو لرواتها؛ ومن ثم اقتضى الوصول إليها ملازمة البحث والطلب، والتنقيب والتتبع، فإن مرويات القسم الثاني نُقلت مجموعة ومرتبة على حسب وقوعها، و لم يكتف المحدثون بإفراد أبواب خاصة بالمغازي النبوية ضمن مصنفات السنة، بل ألفوا أيضا في موضوعات جزئية لها تعلق بهذا العلم، ومن ذلك على سبيل المثال:

- كتاب السير، لأبي إسحاق الفزاري ت١٨٦ هـ، وموضوعه يتعلق بالفقه المستنبط من المغازي[٥١٩].
- كتاب السرايا والبعوث، لأبي عبد الله محمد بن نصر ت٢٩٤هـ[٥٢٠]، وموضوعه سرايا رسول الله ﷺ فقط، وقد عدّ منها نيفاً وسبعين.
- كتاب الإكليل، للحاكم النيسابوري ت٤٠٥هـ، وقد رتب فيه البعوث والسرايا النبوية، وعد في ذلك زيادة على المائة[٥٢١].

المطلب الثاني

منهج المحدثين في رواية أخبار السيرة

يقوم هذا المنهج على دعامات ثلاث رئيسة:

- الالتزام بقواعد علوم الرواية.
- تقطيع الأحاديث وتخريجها في أبواب مختلفة.
- رواية الأحاديث بالأسانيد.

---

(٥١٩) كتاب السير، للإمام الفزاري تحقيق د. فاروق حمادة، ص ٧٨.

(٥٢٠) انظر: سير أعلام النبلاء، جـ ٩ ص ٢٢.

(٥٢١) معرفة علوم الحديث، ص ٢٣٩.

أولاً: بالنسبة لتحكيم قواعد الرواية في القبول والرد، فمن المشهور أن كتب السيرة عامة تسوق الأخبار بأسانيد مرسلة أو منقطعة، وخلافاً لذلك كان المحدثون يطلبون اتصال السند، بنقل العدول الضابطين الذين سمعوا الحديث وأدوه كما بلغهم، هذا إذا كان الكتابُ قد اشترط الصحة، وإلاّ فلا.

قال القاضي عياض في "باب وجوب طلب علم الحديث والسنن، وإتقان ذلك، وضبطه وحفظه، ووعيه":

"... لأن أصل الشريعة التي تعبدنا الله بها إنما هي متلقاة من جهة نبينا صلوات الله عليه وسلامه: إما فيما بلغه من كلام ربه، وهو القرآن.. ثم بعد ذلك ما أخبر به من وحي الله إليه، وأوامره، ونواهيه.. وغير ذلك من سننه وسائر سيره... وكل ذلك إنما يوصل إليه ويعرف بالتطلب والرواية والبحث والتنقير عنه والتصحيح له..."[٥٢٢].

فعِلمُ السيرة عند المحدثين قسم من علوم الرواية، التي تحكمها قواعد الحديث، مثلها مثل أحاديث الأحكام، والشروط التي تخضع لها رواية السيرة هي شروط رواية السنة النبوية نفسها في حال اشتراط الصحة. أما المؤلف في السيرة إذا لم يشترطها فإنّ الحال مختلفة.

ومما تقتضيه هذه القواعد تحريم الكذب على رسول الله ﷺ، قال الحافظ الذهبي في ذلك: "فحقٌّ على المحدث أن يتورع فيما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف -الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم- جهبذا إلا بإدّمان الطلب، والفحص عن

(٥٢٢) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٦.

هذا الشأن، والمذاكرة، والسهر والتيقظ والفهم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف"(٥٢٣).

ومن هذه القواعد كذلك الالتزام برواية العدول، وعدم الميل عنها رغبة في جمع أكثر الأخبار، قال الإمام مسلم في مقدمة جامعه الصحيح: "... فإذا كان الراوي لها -أي للأخبار- ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه، و لم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته، كان آثما بفعله ذلك، غاشّاً لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها أو يستعمل بعضها، ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لها، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة، ولا مقنع، ولا أحسب كثيراً ممن يعرج من الناس على ما وصفنا من هذه الأحاديث الضعاف والأسانيد المجهولة، ويعتد بروايتها بعد معرفته بما فيها من التوهن والضعف إلا أن الذي يحمله على روايتها والاعتداد بها إرادة التكثر"(٥٢٤).

ومن قواعد المحدثين أيضا الحرص على ضبط السماع، وإذا كانت مرويات السيرة قد جمعت خلال القرنين الأول والثاني، فقد كان منهج المحدثين خلال هذه الفترة، من تاريخ الإسلام: الاعتداد بالمرويات التي أخذت سماعا من أفواه الشيوخ، وقد ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الأوزاعي ت١٥٦هـ -وهو من أئمة السير- أسباب ذلك فقال: "لا ريب أن الأخذ من الصحف،

---

(٥٢٣) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ١٠.

(٥٢٤) الجامع الصحيح، للإمام مسلم، المقدمة، نسخة الجامع الصحيح مع شرح النووي، جـ١، ص١٢٣ – ١٢٧.

وبالإجازة يقع فيه خلل، لاسيما في ذلك العصر حيث لم يكن بَعْدُ نَقْطٌ ولا شَكْلٌ، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محرر"[٥٢٥].

ثانياً: تقطيع الأحاديث وتخريجها في أبواب مختلفة:

فكتب السنة النبوية لا تقصد تتبع الجزئيات، أو استقصاء تفاصيل أحداث السيرة، بل يهتم المصنف بالأحاديث التي استوفت الشروط التي اعتمدها في كتابه، وفي أحيان كثيرة نجد المحدث يقطِّع الرواية، فيأتي بأطراف الحديث في أبوابٍ مختلفة، وتحت تراجم متباينة، قد يتعلق بعضها بالمغازي والسير، وبعضها بالعبادات، وبعضها بالبيوع، أو الفضائل، إلى غير ذلك.

وتقطيع الحديث وتخريجه في أبواب مختلفة لا يعطي صورة متكاملة للحدث التاريخي كما وقع في زمن النبوة، لذلك وجدنا بعض المتأخرين، كالذهبي وابن كثير، يأخذون خبر السيرة من كتب السنة ثم يلجأون إلى كتب المغازي لاستكمال وقائع ما حدث[٥٢٦].

فحديث عائشة رضي الله عنها، الذي أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، أخرج أطرافه في ستة مواضع من الجامع الصحيح:

- في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب موسى...، حديث٣٣٩٢.

---

(٥٢٥) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٢٩٧.

(٥٢٦) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، جـ ١ ص ٥٠ .

- وفي كتاب التفسير، سورة اقرأ..، حـــديث ٤٩٥٣ و٤٩٥٥ و٤٩٥٦ و٤٩٥٧.

- وفي كتاب التعبير، باب: أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ، حديث٦٩٨٢.

وتخريج البخاري لأحاديث السيرة في أكثر من موضع وتقطيعها، له فوائد علمية، استوفى الحديث عنها شراح الجامع الصحيح.

فمن تلك الفوائد تخريج الحديث عن أكثر من شيخ، أو بأسانيد مختلفـــة، فحديث حفصة بنت عمر رضي الله عنهما حين تأيمت باستشهاد زوجها خنيس ابن حذافة في بدر، رواه البخاري في كتاب المغازي، بدون ترجمـــة، حـــديث ٤٠٠٥، عن أبي اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن أبيه...

ورواه في كتاب النكاح باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، حديث ٥١٢٢ عن عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح ابن كيسان، عن ابن شهاب...

ورواه في الكتاب نفسه، باب: من قال: لا نكاح إلا بـــولي، حديث٥١٢٩، عن عبد الله بن محمد حدثنا هشام، أخبرنا معمر، حدثنا الزهري.

ومن تلك الفوائد: زيادة معنًى لا يوجد في الحديث الأول، من ذلك حديث البخاري في كتاب المغازي، بدون ترجمة، حديث رقم ٤٠٦٨، عن أبي طلحـــة رضي الله عنه (كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً...)، وفي كتاب التفسير، باب: أمنةً نعاساً حديث ٤٥٦٢ بإسناد آخر عن أبي طلحة قال: (غشينا النعاس، ونحن في مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفي يسقط مـــن

يدي...)، فجاء في متن الحديث الثاني بيان اللحظة التي تغشاهم فيها النعاس.

أما جامع الإمام مسلم فقد ذكر مصنّفه في شرطه أنه لا يكرر الأحاديث: "إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى أو إسناد يقع إلى جانب إسنادٍ؛ لعلة تكون هناك، لأن المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام حديث تام..."(٥٢٧).

من ذلك ما أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب غزوة حنين. من طريق يونس عن ابن شهاب عن كثير بن عباس بن عبد المطلب، عن عباس ﵁ أنه ﷺ رمى أهل حنين بحصيات، (فما زلت أرى جدهم كليلاً وأمرهم مدبراً)، وأخرج مسلم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري، وزاد في الحديث: (حتى هزمهم الله، قال -العباس- وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته)(٥٢٨).

وفي باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ضمن كتاب الجهاد والسير، من الجامع، أخرج مسلم عن أسامة بن زيد خبر مروره ﷺ في المدينة بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين... وما آذاه به عبد الله بن أبي بن سلول، ثم أخرج مسلم الحديث عن أسامة من طريق آخر، وفيه زيادة: (وذلك قبل أن يسلم عبد الله)(٥٢٩) والمراد قبل أن يُظهر ابن أبي الإسلام، وإلا فقد كان معلوم النفاق.

---

(٥٢٧) صحيح مسلم، المقدمة، نسخة شرح النووي، جـ ١، ص ٤٨ – ٤٩.

(٥٢٨) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، نسخة شرح النووي، جـ ١، ص ١١٨ – ١١٩.

(٥٢٩)صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، نسخة شرح النووي، جـ١٢، ص١٥٧ – ١٥٩.

وحفاظ الحديث النبوي حين يخرجون مرويات السيرة بأسانيدهم، لم يكن قصدهم التأليف في هذا العلم، بل كانت بغيتهم جمع السنة، تبعاً للشروط التي وضعوها، فلما جاء الذين خلفوا من بعدهم، ممن ألفوا في السيرة النبوية اتجهوا لتجريد مرويات عصر المبعث من كتب الحديث، ورتبوا الأحداث والوقائع، ثم عمدوا إلى كتب السير والمغازي، لاستكمال صورة الوقائع.

من ذلك ما نجده، مثلاً، في سير أعلام النبلاء، للذهبي، فحين عرض لـ"ذكر مبعثه ﷺ" ابتدأ بحديث عائشة رضي الله عنها: (أول ما بُدئ النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة...)، وهو في الصحيح، ثم أعقبه بحديث الترمذي عنها في سؤال خديجة رضي الله عنها عن تصديق ورقة... ثم انتقل إلى انتخاب المرويات التي نقلها أصحاب كتب السيرة، بخاصة ابن إسحاق[٥٣٠].

أما في باب كيفية بدء الوحي، ضمن قسم السيرة، من "البداية والنهاية"، فقد ابتدأ فيه المصنف بحديث عائشة عند البخاري في كتاب بدء الوحي، وكتاب التعبير، ثم ذكر رواية الحديث عند مسلم، لينتقل بعد ذلك إلى اختصار ما أخرجه ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، وأبو نعيم في الدلائل[٥٣١].

ثالثاً: استيعاب صحيح الأخبار دون الواهي منها في منهج المحدِّثين:

اتجه أغلب المصنفين في السيرة إلى استيعاب مختلف المرويات، سواء كانت متصلة أو منقطعة، في حين اهتم المصنفون في الحديث النبوي بتمحيص الأخبار،

---

(٥٣٠) انظر: سير أعلام النبلاء، جـ١، ص٦٤ – ٦٥، السيرة النبوية، للذهبي، – مُسْتَلّةً من تاريخه – ص٦٣ – ٦٤.

(٥٣١) البداية والنهاية، جـ٣، ص ٢ – ٤.

والتدقيق في الروايات، لأنهم أهل هذا الشأن، وترتب على ذلك أن أحاديث المغازي جاءت قليلة -نسبياً- عند المحدثين مقارنة بما حوته مصنفات السيرة الجامعة.

أما اهتمام حفاظ السنة بنقد الروايات؛ فلإلمامهم بصناعة الحديث؛ وتخصصهم في علله وشذوذه؛ ولمعرفتهم بأحوال رواة الأخبار جرحاً وتعديلاً.

قال الإمام مسلم في كتاب التمييز: "واعلم رحمك الله أن صناعة الحديث، ومعرفة أسبابه من الصحيح والسقيم، إنما هي لأهل الحديث خاصة؛ لأنهم الحفاظ لروايات الناس، العارفون بها دون غيرهم، إذ الأصل الذي يعتمدون لأديانهم: السنن والآثار، المنقولة من عصر إلى عصر من لدن النبي ﷺ إلى عصرنا هذا، فلا سبيل لمن نابذهم من الناس، وخالفهم في المذهب إلى معرفة الحديث، ومعرفة الرجال من علماء الأمصار، فيما مضى من الأعصار مِن نَقَلَةِ الأخبار وحمال الآثار"[٥٣٢].

ولما كان منهج المحدثين كذلك، قلّت مروياتهم في السيرة حتى قال ابن سعد في ترجمة موسى بن عقبة وهو من أصحاب المغازي: "وكان ثقة قليل الحديث"[٥٣٣].

وكان أصحاب السير على عكس حفاظ السنة، يكثرون الرواية بغية جمع تفاصيل الوقائع؛ فدخلت عليهم من هذا الجانب المراسيل والأحاديث المنقطعة، وفي ترجمة ابن إسحاق عند ابن أبي حاتم: "أن أبا حفص الفلاس قال كنا عند وهب بن جرير فانصرفنا من عنده فمررنا بيحيى بن سعيد القطان، فقال: أين

---

(٥٣٢) كتاب التمييز، ص ١٧١.

(٥٣٣) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٢٦٧.

كنتم؟ قلنا: كنا عند وهب بن جرير –يعني: يقرأ علينا كتاب المغازي عن أبيه عن ابن إسحاق– قال تنصرفون من عنده بكذب كثير"(٥٣٤)، قال الذهبي: "... أشار يحيى القطان إلى ما في السيرة من الواهي من الشعر ومن بعض الآثار المنقطعة المنكرة، فلو حذف منها ذلك لحسنت... "(٥٣٥).

وقد تضمنت كتب تاريخ رواة الحديث درراً في موضوع المقارنة بين منهج حفاظ السنة العارفين بصناعة الحديث ومنهج المصنفين في المغازي والسيرة، وبينت هذه الكتب طريقة كل طائفة في التعامل مع مرويات السيرة النبوية.

من ذلك ما جاء في "سير أعلام النبلاء"، ضمن ترجمة موسى بن عقبة حيث نقل الحافظ الذهبي عن إبراهيم بن المنذر: "سمعت محمد بن طلحة، سمعت مالكاً يقول: عليكم بمغازي موسى، فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن؛ ليقيد من شهد مع رسول الله ﷺ، ولم يكثر كما كثر غيره"، قال الذهبي: "هذا تعريض بابن إسحاق، ولا ريب أن ابن إسحاق كثر وطول بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح، ورواية ما فاته. وأما مغازي موسى بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناه، وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة..."، ثم عقب الحافظ الذهبي بقوله: "وقد لخصت أنا الترجمة النبوية والمغازي المدنية في أول تاريخي الكبير، وهو كامل في معناه إن شاء الله"(٥٣٦).

---

(٥٣٤) الجرح والتعديل، جـ ٧ ص ١٩٣.

(٥٣٥) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٢٦٤.

(٥٣٦) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٦٩ – ٧٠.

وحِرْصُ حفاظ السنة على استيعاب الثابت من الأخبار، والوقوف عند صحيح المرويات -غالباً- هو الذي حفز الحافظ ابن عبد البر في الدرر لأن يسلك طريقة التلخيص، فقال في مقدمة مصنفه: "هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي ﷺ، وابتداء نبوته، وأول أمره في رسالته، ومغازيه، وسيرته فيها..."[٥٣٧]، وقال في موضع آخر عقب جرد مصادره: "... ولي في ذلك روايات وأسانيد مذكورة في صدر كتاب الصحابة، وفي الفهرسة، روايتنا لكتاب الواقدي، وغيره، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره..."[٥٣٨].

* * *

(٥٣٧) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٧.

(٥٣٨) المرجع السابق، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

المبحث الثالث

موقف حفاظ الحديث من المصنفات الأولى في السيرة والمغازي

بالرجوع إلى تراجم علماء السيرة النبوية في كتب تاريخ رواة الحديث النبوي، نجد أن هؤلاء العلماء قسمان:

الأول: علماء السيرة الذين وثقهم نقاد الحديث، وتلقوا مصنفاتهم بالقبول.

الثاني: المكثرون من رواة السيرة، الذين قل إتقانهم، أو خلطوا الصحيح بالشاذ، أو كانوا يأخذون أخبار القصاص فينقلونها...، ومن ثم كانت مصنفاتهم بحاجة إلى تهذيب وتنقيح.

أخرج الخطيب البغدادي عن عبد الملك الميموني: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: "ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير".

قال الخطيب: "وهذا الكلام محمول على وجهٍ، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها"[٥٣٩].

المطلب الأول

مصنفات السيرة التي تلقاها المحدثون بالقبول

تراجم رواة السيرة والمصنفين فيها كثيرة في كتب الجرح والتعديل، وكتب تاريخ رواة الحديث النبوي، لكن علماء السنة أفردوا عدداً من المشهورين بالسير

(٥٣٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، جـ ٢ ص ١٦٢.

والمغازي، فأثنوا على كتبهم، وتلقوا مروياتهم بالقبول، لما وُصِفوا به من العدالة والضبط، والتحري في نقل الأخبار، ومِن هؤلاء على سبيل المثال:

- موسى بن عقبة.
- سليمان بن طرخان.
- أبو إسحاق الفزاري.
- سعيد بن يحيى الأموي.

غير أن هؤلاء الأئمة الذين غلب عليهم الاشتغال بالسيرة النبوية، كانوا أيضاً أئمة في الحديث، فضلاً عن شهرتهم بالفقه والصلاح.

١- مغازي موسى بن عقبة ت١٤١هـ:

يعتبر كتاب المغازي لموسى بن عقبة ت١٤١هـ أشهر كتاب في السيرة، اهتم به علماء الحديث، وأثنوا عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن المنذر عن معن بن عيسى، قال: "كان مالك ابن أنس إذا قيل له: مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة، فإنه ثقة"[٥٤٠].

قال الخطيب البغدادي: "وليس في المغازي أصح من كتاب موسى، مع صغره، وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره"[٥٤١].

وفي التمهيد لابن عبد البر: وكان مالك يثني على موسى بن عقبة، وكان لموسى علم بالمغازي والسيرة، وهو ثقة فيما نقل عن أثر في الدين وكان رجلا

---

(٥٤٠) الجرح والتعديل، جـ ٨ ص ١٥٤.

(٥٤١) الجامع لأخلاق الراوي، ص ١٦٤.

صالحا رحمه الله "(٥٤٢).

كما نقل عن أبي بكر بن أبي خيثمة: "... كان ابن معين يقول: كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب "(٥٤٣).

٢- كتاب سليمان بن طرخان:

ومن هذه الكتب، أيضاً، سيرة رسول الله ﷺ، لسليمان بن طرخان التيمي تـ ١٤٣هـ، التي رواها عنه ابنه أبو محمد معتمر بن سليمان ت١٨٧هـ(٥٤٤)، قال البخاري: سمع الحسن وأنساً..، وروى عنه الثوري وشعبة وابنه المعتمر(٥٤٥)، وقال ابن سعد: "كان ثقة كثير الحديث، وكان من العباد المجتهدين"(٥٤٦)، وقال العجلي: "... تابعي ثقة، وكان من خيار أهل البصرة"(٥٤٧)، ونُقل عن يحيى القطان: كان التيمي عندنا من أهل الحديث، وعن ابن معين وأبي حاتم: سليمان التيمي ثقة(٥٤٨)، وذكره الذهبي في التذكرة فقال: "له نحو من مئتي حديث، وكان عابد البصرة وعالمها "(٥٤٩)، وقد ذكر ابن خير الإشبيلي ت٥٧٥هـ، أنه قرأ غير مرة على شيخه أبي الحسن شريح بن محمد

(٥٤٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، جـ ١٣ ص ١٥٥.

(٥٤٣) تهذيب التهذيب، جـ ٥ ص ٥٧٤.

(٥٤٤) ترجمته في: سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٢٦٦.

(٥٤٥) التاريخ الكبير، جـ ٤ ص ٢٠ – ٢١.

(٥٤٦) الطبقات الكبرى، جـ ٧ ص ١٣٠.

(٥٤٧) معرفة الثقات بترتيب الهيثمي والسبكي، جـ ١ ص ٤٣٠ – ٤٣١.

(٥٤٨) الجرح والتعديل، جـ ٤ ص ١٢٥.

(٥٤٩) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ١١٣.

الرعيني سيرة سليمان بن طرخان، كما سمعها منه أيضاً[٥٥٠].

٣- كتاب السير لإبراهيم بن محمد بن الحارث أبي إسحاق الفزاري ت١٨٦هـ:

ومن مصنفات السيرة التي تلقاها المحدثون بالقبول: كتاب السير لإبراهيم بن محمد بن الحارث أبي إسحاق الفزاري ت١٨٦هـ، ذكره ابن سعد في من كان في الثغور[٥٥١]، وكان أبو إسحاق قد نزل ثغر المصيصة بالشام حتى مات. نقل الخليلي عن الحميدي: قال لي الشافعي: لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق[٥٥٢]، وأكثر مروياته في كتاب السير عن الأوزاعي والسفيانين ويحيى ابن سعيد وغيرهم.

قال العجلي في ترجمته: "وكان ثقة رجلاً صالحاً صاحب سنة، وهو الذي أدب أهل الثغر وعلمهم السنة، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث وكان له فقه"[٥٥٣].

قال سفيان بن عيينة: كان أبو إسحاق الفزاري إماماً، وقال أبو حاتم الرازي: أبو إسحاق الفزاري ثقة مأمون إمام "[٥٥٤].

وقال الذهبي في التذكرة: "حدث عنه الأوزاعي مرة فقال: حدثني الصادق المصدوق أبو إسحاق الفزاري"[٥٥٥]، وفي التهذيب أن الشافعي نظر في كتاب

(٥٥٠) فهرست ابن خير، ص ١٩٩.

(٥٥١) الطبقات الكبرى، جـ ٧ ص ٢٢٧.

(٥٥٢) سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٣٠٣.

(٥٥٣) معرفة الثقات، جـ ١، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٥٥٤) الجرح والتعديل، جـ ٢ ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٥٥٥) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ٢٠٠.

السير، وأملى كتاباً عن ترتيبه ورضيه(٥٥٦).

٤- كتاب أبي عثمان سعيد بن يحيى الأموي ت٢٤٩هـ:

ومن مصنفات السيرة التي حظيت بالقبول: كتاب أبي عثمان سعيد بن يحيى الأموي تـ ٢٤٩هـ، ذكره الذهبي في ترجمة أبيه فقال: "سعيد بن يحيى الأموي صاحب المغازي(٥٥٧)، وكتابه عند ابن خير الإشبيلي في فهرس مروياته باسم "كتاب السير"(٥٥٨).

قال ابن أبي حاتم: "روى عنه أبي وأبو زرعة، وسئل عنه أبو حاتم، فقال: قرشي بغدادي صدوق"(٥٥٩)، وقال الخطيب: "روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، ويعقوب بن سفيان، وإبراهيم الحربي..."(٥٦٠)، قال السمعاني: "أبوه من الثقات والابن أثبت من أبيه"(٥٦١).

المطلب الثاني

مصنفات السيرة التي تكلم فيها المحدثون

قال الخطيب البغدادي: "وأما المغازي، فمن المشتهرين بتصنيفها وصرف العناية إليها: محمد ابن إسحاق المطلبي، ومحمد بن عمر الواقدي، فأما ابن

---

(٥٥٦) تهذيب التهذيب، جـ ١ ص ٩٩، وقد نُشر قسم من كتاب السير بتحقيق د. فاروق حمادة بمؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤٠٨هـ.

(٥٥٧) سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٣٧٧.

(٥٥٨) فهرست ابن خير، ص ٢٠٤.

(٥٥٩) الجرح والتعديل، جـ ٤ ص ٧٤.

(٥٦٠) تاريخ بغداد، جـ ٩ ص ٩٢.

(٥٦١) الأنساب، جـ ١ ص ٢١٩.

إسحاق فقد تقدمت منا الحكاية عنه أنه كان يأخذ عن أهل الكتاب أخبارهم، ويضمنها كتبه، وروي عنه أيضاً أنه يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي، ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها...

وأما الواقدي، فسوء ثناء المحدثين عليه مستفيض، وكلام أئمتهم فيه طويل عريض"[٥٦٢].

وفي المصنفين في السيرة الذين تكلم فيهم نقاد الحديث:

- محمد بن إسحاق.
- الوليد بن مسلم.
- محمد بن عمر الواقدي.
- أحمد بن محمد بن أيوب.

١- محمد بن إسحاق بن يسار ت١٥١هـ:

قال ابن سعد: "كان أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها...، وكان كثير الحديث، وقد كتبت عنه العلماء، ومنهم من يستضعفه "[٥٦٣]، وفي التاريخ الكبير: قال الزهري من أراد المغازي فعليه بمولى قيس بن مخرمة هذا "[٥٦٤]، وروي عن أحمد ابن حنبل أنه ذكر ابن إسحاق فقال: أما في المغازي وأشباهه فيكتب، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا، ومد يده وضم أصابعه[٥٦٥]،

---

(٥٦٢) الجامع لأخلاق الراوي، جـ ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٥٦٣) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٢٨٠.

(٥٦٤) التاريخ الكبير، جـ ١ ص ٤٠.

(٥٦٥) الجرح والتعديل، جـ ٧ ص ١٩٣.

وذكره الذهبي في "معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد" وقال: صدوق[٥٦٦]، وترجم له في "السير" بقوله: "العلامة الحافظ الإخباري... صاحب السيرة النبوية"، وقال: "وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء؛ لأشياء، منها: تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه"[٥٦٧]، أما في "تذكرة الحفاظ" فقد قال عنه: "كان أحد أوعية العلم، حبراً في معرفة المغازي والسير، وليس بذاك المتقن، فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي...، والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذ بأشياء، وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام، ولا بالواهي بل يستشهد به"[٥٦٨].

٢- الوليد بن مسلم ت١٩٥هـ:

له كتاب في المغازي، قال ابن سعد: "كان الوليد ثقة كثير الحديث والعلم"[٥٦٩]، وقال مروان بن محمد: كان عالماً بحديث الأوزاعي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث[٥٧٠].

وذكره الذهبي في "الرواة المتكلم فيهم"، وقال: ثقة، لكنه قد دلس عن الضعفاء، فلا بد أن يصرح بالسماع إذا احتج به، أما إذا قيل عنه فليس بحجة[٥٧١].

---

(٥٦٦) معرفة الرواة...، ص ١٦٤.

(٥٦٧) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ص ٢٥٨.

(٥٦٨) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ١٣٠.

(٥٦٩) الطبقات الكبرى، جـ ٧ ص ٢٢٠.

(٥٧٠) الجرح والتعديل، جـ ٩ ص ١٧.

(٥٧١) الرواة المتكلم فيهم...، ص ١٨٦.

وحلاه في "سير أعلام النبلاء"، فقال في ترجمته: "الإمام، عالم أهل الشام" وقال عنه أيضاً: كان من أوعية العلم، ثقة حافظاً، لكن، رديء التدليس، فإذا قال: حدثنا، فهو حجة، وهو في نفسه أوثق من بقية، وأعلم"[٥٧٢]، وقال مرة أخرى: "كتبه أجزاء، ما أظن فيها ما يبلغ مجلداً"[٥٧٣]، وقد جمع الحافظ أقوال أئمة الجرح والتعديل في ترجمته، ضمن تذكرة الحفاظ، وعقب عليها بقوله: "قلت لا نزاع في حفظه وعلمه، وإنما الرجل مدلس؛ فلا يحتج به إلا إذا صرح بالسماع "[٥٧٤].

٣- محمد بن عمر الواقدي ت٢٠٧هـ:

قال تلميذه ابن سعد في ترجمته: "كان عالماً بالمغازي والسيرة، والفتوح، وباختلاف الناس في الحديث، والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحدث بها"[٥٧٥].

وقال الذهبي في التذكرة: "محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله المدني الحافظ البحر، لم أَسُقْ ترجمته هنا لاتفاقهم على ترك حديثه، وهو من أوعية العلم، لكنه لا يتقن الحديث، وهو رأس في المغازي والسير"[٥٧٦].

قال البخاري في الضعفاء الصغير: "متروك الحديث"، وعند النسائي في

---

(٥٧٢) سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٤١٦.

(٥٧٣) المرجع نفسه، جـ ٦ ص ٤١٧.

(٥٧٤) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ٢٢٢.

(٥٧٥) الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص ٣٠١.

(٥٧٦) تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص ٢٥٤.

الضعفاء والمتروكين كذلك[٥٧٧]، وقال أحمد بن حنبل: كان يقلب الأحاديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك الحديث[٥٧٨].

وقال الذهبي في السير: "محمد بن عمر بن واقد.. صاحب التصانيف والمغازي... جمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، اطّرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم"[٥٧٩]، وختم الذهبي كلامه فيه: "وقد تقرر أن الواقدي ضعيف يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر...، مع أن وزنه عندي أنه -مع ضعفه- يكتب حديثه ويروى لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه... إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي، رحمه الله"[٥٨٠].

هذا وبالرجوع إلى قسم المغازي من السيرة النبوية ضمن "سير أعلام النبلاء" نجد الحافظ الذهبي يسوق مرويات محمد بن عمر الواقدي في كثير من المواضع، وقد لا يذكر في الواقعة الواحدة إلا ما رواه الواقدي في مغازيه[٥٨١]،

---

(٥٧٧) انظر: الضعفاء الصغير، ص ١٠٩ ترجمة ٣٣٤، والضعفاء والمتروكين، ص ٢٣٣ ترجمة ٥٣١.

(٥٧٨) الجرح والتعديل، جـ ٨ ص ٢١.

(٥٧٩) سير أعلام النبلاء، جـ ٦ ص ٥٤٣.

(٥٨٠) المرجع السابق، جـ ٦ ص ٥٥٠.

(٥٨١) انظر: على سبيل المثال خبر سرية بشير بن سعد، جـ ١، ص ٣٦٢، وخبر سرية بشير بن سعد إلى يمن وجَبَار، جـ١، ص٣٦٤، وخبر سرية شجاع بن وهب الأسدي، جـ ١ ص ٣٧٤، وسرية كعب بن عمير، جـ ١ ص ٣٧٥.

والشيء نفسه صنعه ابن كثير في قسم المغازي النبوية من "البداية والنهاية"، وقد يترك كلام ابن إسحاق ويقدم عليه الواقدي، وعلل ابن كثير مسلكه ذاك في كلامه عن سرية عبيدة بن الحارث -آخر السنة الأولى للهجرة- فقال: "قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله، كما سنورده في أول كتاب المغازي...، والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه، مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا المرسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ولله الحمد والمنة"[٥٨٢].

٤- أحمد بن محمد بن أيوب ت٢٢٨هـ:

قال ابن حجر في ترجمته " أبو جعفر الوراق صاحب المغازي "[٥٨٣]، وقال ابن سعد: "كان وراقاً يكتب للفضل بن يحيى بن جعفر بن برمك، فذكر أنه سمع المغازي من إبراهيم بن سعد مع الفضل بن يحيى "[٥٨٤].

قال أبو حاتم: كان أحمد بن حنبل يقول لا بأس به، ويحيى بن معين يحمل عليه...، وسئل عنه أبو حاتم فقال: روى عن أبي بكر بن عياش أحاديث منكرة[٥٨٥]، وقد ذكره الذهبي في "الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد"[٥٨٦].

قال الخطيب في تاريخه: "كان مورق الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك،

(٥٨٢) البداية والنهاية، جـ ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٥٨٣) تهذيب التهذيب، جـ ١ ص ٤٨.

(٥٨٤) الطبقات الكبرى، جـ ٧ ص ١١٧.

(٥٨٥) الجرح والتعديل، جـ ٢ ص ٧٠.

(٥٨٦) معرفة الرواة...، ص ٦٢.

وذكر أنه سمع معه من إبراهيم بن سعد مغازي محمد بن إسحاق، فأنكر ذلك يحيى بن معين عليه، وأساء القول فيه إلا أن الناس حملوا المغازي عنه"[٥٨٧].

وأخرج الخطيب عن ابن معين أنه "... سئل عن صاحب مغازي إبراهيم ابن سعد: -يعني أحمد بن محمد بن أيوب- فقال: قال لنا يعقوب عن إبراهيم بن سعد: كان أبي كتب نسخة ليحيى البرمكي فلم يقدر يسمعها"، قال الخطيب: "قلت غير ممتنع أن يكون ابن أيوب صحح النسخة، وسمع فيها من إبراهيم بن سعد، و لم يقدَّر ليحيى البرمكي سماعها، والله أعلم[٥٨٨]، وقد وردت بعض النقول من مغازي ابن أيوب عند ابن حجر في شرح كتاب المغازي من الفتح[٥٨٩]، لكن الحافظ لم يذكر مغازي ابن أيوب في معجم مروياته ولا في معجم شيوخه.

* * *

(٥٨٧) تاريخ بغداد، جـ ٥ ص ١٥٩.

(٥٨٨) المصدر نفسه، جـ ٥ ص ١٦١.

(٥٨٩) فتح الباري، جـ٨، ص ٢٩٤ شرح الحديث، ٣٩٦١ حيث قال ابن حجر: "وفي مغازي أحمد بن محمد ابن أيوب، قلت لابن إسحاق: ما أعمد من رجل؟ قال: يقول: هل هو إلا رجل قتلتموه"، وذلك في صفة قتل أبي جهل يوم بدر.

الفصل الثاني

المدارس التاريخية الإسلامية إلى بداية القرن الرابع الهجري

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مدرسة القصاصين.

المبحث الثاني: مدرسة الأخباريين.

المبحث الثالث: مدرسة أهل السيرة والتاريخ.

المبحث الرابع: مدرسة التاريخ.

الفصل الثاني

المدارس التاريخية الإسلامية إلى بداية القرن الرابع الهجري

توطئـــة:

لم يكن للعرب في الجاهلية تاريخ مكتوب، غير أنه كانت لهم اهتمامـــات تاريخية من خلال شغفهم بالأيام والقصص والأنساب ورواية أخبار الماضـــين، كما قام الشعر عندهم بدور كبير في تقرير مفهوم - التاريخ - وإن لم يكـــن للشعراء من قصد إلى ذلك بما خلده من أحوالهم ومآثرهم في الحرب والـــسلم، حتى أصبح بذلك من المصادر المهمة لمعرفة تاريخ ما قبل الإسلام عقدياً وسياسياً واجتماعياً.

وتعدى الاهتمام العربي بالتاريخ الرواية الشفوية إلى التدوين، فقد ذكر ابن هشام ما يلي: "وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش... وكـــان قـــدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفانديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكّر فيه بالله وحذر قومه مما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معـــشر قـــريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحـــدثهم عـــن ملوك فارس واسفانديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثاً مني، وما حديثـــه إلا أساطير الأولين اكتتبها، كما اكتتبتها فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾(٥٩٠)"(٥٩١)، قول الدكتور محمد حميد الله، تعليقاً على هذه الرواية: وهذا صريح في أن النضر بن الحارث كان عنده كتاب اكتتبه في تاريخ إيران أو ما شابهه"(٥٩٢).

وعندما أشرق نور الإسلام، أصبحت فكرة التاريخ تجسيداً لتصور جديد للوجود الإنساني، قائم على النظر إلى رسالة المسلم في الحياة، ودوره في الاستخلاف وعمران الأرض.

لقد نص القرآن الكريم على فكرة الزمن والهدف من الخلق، وامتداد العالم بين البداية وهي الخلق وبين البعث بوصفه نهاية، وذكّر بالعديد من السنن الكونية التي لا تتقيد بزمان ولا مكان، والتي وضعها الله في الكون ليستفيد منها الإنسان، مركِّزاً على أن كل ما يقع في هذا الكون الفسيح من وقائع هو من صنع الإنسان، وفق مشيئة الله سبحانه، وذلك لا يخرج عن هذه السنن الكونية الإلهية الكثيرة.

لقد ذكر القرآن الكريم قصة الخلق الأول، وقصص الأنبياء، وأخبار الملوك والأديان، وقدم الفائدة من التاريخ، بل قام بتفسيره تفسيراً يتماشى مع عقيدة التوحيد، وعالمية الإسلام، ووضع العديد من النظريات المهمة مثل نظرية الاعتبار، ونظرية عالمية التاريخ، وبعث روح العلم في حياة المسلمين، بتوجيههم إلى طرق التفكير السليمة، ومناهج البحث القويمة.

---

(٥٩٠) سورة الفرقان، آية: ٥.

(٥٩١) سيرة ابن هشام، ٣٥٨/١.

(٥٩٢) مقدمة تحقيق سيرة ابن إسحاق:

ويبقى علم التاريخ عند المسلمين مديناً في تدوينه وتطوره للسيرة النبويـــة، التي كانت بمثابة النواة الأولى التي اعتمد عليها العلماء في بداية كتابتهم للتاريخ الإسلامي، فكانت سبباً للاهتمام بما قبلها وما بعدها من المراحل والأطوار.

وقد كان الاهتمام بالسيرة النبوية في القرون الثلاثة الأولى للهجرة كـــبيراً جداً، وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم شرحاً وتفسيراً، وبسنة رســـول الله ﷺ هدياً وتطبيقاً، مما حفز العلماء لجمعها، وتوثيقها، ثم دراستها من أجـــل تجليـــة مواطن الاقتداء والتأسي فيها.

ويعد المحدثون رواد المدرسة التاريخية عند المسلمين، بسبب تأسيسهم لمنهجٍ إسلامي فريد في توثيق الرواية وانتقاء المصادر، وهذا المنهج يعد مثلاً أعلـــى في التحقيق التاريخي، والضبط العلمي.

و لم يقتصر أمر الاهتمام بالسيرة على المحدثين وحدهم، بل نافسهم في ذلك علماء آخرون بمناهج أخرى أقل صرامة في التعامل مع الروايات، وأكثر توسعاً وتسامحاً في استعمال المصادر، وظهرت على إثر ذلك مدارس مكتملة برجالهـــا، ومناهجها في تناول السيرة النبوية، سوف نشير إلى أهمها في المباحث التالية مـــع أبرز ميزاهما.

* * *

المبحث الأول

مدرسة القصاصين

تأخر التدوين التاريخي عند المسلمين، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، بسبب الاهتمام بتدوين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد شكلت الرواية الشفوية المحفوظة في الذاكرة محور عملية الجمع في الغالب، وبفعل الفتوحات ودخول أقوام جدد في الإسلام، لم تسلم هذه الرواية من كثير من الآفات، مثل الوضع، والتدليس، وضعف الرواة، وشكلت قصص ما قبل الإسلام المتصلة ببدء الخلق وتاريخ الأنبياء وأخبار الأمم المجاورة للحجاز، مثل الفرس والروم وبلاد اليمن ومصر وغيرها، مادة هذه الأخبار التي طُعِنَ فيها مِن قِبَلِ المحدثين. ومن أشهر رواة القصص والاسرائيليات في مجال التاريخ الإسلامي: عبيد بن شرية، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه. وسنقتصر على هذا الأخير لأنه خير من يمثل هذه المدرسة.

١- وهب بن منبه رائد مدرسة القصص التاريخي:

هو وهب بن منبه اليماني الصنعاني[٥٩٣] ولد سنة ٣٤هـ في ذمار باليمن وبها نشأ، ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز[٥٩٤] روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم،

---

(٥٩٣) راجع ترجمته في "تهذيب التهذيب"، ١٦٨/١١ وتذكرة الحفاظ، ٨٨/١.

(٥٩٤) مرآة الجنان، لليافعي، ٤٢٨.

أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي[٥٩٥]، وقد وثقه أبو زرعة والنسائي والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه الذهبي: كان ثقة صادقاً، كثير النقل من كتب الإسرائليات[٥٩٦]، ذكر عنه ابن قتيبة أنه كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً[٥٩٧]، وقال عنه ابن كثير: "له معرفة بكتب الأوائل"[٥٩٨].

ويعتبر وهب بن منبه ممن اهتموا بالإسرائليات واعتمدوا القصص مصدراً من مصادر التاريخ الإسلامي، وقد جمع مروياته من القصص، مما كان متداولاً في زمنه بروايات كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، وأضاف إليها ما حصله من القصص؛ نتيجة قراءته لكثير من الكتب المقدسة.. [٥٩٩].

وتنسب لوهب بن منبه العديد من الكتب، فابن سعد يذكر أنه ألف أحاديث الأنبياء"[٦٠٠] والمسعودي يذكر أنه ألف كتاب "المبدأ "[٦٠١] الذي يسميه ابن قتيبة كتاب "المبتدأ"[٦٠٢] وينسب له حاجي خليفة كتاب الإسرائيليات[٦٠٣]، وله كذلك رسالة في الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم،

(٥٩٥) تذكرة الحفاظ، ١/١٠٠.

(٥٩٦) نفسه: ١/١٠١.

(٥٩٧) المعارف لابن قتيبة، ٢٠٢.

(٥٩٨) البداية والنهاية، ٩/٢٧٦.

(٥٩٩) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: الدكتور رمزي نعناعة، ١٨٥.

(٦٠٠) طبقات ابن سعد، ٧/٩٧.

(٦٠١) مروج الذهب، ٥/١٢٧.

(٦٠٢) المعارف، ٤.

(٦٠٣) كشف الظنون، ٤/٩٤٣٦.

وغير ذلك(٦٠٤) ومن كتبه كذلك " كتاب الفتوح "(٦٠٥) وكتاب الحكمة(٦٠٦) وغيرها.

ومن أشهر كتب وهب بن منبه "المغازي" الذي يعتبر في عداد المفقودات مثل بقية كتبه الأخرى، وقد عثر المستشرق الألماني بيكر Becker بين مجموعة أوراق بردي محفوظة في "هايدلبرغ" على قطعة منها، يعود تاريخ نسخها إلى سنة ٢٢٨هـ(٦٠٧)، وهذه القطعة لا تعطينا فكرة عن منهجه في كتابة المغازي، أو عن نظرته للإسناد، كما أورد صاحب حلية الأولياء لوهب قطعتين في السيرة دون إسناد(٦٠٨)، تتعلق الأولى بفتح مكة، والأخرى بوفاة الرسول ﷺ، وأسلوبهما أسلوب القصاص، فيه تصوير حاذق، وتمجيد، ومادة أسطورية(٦٠٩).

٢- ملاحظات على منهج وهب بن منبه في نقل مرويات التاريخ الإسلامي:

لقد أثر وهب بن منبه تأثيراً واضحاً في الكتابة المبكرة لتاريخ الإسلام، بإدخاله القصص ضمن مصادر المؤرخ المسلم، وهذا واضح من خلال الروايات المأخوذة عنه لفترة ما قبل الإسلام، عند من جاء بعده من أهل السير، كابن إسحاق، أو المؤرخين مثل: اليعقوبي، وابن قتيبة، والطبري، والمسعودي(٦١٠).

---

(٦٠٤) معجم الأدباء، ٦/٢٢٢.

(٦٠٥) كشف الظنون، ٢/١٧٤٧.

(٦٠٦) طبقات ابن سعد، ٧/٩٧.

(٦٠٧) المغازي الأولى ومؤلفوها، ٥٠.

(٦٠٨) حلية الأولياء، ٤/٧٣ – ٧٩.

(٦٠٩) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، ١١٣، ونشأة التدوين التاريخي عند العرب: الدكتور حسين نصار، ٣٨.

(٦١٠) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ١١٣.

وإذا ما صحت نسبة الكتب التي ألفها وهب بن منبه إليه، يكون الاهتمام بالتاريخ الإسلامي وتدوينه قد وقع في وقت مبكر جداً، ومن خلال النظر في عناوين هذه الكتب نلاحظ أن أغلبها يدور حول بدء الخليقة، وقصص الأنبياء، وأخبار العباد وملوك حِمْيَر، وغير ذلك، مما يظهر أن اهتمام وهب بن منبه كان منصبّاً على فترة ما قبل الإسلام أكثر من غيرها.

يقول الدوري بأن وهب بن منبه لا يعتبر من أهل المغازي، وأن حقله هو في نطاق القصص والإسرائليات[٦١١]، ويشير إلى أنه جارى في إدخاله ضمن نطاق بحث علم التاريخ "هورفتس" و"ليفي دلافيدا" كاتب مادة (سيرة)، في دائرة المعارف (الإسلامية) وهذا غير مقبول منه، ما دام قد ثبت في غير مصدر تأليف وهب لكتاب في المغازي، وما دامت كثير من كتبه الأخرى لا تخرج عن السيرة في مفهومها العام.

لقد روى وهب بن منبه قطعاً من العهد القديم منقولة بصورة حسنة، ومقتبسة في تفسير الطبري، وترجم قطعاً من المزامير، وتدل بعض أخباره على معرفته بالتلمود، وهناك إشارات تدل على معرفته بالعبرية وبالسريانية، وأخذ معلومات عن المسيح وميلاده عن الإنجيل والكتب المسيحية الأخرى[٦١٢]، وهو بذلك يعتبر أول من أدخل هذه الكتب في مصادر التاريخ الإسلامي، وعنه أخذها من جاء بعده، مثل: ابن إسحاق، وغيره.

اشتهر وهب بن منبه برواية الإسرائيليات، وقد أراد بذلك تفسير بعض

---

(٦١١) نفسه، ١٠٣.

(٦١٢) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ١٠٦.

الآيات القرآنية، وتوضيح معناها للناس، وهو فيما رواه من ذلك لم يـسنده إلى رسول الله ﷺ، و لم يكذب فيه على أحد من المسلمين، وإنما كان يرويه بالفعل على أنه من الإسرائيليات، ونحن لسنا مكلفين بتصديقه أو تكذيبه، يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "وبعض أهل عصرنا تكلم فيه -أي في وهب بن منبـه- عن جهل ينكرون أنه يروي الغرائب عن الكتب القديمة، وما في هذا بأس إذا لم يكن ديناً، ثم أنى لنا أن نوقن بصحة ما روي عنه من ذلك، وأنه هو الذي رواه وحدث به"(٦١٣)، وعليه فليس كل ما يروى في الإسرائيليات عن وهـب صـحيحاً، فقد اختلق الوضاعون على لسانه كثيراً من الأخبار تناقلها القصاص بعدهم.

يكفي في توثيق وهب بن منبه أن يخرج له البخاري ومسلم، فكـل مـن أخرجا له يعتبر ثقة، ولا يلتفت لمن ضعفه لأنه لم يبين وجه التضعيف.

وإن لم نعثر على كتاب المغازي لوهب بن منبه بكامله، فما ورد في القطعة التي عثر عليها "بيكر"، والتي تتناول الموضوعات التالية: بيعة العقبـة الكـبرى، وحديث قريش في دار الندوة، والهجرة، ووصول النبي ﷺ إلى المدينة، وغزوة بني خيثمة، كاف لتوضيح منهجه الذي يقوم على عدم ذكر الأسانيد في الغالـب، وقطع سرد الحوادث بذكر الشعر المنسوب للمشركين في الحوادث، كما هـي عادة القصاص من العرب، ويعتبر من أوائل من وضعوا للسيرة النبوية هـيكلاً مكتملاً من بدء الخليقة إلى عصر المبعث، على خـلاف المـؤلفين في المغـازي الأولى، الذين اشتغلوا بالمغازي وحدها.

* * *

(٦١٣) نقلاً عن الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ١٩٢.

المبحث الثاني
مدرسة الأخباريين

سار التدوين التاريخي بعد ظهور الإسلام وفق منهجين: منهج أهل المدينة، وهم في غالبيتهم أهل الحديث، ثم منهج أهل العراق، وهم الأخباريون في الكوفة والبصرة.

ويقصد بالأخباريين: الرواة الذين ينفلتون من ضوابط المحدثين، فيتوسعون في رواية أخبار وأحداث خارج هذه الضوابط، اعتماداً على الرواية الشفوية على شيوخ متضلعين في معرفة أنساب قبائلهم، وبالاعتماد كذلك على كتب تحتوي على كثير من الشعر والأنساب والأخبار(٦١٤).

ونحن نقصد بمدرسة الأخباريين: رواة الأخبار التاريخية، الذين ظهروا في القرن الثاني، ومهدوا بما دونوه من أخبار لظهور المؤرخين الكبار، من أمثال خليفة بن خياط وابن قتيبة واليعقوبي والمسعودي وابن جرير الطبري.

وإذا كان أهل الحديث هم أقوى فروع التاريخ الإسلامي، فإن الأخباريين يشكلون الفرع الأضعف بسبب غلبة الأهواء والمذهبية على مروياتهم، وتهافت مناهجهم في النقل، غير أنهم رغم ذلك يشكلون أول شكل من أشكال تدوين التاريخ، وعملوا على سرد وتسجيل أخبار الإسلام والمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ خاصة، وهذه الأخبار ينبغي نخلها وتمحيصها من أجل الاستفادة منها.

(٦١٤) المؤرخون والتاريخ عند العرب: الدكتور محمد أحمد ترحيني، ٦٠.

وفيما يلي أبرز هؤلاء الأخباريين.

١- محمد بن السائب الكلبي: ١٤٦هـ:

هو أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس، وهو مقدم في علم الأنساب، وهناك إجماع على أنه أول من روى في الأنساب، ولم يؤلف فيها، كما اتفقت كتب الجرح والتعديل على أنه رأس في الأنساب، وانتقدوه بسبب تشيعه، وقالوا بأنه متروك الحديث وليس بثقة(٦١٥).

٢- عوانة بن الحكم: ١٤٧هـ:

هو أبو الحكم عوانة بن الحكم بن عوانة، من علماء الكوفة بالعراق، كان راوية للأخبار عالماً بالشعر والنسب، وكان فصيحاً ضريراً(٦١٦)، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي وكثير من أهل العلم(٦١٧)، قال فيه عبد الله بن جعفر: "عوانة ابن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة، والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة ... نسب له ابن النديم في الفهرست كتابين: كتاب التاريخ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية(٦١٨)، وقد شكك بعض الباحثين في نسبة الكتاب الأخير إليه.

قال فيه الذهبي: العلامة الأخباري أبو الحكم الضرير أحد الفصحاء، له كتاب التاريخ، وكتاب معاوية وبني أمية، وغير ذلك... وكان صدوقاً في نقله(٦١٩)،

---

(٦١٥) الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، ٢٧٠/٧، والتاريخ الكبير، للبخاري، ١٠١/١، وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ٤٨٥/٢.

(٦١٦) الفهرست ١٣٤.

(٦١٧) معجم الأدباء: ١٣٤/١٦.

(٦١٨) المؤرخون والتاريخ عند العرب: الدكتور محمد أحمد ترحيني: ٦٢ – ٦٣.

(٦١٩) سير أعلام النبلاء: ٢٠١/٧ – و٩٢/١١.

وقال فيه ابن حجر: "إخباري مشهور كوفي كثير الرواية عن التابعين، قـل أن يروي حديثاً مسنداً، وأورد عن عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي، وهو من تلاميذ ابن معين: أن عوانة كان عثمانياً، وأنه كان يضع الأخبار لـبني أمية[٦٢٠]، لكن الهيثم بن عدي يروي خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بـن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة، وفيه أنه ترحم عليه، وذكر فضله[٦٢١] مما يدل على أنه كان يظهر العثمانية تقية منه[٦٢٢]، ولكن، هذا الاتهام لعوانة فيـه نظر؛ إذْ يحتاج إلى دليل؛ ويردّهُ أنّ عوانة قد عاش ٢٦ سنة في ظل العباسـيين، وكان بإمكانه أن يعدِّل في مؤلفاته في هذه الفترة، بعد أن زال حكم الأمويين، لو أراد!.

ولا تتناول المقتطفات الباقية من تاريخ عوانة شيئاً من حياة الرسـول ﷺ، وإنما تبدأ ببيعة أبي بكر الصديق، وتصف الردة، وفتح العراق، وفتح بلدان فارس المختلفة... وحروب علي ومعاوية والحسن ومعاوية، وتاريخ العـراق، وقتـل الحسين، وثورة عبد الله بن الزبير، وتنتهي الأخبار بخروج ابن الأشعث، وقتـل ابن القرية...[٦٢٣].

اختلف في وفاته ما بين سنتي ١٤٧هـ و١٥٨هـ، قال المدائني: مات عوانـة

(٦٢٠) لسان الميزان: ٣١/٤.

(٦٢١) معجم الأدباء: ١٣٨/١٦.

(٦٢٢) نشأة التدوين التاريخي عند العرب: حسين نصار: ٦١، وهذا الاستنتاج غير صحيح؛ لأن دولة بني أمية انقرضت عام ١٣٦هـ، وعاش بعدها عوانة إلى ١٤٧هـ دون أن يُعـدِّل آراءه في مؤلِّفاته.

(٦٢٣) نفسه: ٦٢، وانظر: أيضا للمؤلف، نشأة الكتابة الفنية، ص ٢٢٧-٢٢٨.

سنة ثمان وخمسين ومائة، في السنة التي مات فيها المنصور[٦٢٤].

٣- أبو مخنف ١٥٧هـ:

هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الكوفي الأخباري الشيعي، الراوية النسابة، قال عنه ابن قتيبة: كان صاحب أخبار وأنساب والأخبار عليه أغلب[٦٢٥]، قيل إنه ألف اثنين وثلاثين كتاباً، واستخرج له الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى سبعة وأربعين مؤلفاً[٦٢٦]، بعضها في أهل العراق، والبعض الآخر في غيرهم، منها كتاب: الردة، وفتوح الشام، وفتوح العراق، والجمل، وصفين، وأهل النهراوان، والخوارج، ومقتل علي، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين، ووفاة معاوية، وولاية ابنه يزيد، ووقعة الحرة، وحصار ابن الزبير، وغيرها[٦٢٧]، وكلها مؤلفات مفقودة.

وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على تضعيفه، وترك حديثه، فقد قال فيه يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال في موضع آخر: ليس بثقة[٦٢٨]، وقال عنه ابن عدي: هو شيعي محترق، صاحب أخبارهم، وإنما وصفته للاستغناء عن حديثه... ثم قال: وله من الأخبار المكروه الذي لا أستحب ذكره[٦٢٩]، وقال فيه ابن حجر: "أخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره[٦٣٠]، ولم

---

(٦٢٤) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ١٣٤/١٦.

(٦٢٥) المعارف: ٢٣٤.

(٦٢٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ٤٧ – ٥٧.

(٦٢٧) نفسه: ٤٧ – ٥٧.

(٦٢٨) الضعفاء للعقيلي: ١٨/٤.

(٦٢٩) الكامل لابن عدي، جـ٦، ص٩٣.

(٦٣٠) لسان الميزان: ٤٩٢/٤.

يوثقه سوى النجاشي والحلي، وهم على مذهبه من التشيع[٦٣١].

وتبلغ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري خمسة وثمانين وخمسمائة رواية، تمتد من وفاة الرسول ﷺ إلى ظهور الدولة العباسية، وكلها ضعيفة لا يعتمد عليها[٦٣٢].

٤- سيف بن عمر التميمي: ١٨٠هـ:

نشأ بالمدينة، وبها أخذ علمه، وانتقل إلى العراق، يعتبر من أبرز الأخباريين، وأصحاب السير، له كتابان: "الفتوح الكبير والردة" و"الجمل ومسيرة عائشة وعلي"، وأخبار كتبه مستقاة من روايات قبيلة تميم، نقل عنه الطبري في مواطن، واعتمد عليه في خروج علي بن أبي طالب إلى صفين[٦٣٣]، وأكثر النقول عنه في أخبار الردة والفتوح.

اهمه أئمة النقد بالوضع في الأخبار، ومن أجل ذلك تركوا مروياته[٦٣٤]، وقد استقرأ ابن عدي مروياته، وقال: بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة، لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق[٦٣٥]، وكانت وفاته سنة ١٨٠هـ.

---

(٦٣١) روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ٤٥.

(٦٣٢) نفسه: ٤٨٧ – ٤٨٨.

(٦٣٣) المؤرخون والتاريخ عند العرب، د محمد أحمد ترحيني: ٦٣، وقد روى ابن خير كتابه الردة والفتوح لسيف بن عمر من طريق ابن عتاب، الفهرست ص ٢٠٤.

(٦٣٤) ميزان الاعتدال، جـ٢، ص٢٥٥–٢٥٦.

(٦٣٥) تهذيب الكمال المزي: ٣٢٦.

٥- أبو اليقظان النسابة ١٩٠هـ:

هو عامر بن حفص، ولقبه سحيم، من موالي تميم، عاش بالبصرة في العراق، وميوله أموية، يكره الشعوبية، ويخالف غلاة الشيعة[٦٣٦].

كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب، ثقة فيما يرويه[٦٣٧]، من الكتب التي تنسب إليه: "أخبار تميم" و"النوادر" والنسب الكبير. ومروياته من هذه الكتب مبثوثة عند المدائني والبلاذري وخليفة بن خياط[٦٣٨].

لم يترجم له أصحاب كتب الجرح والتعديل؛ مما يدل على عدم عنايته بالأحاديث، رغم وجود عدد من كبار المحدثين بين شيوخه الذين ذكرهم ضمن مصادره[٦٣٩].

٦- هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٢٠٤هـ:

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال محمد بن سعد عنه: "عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها"، ألف العديد من الكتب، تقارب مائة وخمسين كتاباً، كلها في عداد المفقود، ولم يبق منها سوى كتاب الأصنام، وهو مطبوع، وجزء من كتاب جمهرة النسب، مخطوط في المتحف البريطاني[٦٤٠]، وأغلب اهتماماته التاريخية صرفها للتاريخ الجاهلي، مثل "كتاب ملوك كندة"، وكتاب ملوك اليمن من التبابعة. ومصادره متنوعة، فهو

(٦٣٦) مقدمة طبقات خليفة بن خياط: الدكتور أكرم ضياء العمري: ٢٢.

(٦٣٧) الفهرست، لابن النديم: ١٣٨.

(٦٣٨) الفهرست: ص ١٣٨.

(٦٣٩) مقدمة طبقات خليفة بن خياط: ٢٢.

(٦٤٠) التاريخ العربي والمؤرخون: شاكر مصطفى: ١٩٢.

يأخذ عن أبيه، وعن عوانة بن الحكم، وأبي مخنف، كما يعتمد على كتب مترجمة في تاريخ الفرس، وبعض القصص الشعبية عن تاريخ اليمن، ويروي عن أهل الكتاب في تاريخ الأنبياء[٦٤١].

وهشام بن محمد بن السائب الكلبي متروك عند علماء الجرح والتعديل، فقد قال فيه ابن حبان: "هشام بن محمد بن السائب الكلبي من أهل الكوفة، يروي عن العراقيين العجائب، والأخبار التي لا أصول لها، وكان غاليا في التشيع، أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها"[٦٤٢].

وقال فيه العقيلي: "حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: هشام ابن محمد بن السائب الكلبي من يحدث عنه؟! إنما هو صاحب سمر، ونسب، وما ظننت أحداً يحدث عنه"[٦٤٣].

كما أورده الدارقطني في الضعفاء والمتروكين[٦٤٤]، قال فيه الذهبي: "متروك الحديث، فيه رفض"[٦٤٥].

٧- الهيثم بن عدي ٢٠٦هـ:

هو أبو عبد الرحمن بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الثعلبي الكوفي، عالم بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب[٦٤٦]، صنف العديد من

(٦٤١) المؤرخون والتاريخ عند العرب: ٦٨ – ٦٩.

(٦٤٢) المجروحين، لابن حبان: ٣/٣٠٤.

(٦٤٣) الضعفاء الكبير، جـ٤، ٣٣٩ وابن عدي في الكامل، جـ٧، ص١١٠.

(٦٤٤) الضعفاء والمتروكين، الدارقطني: رقم ٥٦٣.

(٦٤٥) العبر في خبر من غبر، جـ١، ص١٧٣.

(٦٤٦) الفهرست، ابن النديم: ١٤٥.

الكتب، منها: "المثالب"، و"المعمرين"، و"بيوتات العرب"، و"بيوتات قريش"، و"هبوط آدم عليه السلام"، و"افتراق العرب ونزولها ومنازلها"، و"نزول العرب بخراسان وبلاد السواد"، و"خطط الكوفة"، و"الوفود"، و"تاريخ الأشراف الكبير"، وغيرها[٦٤٧]. يمتاز منهجه في الكتابة التاريخية بالجمع بين الأنساب والأخبار. وهو مؤسس منهج الحوليات، الذي سار عليه المؤرخون بعده، مثل الطبري.

ولكن دعوى تأثره بثقافات الشعوب مِن خلال ترجمته عن الفارسية واليونانية كلامٌ يحتاج إلى دليل، وإسناده إلى مصدرٍ أصليٍّ معتمد، ولا يصح التسليم به بمجرد أنه ذكره مثل هذا المصدر.

قال عنه ابن المديني: "هو أوثق عندي من الواقدي، ولا أرضاه في الحديث، ولا في الأنساب ولا في شيء"[٦٤٨] كما كذبه يحيى بن معين[٦٤٩] وأبو داود السجستاني[٦٥٠]، وقال فيه البخاري: سكتوا عنه[٦٥١]، وتركه النسائي وغيره[٦٥٢].

٨- نصر بن مزاحم ٢١٢هـ:

هو أبو الفضل المنقري التميمي الكوفي، أخباري شيعي[٦٥٣]، تناول في مروياته موقعتي الجمل وصفين، ومقتل الحسين، ومقتل حجر بن عدي، وأخبار

---

(٦٤٧) الفهرست: ١٤٥.

(٦٤٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢/١٤.

(٦٤٩) الجرح والتعديل: ٨٥/٩.

(٦٥٠) تاريخ بغداد: ٣٣/١٤.

(٦٥١) التاريخ الكبير: ٢١٨/٨.

(٦٥٢) الضعفاء، للنسائي: ٢٤/١.

(٦٥٣) تاريخ بغداد: ٢٨٢/١٣.

المختار، ومناقب الأئمة، أخذ عنه الطبري ومؤرخو الشيعة أمثال محمد بن أبي الحديد.

يغلب على مروياته الأسلوب القصصي، الذي يتخلله الشعر والحوار والخطب، وهو لا يهتم بالإسناد أو التدقيق في التواريخ[٦٥٤]، قال عنه الذهبي: "رافضي جلد تركوه"[٦٥٥] وقال العقيلي: "شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير"[٦٥٦] وقال عنه أبو حاتم الرازي: "واهي الحديث متروك"[٦٥٧] وبقية النقاد على أنه ضعيف ليس بثقة، ولا مأمون، وأن أحاديثه غالبها غير محفوظ[٦٥٨].

٩- علي بن محمد المدائني ٢٢٥هـ:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المعروف بالمدائني، كان عالماً بأيام الناس، وأخبار العرب وأنسابهم، عالماً بالمغازي والفتوح، ورواية الشعر، صدوقاً في ذلك[٦٥٩]، روى عنه الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة والحارث بن أبي أسامة وغيرهم[٦٦٠] عاش ما بين البصرة والمدائن وبغداد، ويعتبر شيخ الأخباريين وخاتمتهم، تبلغ كتبه حوالي مائتين وأربعين كتاباً، متنوعة الموضوعات[٦٦١].

---

(٦٥٤) المؤرخون والتاريخ عند العرب: ٦٣ – ٦٤.

(٦٥٥) ميزان الاعتدال: ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.

(٦٥٦) الضعفاء الكبير: ٣٠٠/٤.

(٦٥٧) الجرح والتعديل: ٦٩٦/٦.

(٦٥٨) الضعفاء والمتروكين، الدارقطني: ١٦٠/٣، وغيره.

(٦٥٩) تاريخ بغداد: ٥٥/١٢.

(٦٦٠) نفسه: ٥٤/١٢.

(٦٦١) سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٤٠٠، والمغني من الضعفاء، جـ٢، ص ٤٥٤، ولسان الميزان، جـ٤، ص٢٥٣.

حلاّه الذهبي -في العبر- بقوله: "صاحب التصانيف والمغازي والأنساب"[٦٦٢]، وأورد في السير جملة من مصنفاته: "... منها (تسمية المنافقين)، و(خطب النبي عليه الصلاة والسلام)، وكتاب (فتوحه)، وكتاب (عهوده)، وكتاب (أخبار قريش)، و(أخبار أهل البيت)..."[٦٦٣].

قال ابن حجر في اللسان: "ذكره ابن عدي في الكامل فقال: ... ليس بالقوي في الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلَّ ما له من الروايات المسندة..."، قال الحافظ: "لم أره في ثقات ابن حبان، وهو على شرطه"[٦٦٤].

ملاحظات على مرويات الأخباريين في السيرة النبوية:

من المعلوم أن أغلب الأخباريين من أصحاب مدرسة العراق، وهم متهمون بالرفض والتشيع، والرواية عن المجاهيل والمدلسين، مما يضع علامة استفهام كبيرة حول مروياتهم، وخاصة ما انفردوا به عن غيرهم.

وعندما نلاحظ ما نقلوه من مرويات، نجد أنهم أوردوا روايات كثيرة عن حركة الردة والفتوحات، والخلافة الراشدة، والدولة الأموية، ثم الدولة العباسية في عصرها الأول، ولم ينقلوا من مرويات السيرة إلا النزر اليسير.

وعليه فنحن مطمئنون إلى أن أثر الأخباريين في مرويات السيرة ضعيف، إن لم يكن منعدما، لعدم اهتمامهم بروايتها، ولأمر آخر هو أن المحدثين سبقوهم إليها، نظراً لسبقهم التاريخي، فسيجوها بسياج متين، ومحّصوها ونقلوها بطرق

(٦٦٢) العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ١٩٥.

(٦٦٣) سير أعلام النبلاء، جـ ٧، ص١٩٦.

(٦٦٤) لسان الميزان، جـ٥، ص ٨١-٨٢.

صحيحة، تمكننا من المقارنة عند أدنى شائبة.

فإذا استثنينا أبا عبيدة معمر بن المثنى ٢١٠هـ، وعلي بن محمد المدائني، اللذين صنفا كراريس في موضوعات مختلفة من السيرة، لا نجد للأخباريين إلا الرواية والروايتين هنا وهناك في كتب السيرة والتاريخ، فقد روى الطبري لأبي مخنف ثلاث روايات في مرض النبي ﷺ: الأولى: في تحديد بداية وجعه ﷺ. والثانية: في اشتداد المرض عليه. والثالثة: في تحديد اليوم والشهر والتاريخ الذي توفي فيه(٦٦٥)، بينما لم يورد شيئاً لمعمر بن المثنى، ولا للهيثم بن عدي، ولا لأبي اليقظان النسابة(٦٦٦).

بينما نقل الحافظ بن كثير في البداية والنهاية عن سيف بن عمر التميمي خبراً يتعلق بالوفاة، وأخباراً تتعلق بأزواجه ﷺ، ونقل عن الهيثم بن عدي ومحمد ابن السائب الكلبي أخباراً حول طهارة أمهاته ﷺ، وهواتف الجان(٦٦٧)، ولم يورد لأبي مخنف، ونصر بن مزاحم، ولا لأبي اليقظان النسابة، ولو رواية واحدة.

وتبقى أغلب روايات الأخباريين تهتم بالخلافة الراشدة، والفتوحات، والفتنة، وتاريخ العراق، وبعضهم يجول في تاريخ العرب من الجاهلية إلى مطلع القرن الثالث، وكل ما تناولوه من السيرة النبوية، وهو قليل جداً، عندنا روايات المحدثين على اختلاف طبقاتهم ومناهجهم، تغنينا عن كل ما أوردوه في مروياتهم.

* * *

---

(٦٦٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ٩٢.

(٦٦٦) مرويات السيرة النبوية بين مناهج المحدثين والأخباريين، ندوة العناية بالسنة والسيرة: ٩/٨.

(٦٦٧) نفسه: ٩.

المبحث الثالث

مدرسة أهل السيرة والتاريخ

يَجْمع أصحاب مدرسة السيرة والتاريخ بين خصائص المدارس كلها، بما فيها مدرسة القصاصين والأخباريين، ويتميزون بميل كبير لمنهج أهل الحديث.

وأغلب رجال هذه المدرسة ثقات حفاظ، صدوقون مشهود لهم بالثقة والأمانة في علم المغازي والسير، ولم يُطعن في واحد منهم طعنٌ بيّنٌ إلا الواقدي، مع الاعتراف له بأنه صاحب كتاب عظيم في بابه.

لقد أفاد أصحاب مدرسة السيرة والتاريخ من مناهج المحدثين بالتزامهم أحياناً سرد الأسانيد، دون اشتراط للصحة، وكان هاجسهم الأكبر إكمال صورة الواقعة بمناهج أخرى، قد لا يحبذها أهل الحديث، وبجهودهم أمكن للسيرة أن تصبح علماً مستقلاً، ومكّن للتاريخ الإسلامي أن يتطور ويعلو بنيانه.

وسوف نقتصر في الحديث عن أعلام هذه المدرسة على أبرزهم في القرون الثلاثة الأولى.

المطلب الأول

محمد ابن إسحاق بن يسار ١٥١هـ[٦٦٨]

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، المطلبي ولاء، مولى آل قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ولد سنة ٨٥هـ بالمدينة، رأى أنس بن مالك ﷺ، وسعيد بن المسيب، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر[٦٦٩]، طاف خلال رحلته العلمية بعدة بلدان، وسمع من جمع كبير من الشيوخ في مصر والحجاز والري وما بينها.

أخذ عن أبيه وعمه موسى، وأبان بن عثمان، ومحمد بن إبراهيم التيمي، ومكحول، ونافع العمري، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وابن شهاب الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وابن المنكدر، وطاووس[٦٧٠].

---

(٦٦٨) مصادر ترجمته كثيرة ومتعددة منها: طبقات ابن سعد ٣٢١/٧ و٤٠١/٩، والتاريخ الكبير، للبخاري ١/رقم ٦١، والتاريخ الصغير، للبخاري ١١/٢، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٧/رقم ١٠٨٧، والثقات، لابن حبان ٣٨٠/٧، والكامل، لابن عدي ١٠٢/٦، وتاريخ بغداد: ٢١٤/١، وسير أعلام النبلاء: ٣٣/٧، وميزان الاعتدال ٤٦٨/٣، وتذكرة الحفاظ ١٧٢/١، وتهذيب التهذيب ٣٨/٩، ومعجم الأدباء: ٥/١٨، ووفيات الأعيان ٢٧٦/٤ – ٢٧٧، وعيون الأثر: ١٠/١-١٧، كما اهتم به كثير من المستشرقين، وخاصة منهم الألمان، أمثال "يوهان فوك" ١٩٢٥، و"فيشر" و"هورفتس" في المغازي الأولى ومؤلفوها ١١١/٩١، والانجليزي "وات" وغيرهم.

(٦٦٩) تاريخ بغداد: ٢١٤/١.

(٦٧٠) سيرة ابن إسحاق: مقدمة الدكتور محمد حميد الله: كا.

حدث عنه شيخه يزيد بن أبي حبيب بمصر مع قيس بـــن أبي يزيـــد[٦٧١]، ويحيى ابن سعيد الأنصاري، وشعبة، والثوري، والحمادان، وأبو عوانة، وهيثم، وسفيان بن عيينة، وآخرون[٦٧٢].

ويعتبر محمد بن إسحاق إمام الناس في السير والمغازي، وقد شهد له بذلك جمع من شيوخه ومن جاء بعدهم، فعن سفيان بن عيينة قال: قال الزهـــري: لا يزال بالمدينة علم ما بقي ابن إسحاق، وعندما سئل عن عمل المغازي، قال: هذا أعلم الناس به يعني ابن إسحاق... ويقول الـــشافعي: مـــن أراد أن يتبحـــر في المغازي فهو عالة على ابن إسحاق... وقال عاصم بن عمر: مـــدار حـــديث رسول الله ﷺ على ستة، وذكرهم، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عـــشر، وذكر منهم ابن إسحاق[٦٧٣].

وفيما يلي سوف نشير إلى أسباب تأليف كتاب المغازي والسير، ومحتوياته، ومنهج ابن إسحاق فيه:

١ – أسباب التأليف:

يقول الخطيب البغدادي بسنده: دخل محمد بن إسحاق على المهدي، وبين يديه ابنه، فقال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومك هذا، قال فذهب فصنف له الكتاب، فقال: قد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختـــصره.

---

(٦٧١) نفسه: كا.

(٦٧٢) كتاب الجرح والتعديل: ١٩١/٧، رقم الترجمة ١٠٨٧.

(٦٧٣) تهذيب التهذيب: ٤١/٩ – ٤٢، عيون الأثر ٥٦/١، ومقدمة تحقيق سيرة ابن إسحاق: كب.

فهو هذا الكتاب المختصر، وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمـــير المـــؤمنين... وأضاف: قال الحسن بن محمد المؤدب: وسمعت أبا الهيثم يقول: صـــنف ابـــن إسحاق هذا الكتاب في القراطيس، ثم صير القراطيس لسلمة، يعني ابن الفضل، فكانت تفضل رواية سلمة (لكتاب ابن إسحاق) على رواية غيره لحال تلـــك القراطيس"[٦٧٤].

ويستفاد من هذه الروايات أن تأليف كتاب ابن إسحاق كان بطلب مـــن خلفاء بني العباس[٦٧٥]، بين سنتي ١٣٦ و١٤٤هـــ[٦٧٦]، لكن من المـــرجح أن يكون ابن إسحاق قد ألف كتابه في نسخته الأولى قبل هذا التاريخ من خـــلال جمعه لمرويات في السيرة عن شيوخه المدنيين، يقول "هورفتس": "ولا تعني هذه الرواية أنه كتب المغازي للخليفة بعهد منه، إذ تُبين قائمة الرواة الذين ذكـــرهم أنه ألف مادته على أساس الأحاديث التي جمعها في المدينة خاصة، وعلى أساس الأحاديث التي جمعها في مصر أيضاً"[٦٧٧]، وحسب الدكتور سهيل زكار فسيرة ابن إسحاق لها ثلاث نسخ طبقاً للمراحل التي تنقل فيها بين البلدان الإسلامية، فهناك نسخة العهد المدني، والثانية للعهد الكوفي، والثالثة للعهد البغدادي[٦٧٨]، وكل التخمينات التي ذهب إليها "هورفتس" وتابعه على بعضها سهيل زكار من

---

(٦٧٤) تاريخ بغداد: ١/٢٢١ – ٢٢٢.

(٦٧٥) ذكر ابن قتيبة في المعارف أن الخليفة الذي طلب من ابن إسحاق تأليف المغازي هو أبو جعفر المنصور، ورجحه الحافظ الخطيب البغدادي، المعارف ٢٤٧، وتاريخ بغداد: ١/٢٢٢.

(٦٧٦) كتاب السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار: المقدمة: ١٢.

(٦٧٧) المغازي الأولى ومؤلفوها: ٩٦.

(٦٧٨) كتاب السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار: المقدمة: ١٣.

التغييرات التي أدخلها ابن إسحاق على كتابه لإرضاء بني العباس، أو محاولة للجزم بأن نسخة العهد المدني هي رواية يونس بن بكير، ونسخة العهد الكوفي هي رواية البكائي، ونسخة العهد البغدادي هي رواية محمد بن سلمة الحراني، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في بعض الروايات. كل هذه التخمينات لا تستوي على أساس علمي صلب، ولا يمكن الاعتماد عليها، خاصة أننا لم نعثر بعد على نسخة كاملة لأي من هذه الروايات وغيرها، وبالخصوص رواية سلمة ابن الفضل.

وقد عَهِدنا كثيراً مثل هذه الاتهامات والبناء على مثل هذه الظنون والتخمينات في كثيرٍ مِن الكتابات الاستشراقية، حين يكون الكلام عن الإسلام وتاريخه!.

٢- محتويات الكتاب:

يسمى كتاب ابن إسحاق بمغازي ابن إسحاق، وبكتاب سيرة ابن إسحاق، وكتاب المغازي والسير، أو كتاب السير والمغازي. وكلها عناوين لكتاب واحد من تأليف ابن إسحاق، وقد حاول بعض المستشرقين(٦٧٩) التشكيك في الكتاب من خلال ادعاء التضارب الموجود في تسميته في المصادر، مع أن العلماء لم يذكروا لابن إسحاق سوى كتابين: كتاب الخلفاء، وكتاب السير.

وقد قسم ابن إسحاق كتابه إلى ثلاثة أقسام هي: المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

---

(٦٧٩) راجع أقوال المستشرق "بلاشير" حول الموضوع في أطروحة الدكتور مصطفى بن عمر المسلوتي: دراسات المستشرقين الفرنسيين للسيرة النبوية ٩٧/٢، مرقومة بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط.

فقسم المبتدأ: يشمل التاريخ السابق على عصر المبعث، والكثير من مرويات ابن إسحاق في هذا القسم انتقلت إلى كتب التاريخ والسير والتفسير التي ألفت من بعده.

أما قسم المبعث: فتناول حياة الرسول ﷺ حتى الهجرة.

والقسم الثالث: خصصه ابن إسحاق للمغازي والفترة المدنية[٦٨٠]؛ وبالرجوع إلى القطع المخطوطة التي حققها د. حميد الله عام ١٣٩٦هـ نجد القطعة الأولى تتضمن ثمانية عشر خَبراً، بدءاً من النسب الشريف إلى خبر وفاة عبد المطلب ووصيته لابنه أبي طالب[٦٨١].

أما القطعة الثانية فتبتديء بقصة بحيرى إلى خبر صرف القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وتشمل أربعمائة وسبعة عشر حديثاً[٦٨٢].

أما القطعة الأخيرة فتشمل عدداً من مرويات المغازي النبوية[٦٨٣]؛ وعلى ذلك يكون قسم المبتدأ من كتاب ابن إسحاق قد ضاع، وإن كنا نجد أخباره بالأسانيد في الكتب التي نقلت عنه، أما قسم المغازي فقد سقط جله من النسخة المطبوعة إذا قارناها بما في سيرة ابن هشام.

٣- منهج ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية:

استطاع ابن إسحاق أن يطور كتابة السيرة النبوية من خلال الاستفادة ممن سبقوه، وإضافة أشياء جديدة، مكنته أن يتبوأ الصدارة والريادة في هذا العلم.

(٦٨٠) محيي الدين مستو، مناهج التأليف في السيرة النبوية، ص ٢٥٩.

(٦٨١) سيرة ابن إسحاق بتحقيق: حميد الله، ص ١-٤٨.

(٦٨٢) المصدر نفسه، ص ٥٣-٢٧٩.

(٦٨٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٣-٣١٥.

وقد اعتمد ابن إسحاق على المصادر التالية:

أ- الاستشهاد بالقرآن الكريم، فهو يستشهد بالآيات القرآنية لاتصالها بالحوادث اتصالاً لصيقاً، وقام بتفسير آيات كثيرة تتعلق بالسيرة النبوية، قرابة مائة آية من سورة البقرة، ومثلها من سورة آل عمران، ومثلها من سورة التوبة، وبعض السور كاملة مثل سورة النصر(٦٨٤).

ب- ما رواه عن شيوخه من أمثال الزهري، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وله في المدينة مائة شيخ(٦٨٥) كما سمع في الاسكندرية زمن مقامه بمصر من يزيد بن أبي حبيب ١٢٨هـ(٦٨٦)، وله روايات كثيرة عن الزبيريين(٦٨٧).

ج- روايات أهل الكتاب، وهي قليلة جداً، حيث يسوق أقوالهم في المباحث المتعلقة باليهود والنصارى والفرس، ويشير إليهم بقوله: "بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول" و"أهل التوراة"، أو "من يسوق الأحاديث عن العجم"(٦٨٨).

(٦٨٤) راجع كتاب المغازي والسير، لابن إسحاق: تحقيق: د. سهيل زكار ٩٧ – ١١٠ – ١٣٠ – ١٤٥ – ٢٠٥ – ٣٣٥ وغيرها.

(٦٨٥) أكبر أساتذة ابن إسحاق هو الزهري، ويقول في الإسناد معبراً عنه: حدثني محمد بن مسلم الزهري، أو سألت ابن شهاب الزهري، انظر: فهارس د. حميد الله لسيرة ابن إسحاق، ص٣٦٢.

(٦٨٦) بعث ابن إسحاق إلى الزهري وثيقة رواها له يزيد أبي حبيب في مصر، عن سفارات النبي ﷺ إلى الأمراء المختلفين، كي يتحقق من صحتها: ابن هشام ٤/٢٥٥.

(٦٨٧) انظر على سبيل المثال عِدّة مرويات ابن إسحاق عن عروة بن الزبير، وعن هشام بن عروة في القِطع التي حققها د. حميد الله ضمن فهارس الكتاب، ص ٣٧٣ و٣٨٨.

(٦٨٨) للمقارنة فإن مرويات هشام بن عروة في تحقيق د. حميد الله بلغت ٢٧ حديثاً، في حين لم تتعد =

د – الاستشهاد بالشعر وقد جر عليه العديد من الانتقادات، من ابن النديم، وابن سلام الجمحي، لا نطيل الحديث بذكرها، وهذا ما دفع ابن هشام إلى حذف كثير من هذه الأشعار عند تهذيب الكتاب.

هـ- إدخال القصص الشعبي: مثل القصص العربية، وأخبار اليمن، وكثير من أخبار الفترة المكية، ويروي ذلك باستعمال لفظ: "قصة"(٦٨٩).

ويتميز أسلوب ابن إسحاق في الكتابة بالسرد المناسب للحوادث، حسب التسلسل الزمني، مع التدقيق في التواريخ والأسامي وتفسير غريب اللغة، وإغناء المعلومات بالكثير من الوثائق التاريخية الرفيعة، والقوائم الدقيقة عن المشاركين في الأحداث.

وهو وإن كان يتساهل في المبتدأ في نقل القصص والأخبار القديمة، دون إسناد، ويعطي لنفسه الحرية في النقل عن وهب بن منبه، وأهل الكتاب، نجده يتشدد في المبعث والمغازي، ويروي أغلب هذا القسم عن شيوخه المدنيين، وأغلبهم من الثقات الأثبات، وفي هذا القسم يغيب ابن إسحاق الأخباري، ويحل محله ابن إسحاق آخر محدِّث ومؤرخ ناقد، يبدي شكه في الروايات حيث يقول في بعضها: "فيما يزعمون، والله أعلم"(٦٩٠) غير أن مادته الكثيرة والمتنوعة اضطرته إلى توسيع دائرة رواته، وقبول بعض الأحاديث غير المرضية، والإخلال بنظام الأسانيد، مما أزعج مدرسة الحديث منه(٦٩١).

=
الرواية عن كعب الأحبار خبرين اثنين. انظر: المصدر السالف، ص ٣٧٩.

(٦٨٩) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٠٣/١ – ٢٢٤.

(٦٩٠) نفسه: ١٨٦/١ – ١٩٤ – ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٦٩١) معجم ياقوت: ٣٩٩/٦، ونشأة التدوين التاريخي عند العرب: ٦٨ – ٦٩.

المطلب الثاني

محمد بن عمر الواقدي ٢٠٧هـ[٦٩٢]

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المدني، كان جده مولى لعبد الله بن بريدة الأسلمي، وإلى جده هذا ينسب فيقال له الواقدي.

نشأ الواقدي بالمدينة، التي ساعده جوها العلمي، وتوافُرُ العلماء بها على التضلع في السيرة والمغازي، وجمع المعلومات التاريخية حول الفتوحات من مختلف المصادر المتوافرة.

سمع من معمر بن راشد، ومالك بن أنس، ومحمد بن عبد الله بن أخي الزهري، وربيعة بن عثمان، وعبد الملك بن جريج، وأسامة بن زيد بن أسلم العدوي، وعبد الحميد بن جعفر والثوري وأبي معشر وآخرين[٦٩٣].

قدم بغداد سنة ١٨٠هـ، في دَيْنٍ لحق به، وخرج إلى الشام والرقة، ثم عاد إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن قدم المأمون من خراسان، فولاه القضاء بعسكر المهدي[٦٩٤].

أخذ عنه جم غفير من العلماء بسبب شهرته وسعة علمه، ومنهم ابن أبي شيبة وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي،

---

(٦٩٢) مصادر ترجمته طبقات ابن سعد ٣٠١/٥، والتاريخ الكبير، للبخاري ١٧٨/١، والجرح والتعديل ٢٠/٨، وتاريخ بغداد ٣/٣، والفهرست، لابن النديم ١١١، ووفيات الأعيان ٥٠٦/١، وتهذيب الكمال ١٨٠/٢٦، وسير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٩، وميزان الاعتدال ٣/ رقم ٧٩٩٣، وتهذيب التهذيب ٣٦٣/٩، وتذكرة الحفاظ ٣٤٨/١، وعيون الأثر ٦٧/١-٧٢.

(٦٩٣) عيون الأثر: ٦٧/١.

(٦٩٤) الطبقات: ٤٦٥/٤ و٤٢٥/٧، وتاريخ بغداد: ٢٠/٣.

ومحمد ابن سعد كاتبه، ومحمد بن شجاع الثلجي[٦٩٥]، وفيما يلي بيان بمكانته العلمية، ومحتويات كتابه، ومنهجه فيه:

١- مكانة الواقدي العلمية:

كان الواقدي عالم عصره في السيرة والمغازي والفتوحات، بالإضافة إلى الحديث والفقه والأحكام، قال الخطيب البغدادي: "قدم الواقدي بغداد، وولي قضاء الجانب الشرقي فيها، وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم: من المغازي، والسير، والطبقات، وأخبار النبي ﷺ، والأخبار التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ، وكتب الفقه، واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء"[٦٩٦]، وقد شهد له بالتبحر في العلم كل من محمد بن سلام الجمحي[٦٩٧] وتلميذه محمد بن سعد[٦٩٨].

بذل الواقدي جهوداً مضنية من أجل أن يصل إلى ما وصل إليه من معرفةٍ عالية بالسير والأخبار، وتفاصيل المغازي، يقول في ذلك عن نفسه: "ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى

(٦٩٥) سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٩ — ٤٥٥.

(٦٩٦) تاريخ بغداد: ٣/٣.

(٦٩٧) نفسه: ٣/٣.

(٦٩٨) طبقات ابن سعد: ٤٦٥/٥.

الموضع حتى أعاينه"[٦٩٩].

وعندما زار الخليفة العباسي هارون الرشيد، ووزيره خالد البرمكي، المدينة، حاجين طلباً من يدلهما على المشاهد وقبور الشهداء، فدلَّوهما على الواقدي، الذي صحبهما في زيارتهما، ولم يَدَعْ موضعاً من المواضع، ولا مشهداً من المشاهد إلا مر بهما عليه[٧٠٠]، ويكفي في بيان مكانته في علم السيرة أن يسأله الإمام مالك عندما توقف في حال المرأة التي سمت النبي ﷺ، عندما سئل عنها، فقال: ليس عندي بها علم، وسأسأل عنها أهل العلم، فلقي الواقدي، فقال له: الذي عندنا أنه قتلها. فقال مالك: قد سألت أهل العلم فأخبروني أنه قتلها"[٧٠١].

للواقدي العديد من الكتب أوصلها ابن النديم إلى ثمان وعشرين كتاباً، منها كتاب التاريخ، والمغازي، والمبعث، وكتاب الطبقات، وكتاب السيرة، وكتاب أزواج النبي ﷺ، وكتاب التاريخ الكبير، وكتاب أخبار مكة[٧٠٢].

ولعل الكتاب الذي اشتهر به الواقدي، وأحله مكانةً رفيعة بين أهل السير، هو كتاب المغازي[٧٠٣]، الذي يتميز بأسلوب خاص ومنهجية متفردة.

---

(٦٩٩) تاريخ بغداد: ٦/٣.

(٧٠٠) طبقات ابن سعد: ٣٠١/٥.

(٧٠١) عيون الأثر: ٦٨/١.

(٧٠٢) الفهرست: ١١١.

(٧٠٣) طبع كتاب المغازي لأول مرة سنة ١٩٤٨، في مجلد واحد بالقاهرة، ثم طبع بجامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٦م في ثلاث مجلدات، بتحقيق المستشرق الانجليزي "مارسدن جونس"، وعن هذه النشرة صورته العديد من المطابع في بيروت وغيرها.

٢- محتويات كتاب المغازي:

يعتبر كتاب المغازي أقدم كتاب في المغازي يصلنا كاملاً، استهله الواقدي بمقدمة شاملة، ذكر فيها قائمة طويلة من الرواة الذين نقل عنهم الأخبار، وهم خمسة وعشرون، وقال بعد ذكرهم: "فكلٌّ حدثني من هذا بطائفة، وبعضهم أوعى لحديثه من بعض، وغيرهم قد حدثني أيضاً فكتبت كل الذي حدثوني"[٧٠٤].

ثم قدم عرضاً شاملاً لمقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ولغزواته وسراياه، مع التاريخ الزمني، وبيان عددها الإجمالي، وعدد الغزوات التي قاتل فيها ﷺ، وأسماء من استخلفهم النبي ﷺ أمراء على المدينة أثناء غيابه عنها، وشعارات رسول الله ﷺ والمسلمين في القتال[٧٠٥].

بعد ذلك تناول الغزوات حسب تسلسلها الزمني، من سرية حمزة بن عبد المطلب إلى غزوة مؤته، يذكر في كل واحدة تاريخ خروج النبي ﷺ، وبقية التفاصيل الأخرى...

ويعتبر كتاب المغازي حسب رأي "هورفتس" أغنى في أخبار الفترة المدنية من كتاب ابن إسحاق"[٧٠٦].

٣- منهجية الواقدي في كتاب المغازي:

يتميز منهج الواقدي في كتابة السيرة النبوية بالعديد من الميزات، نذكر منها:

---

(٧٠٤) المغازي، الواقدي: ٢/١.

(٧٠٥) مناهج التأليف في السيرة النبوية، محيي الدين مستو: ٢٨٧.

(٧٠٦) المغازي الأولى ومؤلفوها: ١٢١.

أ- عرض المادة بنوع من الشمول، من أجل وضع القارئ في إطار الحدث، وسياق السيرة، وإتباع ذلك بالتفاصيل، بدءاً من تاريخ الغزوة، ومكانها، وشعار المسلمين فيها، وأميرها، وما نزل فيها من قرآن كريم(٧٠٧).

ب- استعمال الإسناد الجمعي، حيث يجمع الأسانيد، ويذكر متناً واحداً للواقعة، ومن ذلك ما ذكره في غزوة أحد، عندما قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث، وعبد الله بن جعفر، وابن أبي سبرة، ومحمد بن صالح بن دينار، ومعاذ بن محمد، وابن أبي حبيبة، ومحمد بن يحيى بن سهل بن أبي حتمة، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، ويحيى بن عبد الله بن قتادة، ويونس بن محمد الظفري، ومعمر بن راشد، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وأبو معشر، في رجالٍ لم أسم، فكلٌّ قد حدثني بطائفة من هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت كل الذي حدثوني قالوا...(٧٠٨) وقد أنكر عليه ذلك الإمام أحمد، وستأتي مناقشة ذلك في الفصل الموالي.

ج- الاستدلال بالقرآن الكريم، وإذا كانت الغزوة قد نزلت فيها آيات، فإنه يفردها وحدها مع تفسيرها، يضعها في نهاية أخبار الغزوة، كما فعل مثلاً في غزوة بدر الكبرى، فبعد أن أنهى مروياتها عرض للآيات التي نزلت فيها، وعلى الأخص في سورة الأنفال(٧٠٩).

---

(٧٠٧) راجع كتاب المغازي: ١٩٩/١، وما بعدها.

(٧٠٨) نفسه: ١٩٩/١.

(٧٠٩) المغازي: ١٣١/١.

د- اهتمامه بالأنساب حيث يعمد في أسماء قوائمه إلى ذكر أنساب من ذكرهم، وأسماء قبائلهم. ومن نماذج ذلك قوله: "وخرجت أم سعد بن معاذ، وهي كبشة بنت عبيد بن معاوية بلحارث بن الخزرج - تعدو نحو رسول الله ﷺ..."[٧١٠] وقوله: "حدثني عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعد بن يربوع، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد، وغيره أيضاً، قد حدثني من حديث هذه السرية..." [٧١١].

هـ- التحقيق في تواريخ الغزوات وانفراده بذكر تاريخ بعضها، مثل غزوة بني قينقاع قال: "وقعت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً حاصرهم النبي ﷺ إلى هلال ذي القعدة"[٧١٢]، وغزوة بني سليم، حيث قال: إنها وقعت لليال خلت من جمادى الأولى، على رأس سبعة وعشرين شهراً، غاب رسول الله ﷺ عشراً"[٧١٣].

و- إيراد التفاصيل الجغرافية عن مواقع السيرة النبوية، وهذا ناتج عن تتبعه للآثار وتحريه لأبعاد الخبر وملابساته، بدراسات ميدانية واقعية، قال هارون الفروي: رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة"[٧١٤].

---

(٧١٠) المغازي: ٣١٥/١.

(٧١١) نفسه: ٣٤٠/١.

(٧١٢) نفسه: ١٧٦/١.

(٧١٣) نفسه: ١٩٦/١.

(٧١٤) طبقات ابن سعد: ٤٢٥/٥ - ٤٢٦.

وقد جاء في كتاب المغازي تحديد الكثير من المواقع: من ذلك تحديد موقع برك الغماد، حيث قال فيه: من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل، مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن[٧١٥].

ز- تقويم الأخبار حيث استعمل الواقدي العديد من العبارات في فصول الكتاب تدل على تحريه الكبير، وعلى معرفةٍ دقيقة بأخبار السيرة النبوية، ومن هذه العبارات قوله: "الثابت عندنا"، أو "وهو المثبت"، أو "المجتمع عليه عندنا"، وغيرها.

ومن نماذج ذلك ما ذكره في قصة الرماة يوم أحد، يقول: "وجعل رسول الله ﷺ يصفُّ أصحابه، وجعل الرماة خمسين رجلاً على عينين -جبل بأحد- عليهم عبد الله بن جبير، وقيل عليهم سعد بن أبي وقاص، قال ابن واقد: والأثبت عندنا عبد الله بن جبير..."[٧١٦].

والخلاصة أن كتاب المغازي، على الرغم مما قيل في صاحبه من ضعف في رواية الحديث، يعتبر من الكتب الأساسية في علم السيرة والمغازي وهو يحتاج إلى دراسة جادة، وفحص دقيق لمروياته.

---

(٧١٥) المغازي: ١/٤٨.

(٧١٦) المغازي: ١/٢٢٠.

المطلب الثالث

خليفة بن خياط العصفري ٢٤٠هـ

١- ترجمته(٧١٧):

هو أبو عمر خليفة بن خياط الشيباني العصفري، المعروف بشباب، كان عالماً بالنسب، والسير، وأيام الناس، روى عن ابن علية، وبشر بن المفضل، وأبي داود الطيالسي، وابن عيينة، وابن مهدي، ويزيد بن زريع(٧١٨)، حدث عنه البخاري في صحيحه وتاريخه، وعبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان(٧١٩).

تلقى علمه في البصرة، ولم يرحل عنها في طلب العلم، وأغلب شيوخه بصريون، ذكر له ابن النديم خمسة كتب هي: الطبقات، والتاريخ، وطبقات القراء، وتاريخ الزَّمْنى والمرضى والعميان، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته(٧٢٠)، وأضاف إليها إسماعيل باشا البغدادي كتاباً خامساً، هو كتاب: المسند في الحديث(٧٢١).

---

(٧١٧) مصادر ترجمته: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: ٣/٣٧٨، وسير أعلام النبلاء: ١١/٤٧٢، وميزان الاعتدال: ٢/٢٥٧، وتذكرة الحفاظ: ٢/٤٣٦، والضعفاء للعقيلي: ٢/٢٢، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/٢٤٣، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، ٢/٩٤، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردى ٢/٣٦٤، وتهذيب التهذيب ٣/١٦٠.

(٧١٨) طبقات الحفاظ: ١٩٣.

(٧١٩) شذرات الذهب، لابن العماد: ٢/٩٤.

(٧٢٠) الفهرست: ٢٣٨.

(٧٢١) هدية العارفين: ١/٣٥٠.

وكانت وفاته سنة مائتين وأربعين للهجرة[٧٢٢].

أكثر نقاد الحديث يوثقون خليفة بن خياط، لكنه مع ذلك لم يسلم من بعض المغامز، فقد قال فيه العقيلي: "حدثني زكرياء بن يحيى الساجي، قال حدثنا الحسيني بن يحيى الأزدي، قال سمعت علي بن المديني يقول في عبد الرحمن بن عمر بن حبلة، وشباب بن خياط: شجر يحمل الحديث"[٧٢٣]، وقال فيه ابن أبي حاتم الرازي: "وسألت أبي عنه، فقال: لا أُحدث عنه، هو غير قوي، كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد، فأتيت أبا الوليد وسألته عنها فأنكرها، وقال: ما هذه من حديثي، فقلت كتبتها من كتاب شباب العصفري، فعرفه وسكن غضبه، قال أبو محمد انتهى أبو زرعة إلى أحاديث كان أخرجها في فوائده عن شباب العصفري فلم يقرأها علينا، فضربنا عليها، وتركنا الرواية عنه"[٧٢٤]، ومعلوم أن ابن أبي حاتم الرازي وأباه كانا من المتشددين في الجرح، وليس فيما ذكرناه حجة قاطعة يطعن بها في روايات خليفة بن خياط، كما أن لكلام أبي الوليد العديد من المخارج، فقد غضب في الأول، ولما عرف مصدر الرواية وأنها لخليفة سكن غضبه، وفي ذلك دليل على توثيقه لخليفة، ولعله وجد في رجال الأحاديث من ينكر أمره، أو قد رواها في زمن مضى ثم تبين له بعد ذلك من أمرها ما أنكر[٧٢٥].

---

(٧٢٢) سير أعلام النبلاء: ٤٧٣/١١.

(٧٢٣) الضعفاء، للعقيلي: ٢٢/٢.

(٧٢٤) الجرح والتعديل: ٣٧٨/٣.

(٧٢٥) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار المقدمة، ٧.

أما بقية العلماء فقد وثقوه، وأخرجوا له في كتبهم ، قال عنه الذهبي ، " حدث عنه البخاري بسبعة أحاديث أو أزيد في صحيحه، وبقي بن مخلد وحرب الكرماني، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وعمر بن أحمد الأهوازي، وموسى بن زكرياء التستري... وكان صدوقاً نسابة عالماً بالسير والأيام والرجال، وثقه بعضهم، وقال ابن عدي: هو صدوق من متيقظي الرواة، قلت: لينه بعضهم بلا حجة[٧٢٦]، وفي ذلك إشارة إلى قول ابن أبي حاتم الرازي وأبيه.

ويكفي خليفة بن خياط توثيق البخاري له في التاريخ الكبير، وابن حبان في الثقات، والذهبي في تذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء، وابن خلكان في الوفيات، وابن العماد في شذرات الذهب، وابن حجر في هدي الساري، وفي تهذيب التهذيب، وغيرهم[٧٢٧].

٢- محتويات كتاب التاريخ لخليفة بن خياط[٧٢٨]:

تكمن قيمة كتاب خليفة بن خياط العصفري في كونه من أقدم كتب التاريخ الإسلامي على طراز الحوليات، التي وصلت إلينا، وهو وثيقة مهمة

---

(٧٢٦) سير أعلام النبلاء: ٤٧٣/١١.

(٧٢٧) تذكرة الحفاظ: ٤٣٦، وسير أعلام النبلاء: ١٢٦/٨-١٢٧، ووفيات الأعيان: ١٧٤/١، وشذرات الذهب: ٩٤/٢، وهدي الساري: ٥٦٥، وتهذيب التهذيب ١٦٠/٣.

(٧٢٨) طبع هذا الكتاب مراراً عن نسخة فريدة من رواية بقي بن مخلد تحتفظ بها خزانة القرويين بفاس، وممن نشره الدكتور سهيل زكار عن دار الفكر ١٤١٤هـ، والدكتور أكرم ضياء العمري عن دار القلم بدمشق ١٩٧٧م، ومصطفى وحكمت فواز عن دار الكتب العلمية: ١٤١٥هـ.

بمصادرها ومروياتها الثمينة، أورد فيه صاحبه مائتين واثنتين وثلاثين سنة من تاريخ المسلمين، من هجرة الرسول ﷺ إلى ثمان سنوات قبل وفاته.

والكتاب مرتب على الحوليات، بدأه بالحديث عن الفائدة من علم التاريخ، واستعمال الأمم السابقة له، وأسباب تأريخ المسلمين بالهجرة على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٧٢٩)، ثم أشار إلى السيرة النبوية، وبعدها تناول بقية أحداث التاريخ الإسلامي حسب التسلسل الزمني إلى نهاية الدولة الأموية.

وخليفة بن خياط في مروياته التاريخية لا يحتفل بالإسناد كثيراً، ويهتم بالحياة الإدارية والاجتماعية والعلمية، حيث يقف على تراجم العلماء، ولا يذكر خليفةً من خلفاء المسلمين إلا أشار إلى عماله وقضاته وكتّابه، ويدقق التواريخ، ويعتني بأسماء البلدان والمواضع عناية بالغة، ويميل إلى الاختصار والإيجاز في كثير من مروياته.

٣- السيرة النبوية في تاريخ خليفة بن خياط:

خص خليفة بن خياط سيرة رسول الله ﷺ بفصل مختصر من تاريخه، في نحو أربعين صفحة، ولئن كان في فصول التاريخ مضرباً عن الإسناد إلا قليلاً. فإننا نجده في السيرة النبوية يكتب بمنهج المؤرخ الذي يميل إلى طرائق المحدثين، فكل رواياته تقريباً نجدها مسندة إلى قائليها، وأول من يروي عنه سفيان بن عيينة ويزيد بن زريع وغندر وإسماعيل بن علية.

وقد شملت مادة السيرة عند خليفة ابن خياط الأحداث المهمة المتعلقة بحياة الرسول ﷺ من المولد إلى الوفاة، بروايات مختصرة غالبها لابن إسحاق، أعطى

(٧٢٩) تاريخ خليفة بن خياط: ١٣-١٥.

من خلالها هيكلاً للسيرة دون تفصيل.

ومروياته من حيث الصحة متفاوتة في درجاتها، فمنها الصحيح الموثوق به، وقد شهد له بذلك كبار المحدثين من زمن البخاري إلى ابن حجر العسقلاني، وفيها ما دون الصحيح.

وفي مروياته عن ابن إسحاق اعتمد بكثرةٍ على رواية بكر بن سليمان[٧٣٠]، كما كان ينتقي من مرويات البكائي[٧٣١]، ووهب بن جرير[٧٣٢].

وفي الأنساب روى عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي[٧٣٣]، وأبي اليقظان النسابة[٧٣٤]، واعتمد في كثير من مروياته على الأخباريين مثل علي بن محمد المدائني[٧٣٥]، وأبي عبيدة معمر المثنى[٧٣٦].

ومن مميزات خليفة بن خياط في كتابة السيرة: خلو مروياته من الاستشهاد بالأشعار، مخالفاً بذلك أهل السير والمؤرخين، الذين يهتمون بالأشعار: صحيحها، وسقيمها، كما اهتم بجوانب من السيرة غالباً ما يغفلها المؤرخون، مثل ذكر قوائم المشاركين في الأحداث، وبخاصة في السرايا والمغازي، فقد ذكر العديد من القوائم، مثل من استشهد مع رسول الله ﷺ ببدر[٧٣٧]، ومن استشهد

---

(٧٣٠) تاريخ خليفة: ٢٥-٢٧-٢٨ ٣٢-٣٣ ٣٥-٣٥ ٥٠-٤١-٤٣.

(٧٣١) نفسه: ٨-١٧.

(٧٣٢) نفسه: ٣-١٥-١٦.

(٧٣٣) نفسه: ٨.

(٧٣٤) نفسه: ٥٣.

(٧٣٥) نفسه: ٨.

(٧٣٦) نفسه: ١٣-٤٥.

(٧٣٧) نفسه: ٢٢.

معه يوم أحد[٧٣٨]، ومن قتل من المسلمين في خيبر[٧٣٩]، ومن استشهد في الطائف[٧٤٠]، وعماله ﷺ[٧٤١]، ورسله[٧٤٢]، وعماله على الصدقات[٧٤٣].

وقد وقف على كثير من الإفادات الاجتماعية والاقتصادية المهمة، من أجل هذا كله يعتبر كتاب تاريخ خليفة بن خياط مصدراً لا غنى عنه لدارس السيرة النبوية؛ لأن صاحبه محدث ومؤرخ، ولأنه أشار إلى بعض الأحداث التي لم يذكرها غيره، ودقق تواريخه، وكان وفياً لمنهجه في الاختصار والإيجاز.

المطلب الرابع

محمد بن جرير الطبري: ٣١٠هـ

١- ترجمته[٧٤٤]:

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي، ولد بآمل حاضرة إقليم طبرستان، وبها نشأ ثم رحل إلى العراق والشام ومصر، وأدرك الأسانيد

---

(٧٣٨) نفسه: ٢٨.

(٧٣٩) نفسه: ٣٨.

(٧٤٠) نفسه: ٤٣.

(٧٤١) نفسه: ٤٨.

(٧٤٢) نفسه: ٤٩.

(٧٤٣) نفسه: ٤٩.

(٧٤٤) ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ٣٥١/٢، ووفيات الأعيان: ٤٥٦/١، وطبقات ابن السبكي: ١٣٥/٢-١٤٠، والبداية والنهاية: ١٤٥/١١، وميزان الاعتدال: ٣٥/٣، وسير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤، ولسان الميزان: ٣٥/٣، وتاريخ بغداد: ١٦٢/٢، وكشف الظنون: ٤٣٧، وبحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ٥٥، والمؤرخون والتاريخ عند العرب: ٧٨ وما بعدها.

العالية. من شيوخه محمد بن حميد الرازي، الذي كتب عنه أكثر من مائة حديث(٧٤٥)، وأحمد بن حماد الدولابي، ومحمد بن العلاء الهمذاني، وإبراهيم المزني، والربيع بن سليمان، ويوسف بن عبد الأعلى(٧٤٦).

كان إماماً في السنّة، وعُدَّ من طبقة الترمذي والنسائي، إماماً في الفقه والأصول، حتى كان له مذهب فقهي مستقل وأتباع(٧٤٧).

من آثاره تاريخ الأمم والملوك، وجامع البيان، وتهذيب الآثار، واختلاف الفقهاء، وآداب القضاة، وغيرها.

كان ورعاً زاهداً، مترفعاً عن أموال السلطان، راضياً بالقليل من العيش، لم يتزوج، توفي سنة ٣١٠هـ(٧٤٨).

أثنى عليه كثير من العلماء، فقد قال فيه الخطيب البغدادي: "كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره"(٧٤٩).

وقال الذهبي: كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والاجماع والاختلاف، علامة في التاريخ، وأيام الناس، عارفاً بالقراءات، وباللغة، وغير ذلك(٧٥٠).

---

(٧٤٥) معجم الأدباء: ١٨/٥٠.

(٧٤٦) نفسه: ١٨/٥١-٥٢.

(٧٤٧) تاريخ الأمم والملوك، مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١.

(٧٤٨) معجم الأدباء: ١٨/٩٤.

(٧٤٩) تاريخ بغداد: ٢/١٦٣.

(٧٥٠) سير أعلام النبلاء: ١٤/٢٦٧.

٢- محتويات كتاب تاريخ الأمم والملوك:

يعتبر كتاب ابن جرير الطبري في التاريخ من أقدم كتب التـــاريخ علـــى الإطلاق، وتعود أهميته إلى ما يلي:

- مادته العلمية الغزيرة، حيث تناول كل الموضوعات التاريخية، مقسماً كتابـــه إلى قسمين: الأول ذكر فيه بدء الخليقة، والأنبياء والسيرة النبوية إلى ما قبـــل الهجرة، تناول فيه كذلك أمم الفرس والعرب وبني إسرائيل، ذكر فيه أصول الحوادث، و لم يفصل كثيراً لانقطاع الأسانيد.
- والثاني حول أحداث التاريخ الإسلامي من الهجرة إلى سنة ٣٠٢هـ، تناول فيه السيرة النبوية من الهجرة إلى الوفاة، وعصر الخلافة الراشدة، وحركة الردة، والفتوحات، وتسلسل الخلفاء الأمويين والعباسيين إلى زمنه.
- الربط بين العقيدة وكتابة التاريخ: حيث ألف تاريخه انطلاقاً مـــن عقيدتـــه الإسلامية، وحلل في المقدمة نظرته، وتفسيره للتاريخ على أنه صـــراع بـــين الخير والشر، وبين الإيمان والكفر. يقول رحمه الله: "وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقـــه إلى حـــال قيامهم، من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأ الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه... ومن كفر منهم نعمة فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه..."(٧٥١).
- تعدد مصادره: وقد سجلها في أسانيد أخباره وأهمها: كتب التفسير والسير، مثل سيرة ابن إسحاق، ومغازي وهب بن منبه، وترجمات بعض الكتب التي أرخت للفرس، مثل كتب ابن المقفع، وهشام بن السائب الكلبي، وكتـــب

(٧٥١) تاريخ الأمم والرسل والملوك: ٤.

الروم، وقصص اليهود، وما كتبه أصحاب المدونات الأولى في السيرة النبوية، وكتب الفتوح، والردة، مثل كتاب: سيف بن عمر التميمي، وعلي بن الحسين المدائني، وأبي مخنف، وعوانة بن الحكم[٧٥٢]. وهو بذلك يكون قد استوعب أكثر المصنفات التي سبقته، وقد فعل خيراً، لأنه احتفظ لنا بمرويات ضاعت قبله بسبب فقد كتبها.

- ترتيبه على الحوليات، مما يعرف القارئ بالأطوار التي مرت بها الأمة الإسلامية في أحوال السلم والحرب، والتقدم والازدهار والانحطاط.
- حفاظه على الإسناد ونسبة الأقوال إلى أصحابها في غالب مروياته، مما يمكن الدارس من التعرف على قيمتها، بعرضها على غيرها من الروايات، أو تمحيص أسانيدها ومتونها، يقول -رحمه الله-: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني رأسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه"[٧٥٣].
- وإن كانت محاوره تعتمد على تعاقب الدول، وتقلبات السياسة، فهو لا يخلو من رصد وبيان للحركة الفكرية والعلمية والمذهبية والاجتماعية والاقتصادية للعالم الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى، لكثرة ما يرصد من ظواهر وحقائق تعكس هذه الاهتمامات.
- الأمانة والحياد والشمولية في النقد، فمعلوماته تعتبر من أوثق المعلومات التي

---

(٧٥٢) التاريخ والمؤرخون، شاكر مصطفى: ١/٢٥٥.

(٧٥٣) تاريخ الأمم والملوك: ٥.

وصلتنا، لذلك كان المؤرخون بعده عيالاً عليه، يقول المسعودي في كتابه: "إنه الزاهي على المؤلفات، والرائد على الكتب المصنفات، قد جمع أنواع الأخبار، وحوى فنون الآثار، واشتمل على ضروب العلم، وهو تكثر فائدته، وتنفع عائدته"(٧٥٤).

٣- السيرة النبوية في تاريخ الطبري:

أورد الإمام الطبري أخبار السيرة النبوية في الجزء الثاني من كتابه، وقد رتبها حسب التسلسل الزمني، مبتدئاً بنسب رسول الله، ومنتهياً بذكر الخبر عن اليوم والشهر الذي توفي فيهما ﷺ(٧٥٥).

وقد جمع الطبري مروياته من مصادر متنوعة، حيث نقل في أحداث المبتدأ عن ابن إسحاق، ووهب بن منبه، وعبيد بن شرية، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي(٧٥٦). أما في أحداث المبعث فقد استند إلى روايات أبان بن عثمان، وعروة ابن الزبير، وشرحبيل بن سعد، وموسى بن عقبة، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن شهاب الزهري، وابن إسحاق، وابن سعد، والواقدي(٧٥٧).

وقد اعتمد الطبري كثيراً على روايات ابن إسحاق في أخبار السيرة، وبالخصوص رواية سلمة الأبرش عنه(٧٥٨).

وكثيراً ما نجد الطبري يحيل في أخبار السيرة على كتبه الأخرى، التي سبق

---

(٧٥٤) علم التاريخ عند المسلمين، "روزنتال"، ٦٩٥.

(٧٥٥) مناهج التأليف في السيرة النبوية، محيي الدين ديب مستو: ٣٤١.

(٧٥٦) المؤرخون والتاريخ عند العرب: ٨٠.

(٧٥٧) نفسه: ٨٠.

(٧٥٨) تاريخ الطبري: ٢/٦٧-٧٠-٨٤ وغيرها.

أن ألفها، أو التي يعتزم تأليفها، بغرض إفراد بعض موضوعات السيرة بمزيد الشرح والدراسة، مثل: الأخبار الدالة على نبوة الرسول ﷺ[٧٥٩].

كما أنه سار على درب من سبقه من أهل السير والتاريخ في إيراد أشعار السيرة النبوية في مختلف الوقائع[٧٦٠].

وغالباً ما نجده يكثر من إيراد الأقوال المختلفة، ويتدخل بشتى الطرق، فأحياناً ينبه على رأيه في الموضوع، أو ترجيحه بقوله: "قال أبو جعفر: "، أو يقدم من خلال ذلك فائدة جديدة، ومثال ذلك ما ساقه في خبر تزويج النبي ﷺ من خديجة، حيث قال: "قال أبو جعفر: وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم، فيقال منزل خديجة، فاشتراه معاوية، فيما ذكر، فجعله مسجداً يصلي فيه الناس، وبناه على الذي هو عليه اليوم لم يغير"[٧٦١]. وعندما أورد خبر ولادة النبي ﷺ يوم الاثنين قال: "قال أبو جعفر: وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم"[٧٦٢]، وأحياناً يستدرك على أقوال من قبله بقوله: "قال أبو جعفر: وممن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن النبي ﷺ أنه تزوجه من النساء زينب بنت خزيمة، وهي التي يقال لها أم المساكين من بني عامر بن صعصعة"[٧٦٣]. وأحياناً يتدخل لتصحيح الخبر بقوله: "قال أبو جعفر: صح الخبر عن رسول الله

---

(٧٥٩) تاريخ الطبري: ٤٦/٢.

(٧٦٠) نفسه: ٧/٢-١٠-١١-١٢-١٣-٥٩ وغيرها.

(٧٦١) نفسه: ٢٦/٢.

(٧٦٢) نفسه: ٤٣/٢.

(٧٦٣) نفسه: ٤١٦/٢-٤١٧.

ﷺ بما حدثنا به الحديث"[٧٦٤].

ويعتبر الطبري -رحمه الله- من أكثر كُتَّاب التاريخ تدقيقاً وتحقيقاً للتواريخ، ومن أمثلة ذلك قوله: "قال أبو جعفر: كان بناء الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة، وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة، واختلف السلف في سِنِّ رسول الله ﷺ حين نبيء، فقال بعضهم : نبيء رسول الله ﷺ بعدما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ، وبعدما تمت له من مولده أربعون سنة[٧٦٥].

ويعد كتاب الطبري في قسم السيرة النبوية مصدراً لا غنى عنه للدارسين، لاحتفاظه بكَمٍّ مهم من الروايات التي ضاعت أصولها، والتي يمكن جمعها وترتيبها منه، وعلى الخصوص مرويات المغازي الأولى، وسيرة ابن إسحاق.

* * *

(٧٦٤) نفسه: ٤٣/٢.

(٧٦٥) نفسه: ٤٢/٢.

المبحث الرابع
مدرسة أصحاب التاريخ الصرف

يغلب على أصحاب هذه المدرسة المنهج التاريخي في التعامل مع نصوص السيرة النبوية، رواية ودراية، من حيث الأسانيد، والتساهل في اختيار المصادر، وتنويعها، وظهور النزعات المختلفة، وبناء هيكل الكتب على الحوليات، وغير ذلك.

ومن أشهر المصنفين الأوفياء لنهج هذه المدرسة: ابن قتيبة ٢٨٠هـ، في كتاب "المعارف"، والدينوري ٢٨٢هـ، في "الأخبار الطوال"، واليعقوبي (كان حياً ٢٩٢هـ)، في "تاريخه"، والمسعودي ٣٤٦هـ، في "مروج الذهب"، وسنقتصر على دراسة كتابي هذين الأخيرين طلباً للاختصار.

المطلب الأول
اليعقوبي: كان حياً ٢٩٢هـ

١- ترجمته[٧٦٦]:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، الأخباري الكاتب والمؤرخ، من أهل بغداد، كان جده من موالي المنصور العباسي، كان

(٧٦٦) مصادر ومراجع عن ترجمته: معجم الأدباء: ١٥٣/٥، ومقدمة تاريخ اليعقوبي، طبعة العراق:١، أ- نشأة علم التاريخ: ٥١ وما بعدها، والتاريخ العربي والمؤرخون: ٢٤٩/١-٢٥٣، ومصادر التاريخ الإسلامي، سيدة إسماعيل كاشف: ٧٣، وكتب حذر منها العلماء، مشهور بن حسن آل سلمان ٥٦/٢.

كثير الأسفار، رحل إلى المغرب، وأقام مدة في أرمينية، ودخـــل الهنـــد، وزار الأقطار الإسلامية.

له العديد من الآثار، منها: تاريخه، انتهى به إلى خلافة المعتمد العباســـي، وكتاب البلدان، وأخبار الأمم السالفة، ومشاكلة الناس لزمانهم[٧٦٧].

وقد اختلف في سنة وفاته، حيث ذكر صاحب "معجم الأدباء" أنّه تـــوفي ٢٨٤هـــ[٧٦٨]، والراجح: وفاته عام ٢٩٢هـــ[٧٦٩].

٢-التعريف بتاريخ اليعقوبي[٧٧٠]:

تاريخ اليعقوبي من المصنفات المبكرة في التاريخ الإسلامي، جمع فيه صاحبه بين العلم والجغرافية والتاريخ، وهو عبارة عن خلاصة وافية للتاريخ العالمي قبل الإسلام، وللتاريخ الإسلامي حتى ٢٥٩هـ.

وقد راعى اليعقوبي في تاريخه التسلسل الزمني للوقائع فيما ذكره من تاريخ الأنبياء والأمم والسيرة النبوية وبقية أحداث التاريخ إلى زمنه.

وتعكس مصادره تقدمه في فهم المنهج التاريخي، وإدراكـــه، ففـــي قـــسم التاريخ القديم يرجع إلى المصادر الأصلية، كالكتاب المقدس، وحين يتحدث عن التاريخ الفارسي لا ينسى أن ينبه القارئ إلى أن مادته أسطورية، وبالتالي يصعب

(٧٦٧) تاريخ اليعقوبي، مقدمة نشرة العراق: ج.

(٧٦٨) معجم الأدباء: ١٥٣/٥.

(٧٦٩) د. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية، ص ٨٤.

(٧٧٠) أول من نشر الكتاب هو المستشرق "هوتسما" (١٨٨٣) في جـــزأين، ثم نـــشر في النجـــف بالعراق في ثلاثة أجزاء، وعن هذه الطبعة صدر في بيروت بلبنان ١٩٥٥م، وعنها نشره محمد صادق بحر العلوم، سنة ١٩٦٤هـ.

الوثوق بها، وفي مجال كتابته عن اليونان يعتمد الكتب اليونانية المترجمة(٧٧١).

وحين يقترب اليعقوبي من عصره، نجده يقتصر على ذكر الأخبار بإيجاز، حيث لا يقدم عن كثير من الوقائع إلا بضع إشارات، حيث كان هاجسه هو كتابة تاريخ مختصر مركز من المواد الواسعة والمتباينة أمامه(٧٧٢).

وفي تاريخه هذا نجده يهمل الأسانيد، مكتفياً بذكر أهم مصادره في مقدمة الجزء الثاني(٧٧٣) ويتجه إلى نقد مصادره، خاصة تلك التي تتعلق بما قبل الإسلام، كما يمحص مصادر الفترة الإسلامية، ويكتفي بالإشارة إليها في مقدمته؛ لأن أسانيدها معروفة(٧٧٤).

ومما يلاحظ على الكتاب: تعصب صاحبه ضد بني أمية على امتداد صفحات مؤلفه وللموالي ضد العرب، لهذا كثرت فيه الروايات الضعيفة(٧٧٥).

٣- السيرة النبوية في تاريخ اليعقوبي:

تناول اليعقوبي السيرة النبوية في الجزء الثاني من تاريخه(٧٧٦)، ويقول عن ذلك في المقدمة: "وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله إليه، وأخبار الخلفاء بعده"(٧٧٧).

---

(٧٧١) المؤرخون والتاريخ عند العرب: ٧٧.

(٧٧٢) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ٥٣-٥٤.

(٧٧٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٣-٤.

(٧٧٤) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ١٢٩-١٣٠.

(٧٧٥) كتب حذر منها العلماء، مشهور بن حسن آل سلمان: ٢/٥٦.

(٧٧٦) تاريخ اليعقوبي: ٢/٤-٨٢ من مولد رسول الله ﷺ إلى تسمية من ولدته الفواطم.

(٧٧٧) تاريخ اليعقوبي: ٢/٣-٤.

وقد اعتمد فيه على مصادر مهمة، مما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتواريخ، على حد قوله،[٧٧٨] -وقد أشار إلى جملة من أسانيده في مقدمة الجزء الثاني، حيث قال-: "وكان ممن روينا عنه في هذا الكتاب:

- إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي عن أشياخ بني هاشم.
- أبو البختري وهب بن وهب القرشي عن جعفر بن محمد وغيره من رجاله.
- أبان بن عثمان عن جعفر بن محمد.
- محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله.
- عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي.
- أبو حسان الزيادي عن أبي المنذر الكلبي وغيره ورجاله.
- عيسى بن يزيد بن دأب.
- الهيثم بن عدي الطائي عن عبد الله بن عباس الهمداني.
- محمد بن كثير القرشي عن أبي صالح وغيره من رجاله.
- علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني.
- أبو معشر السندي.
- محمد بن موسى الخوارزمي المنجم"[٧٧٩].

ويميل أسلوب اليعقوبي إلى الإيجاز، والاختصار، مكتفياً بالإشارة إلى أهم أحداث السيرة النبوية، كالمولد والمبعث والهجرة والمغازي والشمائل والوفاة وخطب الرسول ﷺ.

---

(٧٧٨) نفسه: ٣/٢.

(٧٧٩) نفسه: ٤/٢.

ويتميز منهجه كذلك بما يلي:

- حذف الأسانيد مطلقاً والاكتفاء بالإشارة إليها في المقدمة.
- الإحالة أحياناً على بعض الأخباريين وكتاب السيرة ورواتها، مثل محمد بن السائب الكلبي ومحمد بن إسحاق وابن هشام وغيرهم(٧٨٠).
- الاهتمام بتحديد تواريخ أحداث السيرة والتدقيق فيها(٧٨١).
- إيراد الأقوال المختلفة حول الواقعة الواحدة، والإشارة إلى الآراء المرجوحة، بقوله "وقيل" أو "ويقال"(٧٨٢)، وأحياناً نجده يميل إلى ترجيح ما رواه جعفر ابن محمد(٧٨٣).
- عدم الاهتمام برواية شعر السيرة، حيث لم يرو سوى أشعارٍ قليلة في مواضع متفرقة، لا تزيد على البيت والبيتين(٧٨٤)، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة بقوله: وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منه الأشعار(٧٨٥).
- إهمال الأنساب إلا في الفصل الأخير، حيث أشار إلى نسبه ﷺ ونسب أمهاته إلى إبراهيم(٧٨٦).
- عدم الاستشهاد بالآيات القرآنية، وعلى الخصوص في الوقائع التي نزل فيها شيء من القرآن.

---

(٧٨٠) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٢-١٩-٤٣.

(٧٨١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٨.

(٧٨٢) نفسه: ٢/١٢.

(٧٨٣) نفسه: ٢/١٣.

(٧٨٤) نفسه: ٢/٥-٦-٧-٨-١٠-١١-١٥-١٨-٢٤-٧٨.

(٧٨٥) نفسه: ٢/٤.

(٧٨٦) نفسه: ٢/٧٨-٧٩.

- عدم الاحتفاء بشرح غريب اللغة في النصوص الكثيرة، التي أوردها، والتي تحتاج إلى شرح وتفسير، كما فعل كتاب السيرة والتاريخ قبله.
- وضوح نزعة التشيع في الكتاب من خلال ما يلي:
  - إيراد أغلب الطرق التي رويت بها السيرة عن جعفر بن محمد، وقد أشار إليها في المقدمة.
  - ترجيح رواية جعفر بن محمد عند تضارب الأقوال[٧٨٧].
  - ظهور علي رضي الله عنه في عرض أحداث السيرة أكثر من غيره من الصحابة في روايات أول من أسلم[٧٨٨] وفي نصائح الرسول إليه[٧٨٩] وغيرها.

٤- نماذج من رواية اليعقوبي للسيرة النبوية:

أ- وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ﷺ ثماني سنين، ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة، وقيل مائة وأربعون سنة، وأعظمت قريش موته، وغسل بالماء والسدر. وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر[٧٩٠].

ب- وبعث رسول الله لما استكمل أربعين سنة، فكان مبعثه في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، ومن شهور العجم في شباط، وكانت سنته التي بعث فيها سنة قران في الدلو... [٧٩١].

---

(٧٨٧) تاريخ اليعقوبي: ١٣/٢.

(٧٨٨) نفسه: ١٣/٢.

(٧٨٩) نفسه: ٦١/٢.

(٧٩٠) نفسه: ٨/٢.

(٧٩١) نفسه:١٢/٢-١٣.

ج- وخلف علياً على فراشه، ولرد الودائع التي كانت عنده، وصار إلى الغار، فكمن فيه، وأتت قريش فراشه، فوجدوا علياً، فقالوا أين ابن عمك؟ قال: قلتم له: اخرج عنا فخرج عنكم، فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه، وأعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار، وقد عششت عليه حمامة، فقالوا: ما في هذا الغار أحد. وانصرفوا... [٧٩٢].

د- وكان ﷺ إذا أراد الخروج من منزله امتشط وسوى جمته، وأصلح شعره، وكان يقول: إن الله يحب من عبده أن يكون له حسن الهيئة[٧٩٣].

هـ - وكان رسول الله ﷺ فخماً، ظاهر الوضاء، متبلج الوجه، حسن الخلق، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، لم تعبه ثجلة، ولم تُزْرِ به صلعة، وسيماً قسيماً، لم يماشه أحد من الناس إلا طاله، وإن كان المماشي له طويلاً[٧٩٤].

المطلب الثاني

علي بن الحسين المسعودي ٣٤٦هـ

١- ترجمته[٧٩٥]:

هو علي بن الحسين بن علي وأبو الحسن المسعودي، من ذرية الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو مؤرخ ورحالة وبحاثة من أهل بغداد، أقام

---

(٧٩٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٤.

(٧٩٣) نفسه: ٢/٥٨.

(٧٩٤) نفسه: ٢/٧٧.

(٧٩٥) مصادر ترجمته: فوات الوفيات ٢/٤٥، ولسان الميزان ٤/٢٢٤، وطبقات الشافعية ٢/٣٠٧، والنجوم الزاهرة ٣/٣١٥، وتذكرة الحفاظ ٣/٧٠، ومنهج المسعودي في كتابه التاريخ، الدكتور سليمان عبد الله السويكت.

بمصر وتوفي بها[٧٩٦].

رحل في طلب العلم إلى أقاصي البلاد، فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩هـ، حتى استقر في إصطخر، ثم قصد الهند إلى ملتان والمنصورة ثم عطف على كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان)، ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين، وطاف البحر الهندي إلى مدغشقر وعاد إلى عمان، وله رحلة أخرى سنة ٣١٤هـ إلى ما وراء أذربيجان وغيرها[٧٩٧]، وأخيراً استقر بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥هـ. ولم يفتر في أثناء أسفاره عن الاستقصاء، واكتساب العلوم على اختلاف موضوعاتها، فجمع من الحقائق التاريخية ما لم يسبقه إليه أحد[٧٩٨]، عرف بغزارة التأليف وجاوزت كتبه الثلاثين مؤلفاً، تكشف عناوينها عن سعة علمه واطلاعه، ومن أهمها "مروج الذهب"، وأخبار الزمان ومَنْ أباده الحدثان، والتنبيه والإشراف، وأخبار الخوارج، ودخائر العلوم، وما كان في سالف الدهور، والرسائل، والاستذكار بما في سالف الأعصار، وغيرها[٧٩٩].

٢- التعريف بكتاب مروج الذهب[٨٠٠]:

موضوع الكتاب هو تاريخ العالم، من بدء الخليقة حتى خلافة المطيع لله

(٧٩٦) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردى: ٣١٥/٣.

(٧٩٧) الأعلام، للزركلي: ٢٧٧/٤.

(٧٩٨) مروج الذهب: مقدمة تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: ٩/١.

(٧٩٩) التاريخ العربي والمؤرخون: ٤٠٤ والأعلام، للزركلي: ٢٧٧/٤.

(٨٠٠) أول من عني بنشر الكتاب محققاً هو المستشرق الفرنسي "شارل بيلا"، وأخرجه في سبعة أجزاء، وتوجد له الآن العديد من الطبعات المحققة، بعضها في أربعة أجزاء بتحقيق مفيد قميحة، وتحقيق قاسم الرفاعي، وبعضها في مجلدين بتحقيق كل من محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة حلبي، وآخر طبعة كانت باعتناء كمال حسن سرعي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ.

العباسي، بويع له سنة ٣٣٤هـ. ولم يرتبه المسعودي على السنين بل على الممالك.

سماه بـ"مروج الذهب ومعادن الجوهر"، كما يقول في المقدمة "لنفاسة ما حواه، وعظم ما اشتمل عليه من طوالع بوادع ما ضمته كتبنا السالفة في معناه، ولم نترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا وقد أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً؛ أو ذكرناه مجملاً"[٨٠١].

وقد اعتمد في كتابه هذا على مصادر مهمة منها:

- كتب العلماء الذين سبقوه بالتدوين، وقد أشار إلى أكثر هذه الكتب في مطلع كتابه، وبين أهميتها وقيمتها في نظره.
- جهده الشخصي وما رواه في رحلاته العلمية الكثيرة من معرفة جغرافية واجتماعية حصلها بالخبرة والسؤال[٨٠٢].

وقد أشار المسعودي إلى بعض ملامح منهجه في مقدمة الكتاب وتتجلى هذه الملامح فيما يلي:

أ - اعتماد الإيجاز والاختصار، يقول في ذلك: "بل لوحنا بالقول بها تخوفاً من الإطالة ووقوع الملل، إذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمِّل البنية على ما ليس في طاقتها، ويسوم النفس ما ليس في جبلتها، وإنما الألفاظ على قدر المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وهذا باب كبير، وبعضه ينوب عن بعض، والجزء منه يوهمك الكل"[٨٠٣].

---

(٨٠١) مروج الذهب: ١/١٨.

(٨٠٢) مروج الذهب، مقدمة محمد محيي الدين عبد الحميد: ٣-٤.

(٨٠٣) نفسه: ٤/١٠.

ب- استيعاب أقوال السابقين، ففي عرضه للوقائع التاريخية يكثر من عرض أقوال السابقين مع تضاربها حتى تتجلى للقارئ وجهات النظر المختلفة من الحادث، فيرجح ما يكون راجحاً، ويترك ما يكون مرجوحاً. يقول في ذلك: "وإنما حكينا هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أنا لم نفعل شيئاً مما قالوه، ولا تركنا شيئاً ذكروه إلا ذكرنا منه ما تأتّى لنا ذكره، وأشرنا إليه ميلاً إلى الاختصار وطلباً للإيجاز"(٨٠٤).

ج- إدراجه للعلوم الأخرى في اتساق تام مع الحدث التاريخي، وهو من يستجيب لما يثيره الحدث من إشكالات وقضايا، لها ارتباط بالعلوم الأخرى، كالجغرافية والطب والفلك، يقول -رحمه الله، كما سبق-: "ولم نترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا أفردناه في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملاً، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو لوحنا إليه بفحوى من العبارات"(٨٠٥).

وبهذه المنهجية أصبح كتاب مروج الذهب من المصادر التاريخية ذات الطابع الموسوعي، حيث لم يقتصر فيه المسعودي على التاريخ المجرد، بل ضمنه كذلك كثيراً من المعلومات الجغرافية والاجتماعية والعلمية المهمة، مما جعل فيلسوف التاريخ الإسلامي عبد الرحمن بن خلدون يسمّي المسعودي بإمام الكُتّاب والباحثين، وهذا ما دفع بلفيف من المستشرقين إلى الاهتمام بالكتاب

(٨٠٤) مروج الذهب، مقدمة محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢٧/١.

(٨٠٥) نفسه: ١٢/١.

ترجمةً ونشراً ودراسةً(٨٠٦) مثل "فون كريمر" الذي سمى المسعودي "هيرودوت" العرب و"بربيي دو مينار" الذي ترجمه كاملاً إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٦١م مع النص العربي في تسعة أجزاء، كما ترجم جزءه الأول إلى الإنجليزية "سبرنجر" ١٨٥١م، ونشره "شارل بيلا" نصاً، وترجمه ما بين سنوات ١٩٦٢م و١٩٧٣م(٨٠٧).

٣- السيرة النبوية في كتاب مروج الذهب:

خص المؤرخ المسعودي السيرة النبوية بالجزء الثاني كاملاً من تاريخه، يقول عن ذلك في المقدمة بعد أن أورد محتويات كتابه.. "إلى ما في تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء والرسل والأتقياء، إلى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمداً نبيه ﷺ، فذكرنا مولده، ومنشأه، وبعثته، وهجرته، ومغازيه، وسراياه، إلى أوان وفاته..."(٨٠٨).

وأهم ما يميز منهجه في كتابة السيرة النبوية ما يلي:

- عرض السيرة بإيجاز في محاورها الكبرى، مثل النسب النبوي، والمولد، والمبعث، والهجرة، والمغازي، والوفاة النبوية.
- اعتماد التسلسل الزمني للأحداث حسب السنوات.
- ربط أحداث السيرة بالتاريخ الجهوي والعالمي في إحالاته على الأحداث

(٨٠٦) السيرة النبوية في كتب التاريخ والسير، بحوث تحت إشراف الدكتور مصطفى المسلوتي، جامعة ابن زهر أكادير، منهج المسعودي في كتابة السيرة النبوية: الطالبة عزة نادية: ١٩٣.

(٨٠٧) المستشرقون، نجيب العفيفي: ٣٥٦/١.

(٨٠٨) مروج الذهب، مقدمة الكتاب: ٩-١٠.

التاريخية القديمة، أو الأحداث المتزامنة مع وقائع السيرة، ومن أمثلة ذلك ربطه بين تاريخ مبعث الرسول ﷺ وتاريخ اعتلاء كسرى أبرويز عرش الفرس، وبين تاريخ يوم التحالف بالربدة. بل وتاريخ هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض(٨٠٩).

- يحيل في مصادره على أقطاب علم السيرة، مثل محمد بن إسحاق، والواقدي(٨١٠).
- إيراد الأقوال المختلفة حول الوقائع، مع الترجيح بينها أحياناً، ومن الأمثلة على ذاك ما أورده عندما عرض لخلاف العلماء في أول من أسلم، حيث قال: "وقد اختلف في أول من أسلم، فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس إسلاماً، وأسبقهم إيماناً، ثم بلال بن حمامة، ثم عمرو بن عبسة، ومنهم من ذهب إلى أن أول من أسلم زيد بن حارثة، ثم خديجة ثم علي كرم الله وجهه"(٨١١).
- وقد يرجح بين هذه الأقوال كما فعل عندما عرض تضارب أقوال العلماء في عمر النبي ﷺ: يقول في ذلك: "وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام، وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن عباس، وهو ما ذكره حماد بن سلمة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس، وقد روي عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس، وذكر عن يحيى بن سعيد أنه سمع ابن المسيب يقول: "أنزل على رسول الله

(٨٠٩) مروج الذهب: ٢٨٢/٢.

(٨١٠) نفسه:

(٨١١) نفسه:٢٨٤/٢-٢٨٩-٢٩٠.

ﷺ القرآن، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وأقام بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة"[٨١٢].

- الإقلال من الاستشهاد بالقرآن الكريم، حيث نجده قليلاً ما يورد الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، كما فعل عندما أشار إلى مرحلة الدعوة سراً، حيث استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٨١٣].
- الاستشهاد بشعر السيرة النبوية، والنماذج كثيرة، ومنها إيراده لشعر بعضهم في حلف الفضول:

نحن كنا الملوك من آل نجد ... وحماة الزمان عند الذمارو

ومنعنا الحجون من كل حي ... منعنا الفجار بعد الفجار[٨١٤]

- عدم الاهتمام بالأسانيد إلا نادراً، وذلك لأنه ذكر مصادره في مقدمة كتابه فأغنت بذلك عن ذكر الأسانيد، حيث لم يذكر في فصل السيرة النبوية إلا إسنادين اثنين[٨١٥]،
- عدم الاهتمام بالأنساب إلا قليلاً، عندما تناول -إلى جانب النسب النبوي- بعض أزواج النبي ﷺ، وكذا مرضعته حليمة السعدية[٨١٦].

* * *

(٨١٢) مروج الذهب: ٢/٢٣٠.

(٨١٣) نفسه: ٢/٢٨٢-٢٨٣-٢٩٠.

(٨١٤) نفسه: ٢/٢٧٦، وانظر كذلك ٢٧٥-٢٧٧-٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٨.

(٨١٥) نفسه: ٢/٢٩٠-٢٩١.

(٨١٦) نفسه: ٢/٢٨٣-٢٩٢.

الفصل الثالث

مناهج المؤرخين في دراسة السيرة النبوية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مـــصادر الـــسيرة عنـــد المـــؤرخين.

المبحث الثاني : أصول الرواية وقوانين الدراية عنـــد أهـــل السيرة والتاريخ.

المبحث الثالث : المؤرخـــــون ونقـــــد المـــــتن.

الفصل الثالث

مناهج المؤرخين في دراسة السيرة النبوية

عندما ظهرت مدرسة التاريخ في كتابة السيرة النبوية، وجدتْ في الساحة اتجاهين اثنين متجذرين، لهما أتباع ونفوذ:

الأول: يَمْتَحُ أصحابُهُ من القصص الشعبي والخيال والأساطير، التي يرويها القصاص في بلاد العرب عن ملوك جنوب الجزيرة العربية، وفتوحاتهم، دون سياق تاريخي، أو ربط بنظام سرد ضمن مجرى التاريخ العالمي أو العربي، وخير من يمثل هذا الاتجاه هو عبيد بن شرية، ووهب بن منبه، ويظهر فيها الأثر اليوناني والفارسي واضحاً.

والاتجاه الثاني هو اتجاه أصحاب الحديث، الذين لا يرون كتابة السيرة النبوية وتاريخ الإسلام خارج إطار منهج المحدثين، ويعتبرون السيرة فرعاً من فروع الحديث النبوي، يسري عليها في الرواية والدراية ما يسري عليه، وقد نشأ هذا الاتجاه في المدينة المنورة، ثم نما وترعرع خارجها في كل الاتجاهات.

وبظهور مدرسة التاريخ بزغ فجرٌ جديد في كتابة السيرة النبوية، حيث ظهرت تغييرات كثيرة على الشكل والمضمون، استفاد منها تاريخ الإسلام عامة، ولم يكن لهذه المدرسة أن تتقدم وتتطور، لو لم تتفاعل إيجابياً مع الاتجاهين السابقين، ولم يكن التفاعل ليمر بدون آثار.

وهنا يعرض سؤال مهم: هل للمؤرخين منهج محدد ودقيق، أسوة بالمحدثين

الذين يتوفرون على منهج معروف ومدروس بقواعده ورجاله وتاريخه؟ذلك ما سنتعرف عليه من خلال مباحث هذا الفصل إنْ شاء الله.

وهنا لابد من إثارة بعض الإشكالات التي تواجه الباحث في مناهج المؤرخين في كتابة السيرة النبوية، ومن أبرزها تعريف المؤرخ الذي نتحدث عنه، فما لم نحدد من هو المؤرخ فإننا سنكون أمام مناهج متعددة، وليس منهجاً واحداً، إذ كلٌّ من القاص والإخباري والمؤرخ والمحدث يمارسون عملية التأريخ بشكل يجعل بعضهم متميزاً عن الآخر، وأحياناً قد تتداخل بعض هذه الصفات وتجتمع في شخص واحد، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: وبعض المؤلفين جمع بين صفتي المحدث والمؤرخ، مثل محمد بن إسحاق، وخليفة بن خياط، ويعقوب بن سفيان الفسوي، ومحمد بن جرير الطبري، وهؤلاء أفادوا من منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد، ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق جمع الأسانيد أحياناً أو سرد الروايات التي تشكل وحدة موضوعية تحت عناوين دالة[٨١٧].

إن المؤرخ الذي نتحدث عنه يتميز عن غيره، بأنه جمع بين طرائق الأخباريين ومناهج المحدثين، فاستعمل الأولى في مكانها المناسب، وملأ بها فجوات كثيرة، واستعمل الثانية كذلك في مكانها المناسب، وحصن بها مرويات السيرة، وبعمله هذا تطورت الكتابة التاريخية في الإسلام خلال القرون الأولى إلى أن بلغت أوجها على يد محمد بن جرير الطبري.

لقد عرض المؤرخون السيرة النبوية عرضاً واضحاً متسقاً، واستوفوا المادة

(٨١٧) السيرة النبوية الصحيحة: ١/١١.

العلمية من المصادر المختلفة التي سبقتهم ، بتلخيص واختصار، ووسعوا من أفقها عندما وضعوها في سياق الرسالات الإلهية، وأفردوها بموقع متميز ضمن أحداث التاريخ العالمي[٨١٨]، واعتنوا بترتيب الوقائع ترتيباً زمنياً، وصاغوا الأخبار في وحدة عضوية متينة، أعادت للوقائع حيويتها وقوتها، وأضافوا إلى المرويات التي نقلوها جهودهم الشخصية في النقد والتمحيص ، ومشاهداتهم الخاصة لمواضع السيرة.

ولعل أكبر ما أُخذ عليهم من طرف المخالفين لهم من أصحاب مدرسة الحديث، هو تسامحهم في التعامل مع الروايات، والرجوع إلى بعض المصادر غير الموثوقة، ونوازعهم المذهبية والسياسية التي أثرت في موضوعيتهم في كتابة السيرة النبوية.

وسنحاول في المباحث التالية مناقشة بعض مميزات مناهج المؤرخين في كتابة السيرة النبوية.

* * *

---

(٨١٨) نشأة التدوين التاريخي عند العرب: ٦٩ — ٧٠.

المبحث الأول

مصادر السيرة عند المؤرخين

مدارس الكتابة في السيرة النبوية، كلها تعتمد على المصادر الأساسية في هذا الفن، وهي القرآن الكريم، ومرويات الحديث النبوي، والشعر العربي المواكب لفترة السيرة، وما تفرع عن هذه المصادر من كتب واتجاهات، غير أن أصحاب مدرسة التاريخ، من قصاصين وأخباريين وأصحاب سير ومؤرخين، تميزوا عن غيرهم بمصادر أخرى غير مألوفة عند أصحاب الحديث.

ومن أبرز هذه المصادر: القصص، والحكايات، والإسرائيليات، ونصوص العهدين القديم والجديد، وأقوال أهل الكتاب، بالإضافة إلى المعاينة والمشاهدة اللصيقة لأماكن السيرة النبوية من ساحاتِ معاركٍ، وبيوتٍ، وغيرها.

وفي دراستنا لمصادر كتابة السيرة عند المؤرخين سنقتصر على ما يميزهم عن بقية المدارس، طلباً للاختصار، ومخافة الوقوع في تكرار المباحث السابقة.

المطلب الأول

القصص مصدراً للسيرة

من الطبيعي أن تجد القصص والأيام والأخبار رواجاً في المجتمع العربي، خلال العصر الجاهلي خاصة، وهو مجتمع قبلي، وهذه القصص والأيام إنما تتناول أخبار القبيلة وأعمالها.

وأغلب القصص يحكي وقائع تاريخ جنوب الجزيرة العربية وشمالها، ولا

يخلو من تأثيرات خارجية: حبشية، وفارسية، وبيزنطية.

ويغلب على بعض الروايات اليمنية الموجودة في المصادر الأولى، بمجموعها، الطابع الأسطوري، حيث يختلط القصص الشعبي بالإسرائيليات في تمجيد عرب اليمن، عسكرياً وحضارياً، وغير ذلك، وقد وردت أخبارهم بأسلوب القصص، مع نسبةٍ كبيرةٍ من الشعر الموضوع لتقوية تأثير القصة(٨١٩).

ويعتبر وهب بن منبه أول من وضع هيكلاً قصصياً لتاريخ النبوة، منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام، وقد أخذ عنه، وتأثر به من ناحية المادة والهيكل، بعض المؤرخين التالين(٨٢٠)، وعليه؛ فأغلب العناصر القصصية الموجودة في قسم المبتدأ عند ابن إسحاق، واليعقوبي، وابن قتيبة، والطبري، والمسعودي، مأخوذة عنه.

وعندما ظهر الأخباريون عَرَفت رواية القصص والأخبار ازدهاراً متزايداً، حيث أصبحت هي مادتهم الرئيسة، خاصة في أخبار ما قبل الإسلام من نبوءات، وأخبار الأمم الماضية.

وقد احتفظ لنا ابن إسحاق بالعديد من القصص في قسم المبتدإ من كتابه، يقول السخاوي: "وأما قصص الأنبياء ففي المبتدإ لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي صاحب "السيرة"(٨٢١)، ولم ينقطع أثر القصص حتى من قسم المبعث والمغازي عنده، ويرد فيه الشعر في نهاية الكلام بشكل مجموع.

---

(٨١٩) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ١٥.

(٨٢٠) نفسه: ١١٣.

(٨٢١) الإعلان بالتوبيخ: ١١.

وأغلب القصص التي أوردها ابن إسحاق لم يسندها، وبعضها رواه عن محمد بن كعب القرظي[٨٢٢]، وبعضها أسندها لأهل الكتاب[٨٢٣].

وكثيرا ما نجد ابن إسحاق يعبر عن محتوى مادته عندما يعبر بكلمة "قصة"، في كثير من عناوينه، مما يشير إلى أثر القصص في كتابه، ومن القصص التي أوردها في قسم المبعث:

- قصة شق وسطيح الكاهنين[٨٢٤].
- قصة استيلاء أبي كرب بن تبان أسعد على ملك اليمن[٨٢٥].
- قصة ذي نواس وابتداء النصرانية في نجران[٨٢٦].
- قصة أمر عبد الله بن الثامر وأصحاب الأخدود[٨٢٧].
- قصة استيلاء أرياط على اليمن[٨٢٨].
- قصة استيلاء أبرهة الأشرم على ملك اليمن وقتل أرياط[٨٢٩].
- قصة استيلاء سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن[٨٣٠].
- قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب[٨٣١].

(٨٢٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣١/١.
(٨٢٣) نفسه: ٣٤/١.
(٨٢٤) نفسه: ١٥/١.
(٨٢٥) نفسه: ١٩/١.
(٨٢٦) نفسه: ٣١/٢.
(٨٢٧) نفسه: ٣٤/٢.
(٨٢٨) نفسه: ٣٧/٢.
(٨٢٩) نفسه: ٤١/٢.
(٨٣٠) نفسه: ٦٢/٢.
(٨٣١) نفسه: ٧٦/٢.

والملاحظ على القصص أنها في أغلبها تمتد على طول فترة المبتدأ، ولا تنضبط لمعايير الرواية كما يحددها أهل الحديث، فمرة ترد عن أهل الكتاب، ومرة عن بعض أهل نجران، ومراراً لا نعرف مصدرها، كما أن موضوعاتها تدور حول إرهاصات النبوة، وأخبار اليمن، وتعاقب ملوكها، والصراع الديني بين اليهودية والنصرانية عليها، والتنافس السياسي بين الفرس والروم من أجل الاستيلاء عليها، كما لا تخلو من التعبير عن بعض مظاهر التدين في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

ويعتبر الواقدي أقل أصحاب هذه المدرسة اهتماماً بعنصر القصص، فيما يوجد عندنا من آثاره؛ لأن كتابه يهتم بالمغازي النبوية بمعناها الخاص، ولو قدر لنا الاطلاع على كتبه الأخرى مثل التاريخ الكبير، والتاريخ والمغازي والبعث، وأخبار مكة، والسيرة، وأمر الحبشة، والفيل، وحرب الأوس والخزرج[٨٣٢] لأمكننا أن نكوِّن فكرة عن اتجاهاته ومصادره، خاصة ونحن نعرف أن مادة هذه الكتب لا يمكن أن تخلو من قصص شعبي وتاريخي وديني.

المطلب الثاني

الروايات الإسرائيلية

إن منشأ الروايات الإسرائيلية هو كتب أهل الكتاب: من توراة، وتلمود، وإنجيل، وشروحها، وحواشيها، وما رواه مسلمة أهل الكتاب، مما تلقوه عن الأحبار والرهبان من تفسيرات محرفة لأخبار الأنبياء وحوادث الزمان.

(٨٣٢) المغازي الأولى ومؤلفوها: ١٣١ — ١٣٢.

وقد وردت بعض هذه المرويات عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأحياناً موقوفة على بعض الصحابة، كعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهي على كل حال لا صلة لها بالصحابة، ولا برسول الله ﷺ. وقد علم عند أصحاب الحديث أن الموقوف على الصحابي يكون له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ بشرطين:

- أن يكون مما لا مجال للرأي فيه.
- أن لا يكون راويه معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أو برواية الإسرائيليات(٨٣٣).

ومما لا شك فيه أن كتب التاريخ والسير تعج بالروايات الإسرائيلية، وخاصة في قسم المبتدأ في قصص الأنبياء والرسل، وتفسير العديد من الآيات القرآنية المتعلقة بذلك.

وأول من اعتنى بالإسرائيليات مِن كتّاب المغازي هو وهب بن منبه. ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء –عقب الحديث عن شيوخه وتلاميذه– أن "روايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، وعن صحائف أهل الكتاب"(٨٣٤).

وفي تفسير ابن كثير لخبر قصة ملكة سبأ وقف على تتبع وهب بن منبه لمرويات بني إسرائيل، فقال: "... والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وُجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى

---

(٨٣٣) ابن حجر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص ١٠٤.

(٨٣٤) سير أعلام النبلاء، ٤/٢٩٣، ترجمة ٧٢٣.

فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حُرّف وبُدّل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع، وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة"[٨٣٥].

وأغلب روايات وهب في الإسرائيليات عن كعب الأحبار ٣٢هـ، وعبد الله ابن سلام ٤٤هـ، أضاف إليها ما حصله بجهده الشخصي من خلال اتصاله بأهل الكتاب ومن قراءته للكتب المقدسة.

وقد اعتمد ابن إسحاق على بعض الروايات الإسرائيلية في قسم المبتدأ فيما يتعلق بالحوادث اليهودية والمسيحية، حيث يذكر في رواته بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول[٨٣٦]، وأهل التوراة[٨٣٧] ومن يسوق الحديث من الأعاجم[٨٣٨].

ولا تخلو كتب اليعقوبي والطبري والمسعودي من بعض الروايات الإسرائيلية عن وهب بن منبه، أو ابن إسحاق وغيرهما[٨٣٩]، كما أن ابن قتيبة والمقدسي لهما بعض الاقتباسات في بدء الخليقة وتاريخ العهد القديم والأنبياء المذكورين في القرآن الكريم، مثل: هود وصالح، بل حتى بعض الصالحين، مثل: لقمان، وأهل الكهف، لا تخلو من تأثيرات إسرائيلية[٨٤٠].

---

(٨٣٥) تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٦٦.

(٨٣٦) تاريخ الطبري: ١/١٤٠.

(٨٣٧) نفسه: ١/٢٣-١٤١-٣١٤.

(٨٣٨) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٣٢٨.

(٨٣٩) تاريخ اليعقوبي: ١/٥١، ومروج الذهب: ١/٣٥.

(٨٤٠) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ٢٦.

وعذر أصحاب مدرسة التاريخ في إيراد هذه المرويات هو أنها تتعلق بقسم المبتدإ وبالأخبار فقط، ولا علاقة لها بالأحكام والسنن، ولا أثر لها في كتابة السيرة النبوية، حيث لا نجد لها ذكراً في قسمي المبعث والمغازي، والقصد من ذكرها هو التنبيه عليها، وليس تصديقها أو تكذيبها. وأخيراً فهي ليست من المصادر الأساسية، بل تم إيرادها من أجل الاستئناس بها، وإلا فهي آخر ما يرجع إليه.

وقد وَجَدَ بعض الكُتّاب والمؤرخين المعاصرين في الإسرائيليات الموجودة في كتب السير والتاريخ مجالاً للطعن في معجزاتِ وغيبياتِ السيرة النبوية، ومن أمثال هؤلاء: الدكتور جواد علي(٨٤١)، ومحمد عزة دروزة(٨٤٢). يقول الدكتور عماد الدين خليل في الرد عليهم: "لكن أيًّا من المؤرخين السابقين، أو غيرهم من المؤرخين الجادين، لم يقل إنَّ الضرورة المنهجية الملحة لرفض الإسرائيليات والقصص والخوارق، تدعونا أن نقطع السيرة عن أية صلة بعالم الغيب "الميتافيزيقا"، كما يرغب دعاة التفسير المادي للتاريخ أن يكون –لأن معنى هذا بوضوح نكرانٌ لنبوة الرسول ﷺ واتصاله– عن طريق الوحي غير المرئي – بعالم (الغيب) في السماء. كما أنهم لم يقولوا – ولا أي من المؤرخين الجادين – بأن الله سبحانه طمس على أعين المشركين الذين حاصروا دار الرسول ﷺ قبل هجرته، سعياً وراء قتله، أو صدهم عن إلقاء القبض عليه، وهو مختبئ وصاحبه في الغار، أو أنه أنزل ملائكته من السماء لتنصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في معركة بدر، ومعارك أخرى تلتها..."(٨٤٣).

(٨٤١) تاريخ العرب والإسلام: ١/٧٥.

(٨٤٢) عصر الرسول ﷺ: ١/٢٥-٢٦.

(٨٤٣) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل: ١٠.

وقد أحسن الحافظ ابن كثير -رحمه الله- عندما بين في مقدمة تفسيره أسباب ذكر العلماء للإسرائيليات وتعاملهم معها، حين قال: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ولا تجوز حكايته لما تقدم[٨٤٤].

المطلب الثالث

نصوص الكتب السماوية السابقة

اقتبس أصحاب السير والتاريخ العديد من نصوص التوراة والإنجيل، وغيرها من الكتب السابقة، أو قاموا بترجمتها ترجمة حرفية في ما يتعلق ببدء الخليقة، أو قصص الأنبياء والرسل، أو صفة الرسول ﷺ، كما وردت في هذه الكتب...

ويعتبر وهب بن منبه أول من اقتبس في كتاباته مقاطع من الكتب السماوية السابقة، فقد روى قطعاً من العهد القديم، منقولة بصورة حسنة، وقطعاً من المزامير، وتدل بعض أخباره على معرفته بالتلمود[٨٤٥] وأغلب مروياته في قصص الأنبياء وأخبار بني إسرائيل منقولة عن التوراة[٨٤٦] كما أن معلوماته عن المسيح،

(٨٤٤) تفسير ابن كثير جـ١: ٤٣-٤٤.

(٨٤٥) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب:١٠٦.

(٨٤٦) من أمثلة ذلك ما نقله عن إسحاق بن إبراهيم ويعقوب بن إسحاق والأسباط وموسى وهارون، وموسى في الوادي المقدس، وموسى وعصاه، وسحرة فرعون، وبقرة بني إسرائيل، =

وميلاده، وتفاصيل حياته، إنما أخذها من الإنجيل والكتب المسيحية[٨٤٧].

وقد لاحظ ابن قتيبة فروقاً بين معلومات وهب بن منبه، وما ورد في نصوص الكتب المقدسة، مثل سفر التكوين في أحداث بدء الخليقة[٨٤٨]، ويفسر ذلك بأن وهب بن منبه ربما أضاف إلى ما أخذه من العهد القديم مادة جديدة بالاستناد إلى تفاسير القرآن الكريم، والإسرائيليات، وما استنبط من كتب أهل الكتاب.

وبعد وهب بن منبه يعتبر ابن إسحاق ثاني مؤرخ من مدرسة أهل السير يقدم لنا فقرات من العهدين القديم والجديد، مترجمة ترجمة حرفية، فقد أورد فقرات من العهد القديم بقوله: "وفي التوراة[٨٤٩] كما أورد فقرات من سفر التكوين بقوله "ويزعم أهل التوراة"[٨٥٠] وقد أورد ابن هشام نصاً كاملاً لابن إسحاق من إنجيل يوحنا كما يلي: "قال ابن إسحاق وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل، لأهل الإنجيل، من صفة الرسول ﷺ، مما أثبت يُحَنّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولو لا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد من قبلي ما

=

ووفاة موسى: الدوري: ١٠٩.

(٨٤٧) تفسير الطبري: ١/١٠٢.

(٨٤٨) المعارف، لابن قتيبة: ٨-٩.

(٨٤٩) تاريخ الطبري: ١/٤١٣.

(٨٥٠) تاريخ الطبري: ١/١٤١.

كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني، وأيضا للـــرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: إنهم أبغضوني مجانا، أي بـــاطلا، فلو قد جاء المنحمنا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب وروح القدس هـــذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا..." [٨٥١].

ومن المؤرخين الذين رجعوا كذلك إلى نصوص التوراة والإنجيل في بـــدء الخليقة على الخصوص: ابن قتيبة واليعقوبي، فقد أورد ابن قتيبة نـــصوصا مـــن العهد القديم مباشرة، تتعلق ببدء الخليقة وتاريخ الأنبياء[٨٥٢] كما أن اليعقـــوبي رجع إلى كل الأناجيل المشهورة، ونقل عنها حيث رجع إلى إنجيل متى في نسب المسيح[٨٥٣] وإلى إنجيل مرقس في عقائد النصارى حول المسيح[٨٥٤] وإلى إنجيـــل لوقا في المسيح، ومعجزاته، وتعميده يحيى بن زكرياء[٨٥٥] وإلى إنجيل يوحنـــا في نسب المسيح وغير ذلك[٨٥٦].

وما يسري على الإسرائيليات يسري على هذا المصدر، وإن كان اعتمـــاد المؤرخين عليه قليلا بالمقارنة بما قبله.

ونُقُول هؤلاء المؤرخين لهذه النصوص تدل على معرفتهم بالعبرية، وربمـــا بالسريانية، وغيرها من اللغات، مما يدل على أنهم يتوفرون على الأدوات اللازمة

(٨٥١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٢٣٢-٢٣٣.
(٨٥٢) المعارف: ٧ وما بعدها.
(٨٥٣) تاريخ اليعقوبي: ١/٧٨.
(٨٥٤) نفسه: ١/٨٢.
(٨٥٥) نفسه: ١/٨٢.
(٨٥٦) نفسه: ١/٨٦.

لمن يريد أن يتصدى للسيرة النبوية في بعدها الكوني والرسالي.

وقد انتقد كثير من القدامى النقل عن الكتب المنسوبة إلى الأديان السماوية السابقة والتوسع في ذلك، ففي العواصم من القواصم قال ابن العربي الإشبيلي في سياق الإنكار على المؤرخين الذين يأخذون عن هذا التراث الديني: "... وإنما ذكرت لكم هذا لتحتزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب...، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث"(٨٥٧).

وشيخ الإسلام ابن تيمية تكلم عن الأخذ من تراث أهل الكتاب فقال: "... فأما مجرد الرجوع إلى قولهم، أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ﷺ وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة، فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم، بل الله سبحانه يعرّفه ما يكذبون مما يصدقون كما أخبره بكذبهم غير ما مرة، أما نحن فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب..."(٨٥٨).

المطلب الرابع
كتب الأمم الأخرى

أدخل كثير من المؤرخين ضمن مصادر السيرة كتب تواريخ الأمم المجاورة للجزيرة العربية كالفرس والروم والحبشة، وقد يتوسعون إلى أخبار الهند، وقد دعاهم إلى ذلك الحديث عن الفترة التي سبقت البعثة النبوية وما كان عليه الناس في الجاهلية، سواء كانوا عرباً أو عجماً.

ويعتبر أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي كان يميل إلى فكر الشعوبية من أبرز

(٨٥٧) العواصم من القواصم، ص ٢٦٠.

(٨٥٨) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧٢، دار المعرفة، بيروت.

المؤرخين الذين تبحروا في التراث الفارسي، وترجم كثيراً من الكتب التاريخية، قال عنها الدوري بأنها تختلط فيها الأحداث الواقعية بالأساطير"(٨٥٩).

وقد اعتمد اليعقوبي فيما كتبه عن الفرس والهند واليمن على كتب أصيلة في موضوعها، ويقول عبد العزيز الدوري عنه "ففي كتابته عن تاريخ الأنبياء رجع إلى المصادر الأصلية، وهو دقيق في ذلك بشكل يسترعي الانتباه ، وحين يتكلم عن التاريخ الإيراني يبين أن مواد هذا التاريخ قبل العصر الساساني أسطورية ولا يمكن الوثوق بها ، وهو يأخذ من مؤلفات يونانية مترجمة حين يكتب عن الثقافة اليونانية"(٨٦٠).

وقد تجاوز اليعقوبي أخبار فارس والروم إلى أخبار الهند التي ينسبها في كثير من نقوله "إلى أهل العلم"(٨٦١) و"بعض علماء الهند"(٨٦٢) أو بقوله "زعم بعض علماء الهند(٨٦٣) " وفي تناوله لأخبار اليمن نجده يقول: ذكرت الرواة ومن يدعي العلم بالأخبار وأحوال الأمم والقبائل(٨٦٤).

وإذا انتقلنا إلى ابن جرير الطبري نجده يعتمد في تاريخ الفرس على ترجمات من كتبهم، ومن كتب ابن المقفع، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي، وفي تاريخ الروم على ما نقله من كتبهم المعربة(٨٦٥) وهذا التوسع في المصادر يدل على تطور الكتابة

---

(٨٥٩) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ٤٦.

(٨٦٠) نفسه: ٥٢.

(٨٦١) تاريخ اليعقوبي: ٩٥/١.

(٨٦٢) نفسه: ١٠٢/١.

(٨٦٣) نفسه: ١٠٨/١.

(٨٦٤) نفسه: ٢٢٠/١.

(٨٦٥) التاريخ العربي والمؤرخون: ٨٠.

التاريخية خلال القرنين الثاني والثالث. ومهما كانت قيمة المعلومات التي نقلها هؤلاء المؤرخون من هذه الكتب، فإنها لم تلمس جوهر السيرة النبوية، وأحداثها من قريب، لكنها أسدت لدارسي التاريخ خيراً كثيراً بما سلطته من أضواء على حالة الأمم الأخرى، دينياً وسياسياً واجتماعياً، مما مهد لظهور الإسلام...

المطلب الخامس

الجهود الخاصة للمؤلفين

إلى جانب المصادر الرئيسية، مثل الآيات القرآنية، ومرويات الحديث النبوي، وشعر السيرة النبوية، والمصادر الثانوية التي أشرنا إليها آنفاً، هناك المجهود الشخصي للمؤرخين من خلال زيارة الأماكن والبحث عن مرويات جديدة خاصة بهم، والملحوظات التي يمكنهم التقاطها من خلال زيارة الأمصار، والأشخاص الذين لذويهم وآبائهم صلة بالسيرة وأحداثها.

من ذلك ما أورده ابن إسحاق بدون إسناد ينقله من مدونات حصل عليها، وكثيراً ما يسند إلى شيوخه ما نقله عنهم، وقد أدخل في عرضه كثيراً من القوائم والوثائق والأشعار، التي أخذ جزءاً منها عنهم، هكذا يروي كثيراً من الوثائق عن شيخه عبد الله بن أبي بكر(٨٦٦)، ويزيد بن أبي حبيب المصري(٨٦٧).

أما الواقدي فقد بذل جهوداً كبيرةً من أجل جمع مادة مغازيه، وتظهر نظرته النقدية في زيارته لمواقع المعارك؛ ليستكمل بذلك مادته، وفي تمحيصه للمواد التي وصلته، وفي بحثه عن وثائق جديدة، وفي إعداده قوائم أَوْفَى

(٨٦٦) السيرة النبوية، ابن هشام: ٢/٢٤١ و٤/٢٣٩.

(٨٦٧) نفسه: ٤/٢٤٥.

للمشاركين في الغزوات، حتى جاء منها بمجموعة طيبة[٨٦٨].

وما أورده في كتاب المغازي من تفاصيل جغرافية يوحي بجهده ومعرفته بدقائق الأخبار التي جمعها في رحلته إلى شرق الأرض وغربها؛ طلباً للعلم. يقول "مارسدن جونس": "وجدير بالذكر أن هذه التفاصيل الجغرافية التي أوردها الواقدي تعبر عن المرحلة الأولى في الأدب الجغرافي العربي؛ إن لم تكن اللبنات والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده، مثل: ابن سعد، والبلاذري، ومن تلاهما في التأليف لكتب الفتوح والبلدان"[٨٦٩].

ونختم بالطبري الذي يؤكد في مقدمة تاريخه على أهمية رواية الأخبار عند المؤرخ، لكنه قد يحتاج إلى استثمار المادة أحياناً، يقول رحمه الله: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أُدركَ بحجج العقول، واستُنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه..."[٨٧٠].

وقد انصبت المجهودات الشخصية لأهل السير والتاريخ - عكس المصادر الثانوية الأخرى التي رأيناها- على قسمي: المبعث، والمغازي، مما أثرى معلوماتنا حولهما، كما ألقت أضواء على مشاهد كثيرة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعصر السيرة ما كانت تشير إليها الكتب السابقة.

* * *

(٨٦٨) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: ٣١.

(٨٦٩) المغازي، للواقدي ، مقدمة "مارسدن جونس": ٣٢/١.

(٨٧٠) تاريخ الطبري: ٥/١.

المبحث الثاني

أصول الرواية وقوانين الدراية عند أهل السيرة والتاريخ

تختلف رواية الأخبار التاريخية عن رواية الأحاديث النبوية، فلكل منهما منهج خاص في النقل، ويشتركان في بعض الأصول والفروع، إذا تعلق الأمر بالسيرة النبوية.

فمن المعلوم أن حديث رسول الله ﷺ تنبني عليه الأحكام الشرعية، وله اتصال بالعقائد وأصول التشريع، لذلك تشدد العلماء في نقله، حيث وضعوا ضوابط صارمة سيجوا بها ميدان الرواية، حتى لا يَنْتهك حماها المفسدون ، أما روايات التاريخ التي لا صلة لها بالعقيدة، ولا بالتشريع، فهي على قسمين:

الأول: خضع لقواعد المحدثين في قبول الروايات، والأحاديث في هذا القسم كثيرة أخرجتها كتب السنة، ومنها ما يتعلق بفترة ما قبل البعثة النبوية.

القسم الثاني من هذه الروايات نقلته كتب السيرة والمغازي والتاريخ، ويهتم بجزئيات الوقائع وتفصيلاتها، وقد وقع من رواتها بعض التساهل في نقلها، لما فيها من عبرة، ولأنها تتكامل فيما بينها، لتقدم صورة شاملة للأحداث، لا تمكننا منها الروايات الصحيحة وحدها.

من أجل هذا لم يلتزم مؤرخو السيرة في دائماً بقواعد المحدثين، فرب رجل مجرح عند المحدثين، وهو ثقة عند أهل السير، ورب رواية مردودة عند المحدثين، هي مقبولة عند أصحاب السير.

إن منهج أهل السير والتاريخ في كتابة السيرة النبوية يسعى إلى جمع الروايات المختلفة عن الحدث، وتدوينها دونما اشتراط للصحة في الغالب، مع إحالة القارئ على الأسانيد والمصادر، ليتعرف بنفسه على الصحيح من الضعيف أو الموضوع، بالإضافة إلى الميزات الأخرى التي سوف نشير إليها لاحقاً إن شاء الله.

وفيما يلي سوف نتحدث عن عدالة أهل السير والتاريخ، ثم دراستهم للأسانيد، وطريقتهم في نقد المتون.

المطلب الأول

القول في عدالة أصحاب السيرة والتاريخ

رواة الحديث النبوي بعد طبقة الصحابة رضي الله عنهم أقسام، منهم من جمع بين العدالة والضبط، ومنهم من خف ضبطه، ومنهم من سقطت عدالته لأحد الأسباب...، وكثير من رواة الحديث هم رواة السيرة أيضاً، ولأن أكثر المصنفين في السيرة والتاريخ لم يشترطوا الصحة، فقد رَووا عن العدول الضابطين وعن من دونهم.

١- مجمل التهم المتعلقة برواة السيرة والتاريخ:

حفلت تراجم عدد من هؤلاء الرواة ضمن كتب الجرح والتعديل بأوصاف التجريح لسبب من الأسباب التي ترد الرواية، فتكلم نقاد الآثار في ابن إسحاق وأحمد بن محمد بن أيوب وغيرهما من علماء السير والمغازي.

والناظر في التهم الموجهة لمدرسة أهل التاريخ والسير، ينبغي أن يستحضر جميع الأقوال التي قيلت فيهم جرحاً وتعديلاً، مع المقارنة والترجيح، وأن لا يكتفي بأقوال المجرحين وحدها، كما ينبغي أن يستحضر ريادة أصحاب هذه

المدرسة في السيرة والمغازي، بشهادة أصحاب الحديث أنفسهم، مما يحتم ضرورة الاعتماد عليهم والرجوع إلى دراساهم.

ونحن إذا استثنينا الأخباريين مثل محمد بن السائب الكلبي، وعوانة بن الحكم، وأبي مخنف، وسيف بن عمر التميمي، وأضراهم، الذين يكاد يكون هناك إجماع على ترك حديثهم، وأهم ليسوا ثقات(٨٧١)، فالبقية مختلف في أمرهم، منهم مَن هو أقرب إلى التجريح، كالواقدي، واليعقوبي، والمسعودي، ومَن هو ثقة كابن إسحاق، ومن هو إمام كالطبري.

فالواقدي مثلاً، أورده النسائي في الضعفاء والكذابين، ضمن أربعة نفر من أكثر الناس شهرة في الكذب، وقال: ليس بثقة(٨٧٢)، وقال فيه ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه(٨٧٣) وذكره البخاري، وقال: سكتوا عنه، تركه أحمد وابن نمير(٨٧٤) وقال مسلم وغيره: متروك الحديث(٨٧٥)، بينما يقول فيه موسى بن هارون: سمعت مصعباً الزبيري يذكر الواقدي، فقال: "والله ما رأينا مثله قط"(٨٧٦) وعن الدراوردي وذكر الواقدي فقال: ذاك أمير المؤمنين في الحديث. رواها يعقوب الفسوي، عن عبيد بن أبي الفرج، عن يعقوب مولى آل

(٨٧١) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: ٣٥١/١، والضعفاء، للعقيلي: ١٨/٤، وميزان الاعتدال: ٣٥٢/٣.

(٨٧٢) تهذيب التهذيب: ٢٣٥/٥.

(٨٧٣) نفسه: ٢٣٥/٥.

(٨٧٤) التاريخ الكبير: ١٧٨/١.

(٨٧٥) تهذيب التهذيب: ٢٣٥/٥.

(٨٧٦) سير أعلام النبلاء: ٤٥٨/٩.

عبيد الله عنه[٨٧٧] وعن أحمد بن علي الأبار، سمعت مجاهد بن موسى يقول: ما كتبنا عن أحد أحفظ من الواقدي[٨٧٨].

وقد أدى تطبيق قواعد المحدثين في نقد الرواة منذ زمن الواقدي إلى تميّز روايات الثقات في السيرة، فاعتنى بها النقلة والحفاظ، في حين أهملت روايات المجرّحين بخاصة من عرفوا ببدعة مذهبية أو سياسية وأجمعت أقوال أئمة الحفاظ على تجريحهم.

أما الثقات من رواة السير والتاريخ، الذين دونت أسماؤهم في بعض مصنفات الجرح: كابن إسحاق وأحمد بن أيوب والوليد بن مسلم وزياد بن عبد الله...، فلم يُعبأ بكلام من جرحهم من النقاد؛ لأنه تُكلم فيهم بما لا يوجب رد مروياتهم[٨٧٩].

٢- المذهبية والنوازع السياسية لأصحاب السيرة والتاريخ:

من أكثر الأمور التي أخذ بها أصحاب مدرسة السير والتاريخ: انحرافهم وراء الفرق الدينية، واتباعهم لبعض النحل السياسية، مما حاد بهم في نظر أهل الحديث عن الموضوعية، وجانبهم الحياد أثناء كتابة تاريخ الإسلام، والسيرة النبوية على الخصوص.

وهذه التهمة لم يسلم منها الكثيرون، وبخاصة التشيع الذي اتهم به عدد ممن صنفوا في تاريخ صدر الإسلام خلال القرن الثاني، وزمن الدولة الأموية على

---

(٨٧٧) سير أعلام النبلاء: ٩/٤٥٨.

(٨٧٨) نفسه: ١/٤٥٨.

(٨٧٩) انظر مثلاً: تراجم المذكورين عند المحدثين في: "معرفة الرواة".

الخصوص، لاضطراره الحديث عن آل البيت النبوي أثناء مشاركتهم في أحداث السيرة النبوية.

وهذه بعض أقوال النقاد في أصحاب هذه المدرسة:

- فقد اتهم وهب بن منبه بأنه كان من المتمسكين بالقدر[٨٨٠].
- ومحمد بن السائب الكلبي: انتقدوه بسبب تشيعه[٨٨١].
- وعوانة بن الحكم: "شيعي يظهر العثمانية تقية منه"[٨٨٢].
- وأبو مخنف يقول عنه ابن عدي: "شيعي محترق صاحب أخبارهم، وإنما وصفته للاستغناء عن حديثه"[٨٨٣].
- وسيف بن عمر التميمي "اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط"[٨٨٤].
- وأبو اليقظان النسابة "ميوله أموية يكره الشعوبية ويخالف غلاة الشيعة"[٨٨٥].
- وهشام بن محمد بن السائب الكلبي: "كان غالياً في التشيع"[٨٨٦]، و"رافضي ليس بثقة"[٨٨٧].

---

(٨٨٠) معجم الأدباء: ٧/٢٣٢.

(٨٨١) الجرح والتعديل: ١/٣٥١.

(٨٨٢) معجم الأدباء: ١٦/١٣٨.

(٨٨٣) الكامل، لابن عدي: ٦/٩٣.

(٨٨٤) تهذيب التهذيب: ٢/١٧٠.

(٨٨٥) طبقات خليفة بن خياط: مقدمة: ٢٢.

(٨٨٦) المجروحين، لابن حيان: ٣/٩١.

(٨٨٧) ميزان الاعتدال: ٤/٣٠٤.

- ونصر بن مزاحم "أخباري شيعي"[٨٨٨]، و"ورافضي جلْـد تركـوه"[٨٨٩]، و"شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير"[٨٩٠].
- وأكثروا على ابن إسحاق فرموه بالقدر، وكان أبعد الناس عنه[٨٩١]، وقال فيه أبو داود: "قدري معتزلي"[٨٩٢]، وقال الخطيب البغدادي: "وقد أمسك غير واحد من العلماء عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق؛ لأسباب، منها: أنـه كان يتشيع"[٨٩٣]، وقال ياقوت في معجم الأدباء: يقول يحيى بـن سـعيد القطان: كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة، وإبراهيم بن محمد كـل هؤلاء يتشيعون، ويقدمون علياً على عثمان[٨٩٤].
- وتفرد ابن النديم باتهام الواقدي بالتشيع، بقول في ذلك: "وكان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً عليه السلام كـان مـن معجزات النبي ﷺ، كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى بـن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار"[٨٩٥].
- ورمي ابن قتيبة بالتشبيه والكذب[٨٩٦].

---

(٨٨٨) تاريخ بغداد: ٢٨٢/١٣.

(٨٨٩) ميزان الاعتدال: ٢٤/٧.

(٨٩٠) الضعفاء الكبير: ٣٠٠/٤.

(٨٩١) تاريخ بغداد: ٢٢٥/١.

(٨٩٢) ميزان الاعتدال: ٢١/٣.

(٨٩٣) تاريخ بغداد: ٢٢٤/١.

(٨٩٤) معجم الأدباء: ٤٠٠/٦.

(٨٩٥) الفهرست: ١٤٤.

(٨٩٦) سير أعلام النبلاء: ٢٩٨/١٣، لكن حَلاّه في العبر ٢٤٨/١ بقوله: "الإمام الورع".

- واتهم اليعقوبي بميوله العلوية، وتعصبه للموالي ضد العرب[٨٩٧].
- وقال الذهبي في المسعودي: "كان أخبارياً صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون وكان معتزلياً[٨٩٨]... وله "ميول شيعية"[٨٩٩]، حيث ترجم له الممقاني في التنقيح وذكر له مؤلفات في الوصاية والعصمة[٩٠٠].
- وأخيراً: الطبري الذي اتهم بالتشيع، وعادتْهُ الحنابلة بسبب خلاف مذهبي في الفروع[٩٠١].
- وقد ناقش العلماء كثيراً من هذه التهم وأبطلوها، وكثيرٌ منها لا يرجع إلى إقرار أصحابها، بل إلى بعض الإشارات الموجودة في كتبهم ، وقد اتبع المستشرقون في العصر الحالي نفس النهج في دراساتهم لما كتبه ابن إسحاق والواقدي والطبري حيث استدلوا على ميولاتهم السياسية من خلال ما أوردوه من أخبار، أو تركوه من آثار[٩٠٢]، مع أن ذلك لا يستوي في ميزان البحث العلمي.

٣- اعتراف النقاد لأهل السيرة والتاريخ بالريادة في كتابة المغازي:

بالرغم من كثرة طعون النقاد في مدرسة السير والتاريخ ورجالها، ورواياتهم واتهامهم بالبدع، واتباع الأهواء المذهبية والسياسية، نجدهم يعترفون لهم بالريادة

(٨٩٧) كتب حذر منها العلماء: ٥٦/٢.

(٨٩٨) سير أعلام النبلاء: ٥٦٩/١٥.

(٨٩٩) تاريخ بغداد: ٢٨٢/١٣.

(٩٠٠) مؤلفات حذر منها العلماء: ٥٣/٢.

(٩٠١) سير أعلام النبلاء: ٢٧٠/١٤.

(٩٠٢) راجع ادعاءات من هذا القبيل عند "هورفتس" في المغازي الأولى ومؤلفوها: ٩٧.

في علم السيرة والمغازي، وعلى هذا الأساس ينبغي أن نفسر تعديل عدد من النقاد لابن إسحاق والواقدي وغيرهما.

من ذلك قول المفضل الغلابي: "سألت يحيى بن معين عن ابن إسحاق. قال: "كان ثقة حسن الحديث"[٩٠٣]، وعن ابن شهاب وسئل عن مغازي ابن إسحاق قال: هذا أعلم الناس بها -يعني ابن إسحاق-[٩٠٤]، وروى حرملة عن الشافعي من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق"[٩٠٥]، وقال شعبة: "ابن إسحاق أمير المؤمنين، لحفظه"[٩٠٦]، وقال أبو زرعة الرازي: "وابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه، فرأوا صدقاً وخيراً، مع مدحة ابن شهاب له"[٩٠٧]، ويقول ابن عدي: "ولمحمد ابن إسحاق حديث كثير، وقد روى عنه أئمة الناس، ولو لم يكن له من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء، إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبدإ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق إليها، وقد صنفها بعده قوم لم يبلغوا مبلغه، وقد فتشت أحاديثه الكثير فلم أجد ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أو يهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره، وهو لا بأس به"[٩٠٨].

---

(٩٠٣) سير أعلام النبلاء: ٣٥/٧.

(٩٠٤) نفسه: ٣٦/٧.

(٩٠٥) نفسه: ٣٦/٧.

(٩٠٦) تهذيب التهذيب: ٣٠/٥.

(٩٠٧) نفسه: ٣٠/٥.

(٩٠٨) نفسه: ٣١/٥-٣٢.

ومما قاله الخطيب البغدادي في الواقدي: "هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها، وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات والفقه"[٩٠٩]، وقال فيه ابن سلام الجمحي: "الواقدي عالم دهره"[٩١٠]، وقال فيه الذهبي: "جمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا لا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم"[٩١١]، وقال في مكان آخر: "وقد تقرر أن الواقدي ضعيف يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج[٩١٢].

أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر، فهذه الكتب الستة ومسند أحمد وعامة من جمع الأحكام نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين ، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئاً، مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يكتب حديثه، ويروى، لأني لا أتهمه بالوضع"[٩١٣].

وقد أوردنا هذه الأقوال لنؤكد على أن ضعف أهل السير والتاريخ في الحديث لا يوجب ضعفهم في رواية المغازي والسير، ولا ينبني عليه إسقاط روايتهم بالمرة.

يقول ابن قتيبة: "وليس على المحدث عيب أن يزل في الإعراب، ولا على الفقيه أن يزل في الشعر وإنما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج

---

(٩٠٩) تاريخ بغداد: ٣/٣.

(٩١٠) تاريخ بغداد ٣/٥.

(٩١١) سير أعلام النبلاء: ٩/٤٥٤-٤٥٥.

(٩١٢) نفسه: ٩/٤٥٤ — ٤٥٥.

(٩١٣) نفسه: ٩/٤٦٩.

الناس إليه"[٩١٤]، فالناس لا يتساوون في العلم والفضل والمؤرخ قد لا يكون بارعاً في علم الحديث.

ولا ينبغي أن نبخس الناس أشياءهم، ونغفل عن محاسنهم، لوجود بعض المساوئ ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع"[٩١٥].

ولا بأس أن نحاكم المؤرخين بقواعد المحدثين، خاصة فيما يتعلق برواية سيرة الرسول ﷺ، وذلك لا يوجب رد رواياتهم، فأكثر ما رواه ابن إسحاق والواقدي واطأهما عليه غيرهما، إلا ما شذا فيه، يقول الحافظ ابن حجر في الواقدي: "إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة، ولا غيره من أهل المغازي، فهو مقبول عند أصحابنا"[٩١٦].

من هنا يظهر تهافت أقوال من قال بعدم الالتفات لروايات بعض المؤرخين بإطلاق، احتجاجاً بأقوال المجرحين، دون ذكر المعدلين، ودونما إشارة إلى ريادة هؤلاء في فنهم.

المطلب الثاني
موقف المؤرخين من الأسانيد

يتسم موقف المؤرخين من الأسانيد بالتساهل، خاصة فيما يتعلق بالروايات التاريخية، أُسوة بروايات الفضائل والأخلاق، ولعلهم في ذلك يوافقون الإمام

(٩١٤) تأويل مشكل الحديث: ٧٨.

(٩١٥) منهاج السنة النبوية: ٣٣٧/٤.

(٩١٦) التلخيص الحبير: ٢٩١/٢.

أحمد في قولته المشهورة: "إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عنه في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكماً ولا يرفعه، تساهلنا في الأسانيد"(٩١٧).

ولعل هذا التساهل في رواية الأخبار التاريخية، هو ما يجمع بين مدارس المؤرخين المختلفة، حيث يكثرون من رواية الأخبار مقطوعة، أو مرسلة، أو منقطعة، وهذا هو صنيع ابن إسحاق والواقدي وخليفة بن خياط والطبري، ولعل عذرهم في ذلك هو الرغبة في عدم التفريط في الخبر، مهما كان ضعفه، خشية أن يفوتهم شيء من العلم بإهماله، أو تضيع فائدة بتجاهله. ثم إنهم يسندون كل خبر إلى راويه، لكي يقف القارئ على قوة الخبر، أو ضعفه، من خلال النظر في رواة العدول أو المجروحين، وطريقة نقله من حيث الاتصال أو الانقطاع، ومن خلال متنه، وموافقته للأصول أو مخالفته لها، وبذلك يرون أنهم قد أدوا ما عليهم، وذلك بتبليغ ما وصل إليهم من طرق مختلفة، قبل أن يحول الموت بينهم وبين نقله.

يقول الطبري رحمه الله: "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه، أو يستبشعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتي من بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا(٩١٨).

ورغم ذلك فإن المؤرخين لم يكن ديدنهم هو التساهل على الدوام ، فلئن

(٩١٧) الكفاية، الخطيب البغدادي: ١٣٤.

(٩١٨) تاريخ الطبري: ١/٥.

وجدناهم يتعاملون بتسامح كبير مع روايات ما قبل الإسلام من بدء الخليقة، وتواريخ الأنبياء، وتاريخ اليمن في العهود القديمة، وأخبار الجاهلية، فعلى العكس من ذلك نجدهم أكثر حرصاً على استعمال الأسانيد، والتمحيص والتثبت فيما يتعلق بعصر المبعث والمغازي.

وهذا لا يعني أن أغلب روايات المؤرخين كانت ضعيفة واهية، بل كثير منها يوافق ما جاءت به الروايات الصحيحة، ويحتوي على شروط الأحاديث المعتبرة عند أهل الحديث، وسنتناول فيما يلي هذه الروايات الصحيحة، ثم نعقب على أسباب ورود الروايات الضعيفة عند أهل السير والتاريخ، ونختم بموقفنا من هذه الروايات.

١– اشتمال كتب التاريخ والسيرة على كثير من الأخبار الصحيحة:

من المعلوم أن كتب الحديث النبوي لا تشتمل على صحيح الأخبار وحدها، فإذا استثنينا الصحيحين، فبقية الكتب الأخرى لا تسلم من وجود أخبار ضعيفة، بل موضوعة أحياناً أخرى، وإذا لم تسلم كتب الحديث من آفات الضعف والقدح، على حذق أصحابها في الرواية، وعلو كعبهم في الدراية، فكيف بكتب السيرة والتاريخ!.

وإذا استوعبنا ذلك تأكد لدينا أن مرويات السيرة والتاريخ تنقسم إلى قسمين:

- قسم ثابت ثبوت الأحاديث الأخرى ، أورده أصحاب الصحيح والسنن والمسانيد بأسانيد مقبولة، وهذا النوع لا خلاف فيه، تستنبط منه الأحكام، وتؤخذ منه الدروس والعبر.

- وقسم آخر لم يثبت بمناهج المحدثين، ولا تسلم طرقه من جهالة أو إرسال أو إعضال في الأسانيد، وهذا القسم وإن كان لا يصلح للعمل به في الأحكام، فإنه يذكر للاستئناس به في حالة الضعف، أو التنبيه عليه في حالة الوضع.

ومن أسباب قبول أخبار المؤرخين وأصحاب السير:

- اشتمال أحاديثهم على شروط الأخبار الصحيحة بميزان المحدثين: من اتصال السند، والنقل عن الثقات، وغير ذلك. ومن نماذجه: ما رواه ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات في قتلى أحد، وفيه أن النبي ﷺ أرسل زيد بن ثابت يتفقد أنس بن النضر، فوجده بين القتلى وبه رمق... الحديث[٩١٩].
- وجود شواهد ومتابعات للحديث إن كان ضعيفاً. ومن نماذجه: كتابة أبي بكر ﷺ لسراقة كتاباً في الهجرة[٩٢٠]، فإسناده صحيح لغيره؛ لأن ابن إسحاق توبع في صحيح البخاري[٩٢١].
- موافقة الخبر لما جاء في الصحيحين، وهو كثير في كتب التاريخ والسير، ومنه: ما ورد عند الواقدي وغيره من أن النبي ﷺ وُلِد يتيم الأب، وقد صحت الرواية بذلك عند مسلم[٩٢٢].

وما تفيده الروايات من أن مولده ﷺ كان عام الفيل قال خليفة بن خياط: وهو المجتمع عليه[٩٢٣].

---

(٩١٩) مجمع البحرين: ٢/٢٣٩، وشرح المواهب اللدنية: ٢/٤٤.

(٩٢٠) السيرة النبوية: ٢/١٠٢ – ١٠٤.

(٩٢١) فتح الباري: ٧/٢٣٠ – ٢٤٨.

(٩٢٢) صحيح مسلم: ٣/١٣٩٢.

(٩٢٣) تاريخ خليفة بن خياط: ٥٣.

التصريح بالسماع: فإذا صرح ابن إسحاق بالسماع فحديثه حسن، كما قـــرر ذلك نقاد الحديث، مثل الذهبي وابن حجر. ونماذجه كثيرة، منها: قول ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ... الحديث[٩٢٤]: قالوا: هذا إسناد حسن، فقد صـــرح ابـــن إســـحاق بالتحديث، وهو صدوق، وقال ابن كثير هـــذا إســـناد جيـــد قـــوي[٩٢٥] وصححه الحاكم ووافقه الذهبي[٩٢٦].

ومنه كذلك قول ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الـــزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من لهب كان عائفاً... الخبر[٩٢٧].

ومنه قول ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعية، قال قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها... الخبر[٩٢٨].

ويدقق ابن حجر في حال ابن إسحاق قائلا: "ما ينفرد به وإن لم يبلغ درجة الصحيح فهو في درجة الحسن إذا صرح بالتحديث وإنما يصحح له من لا يفرق بين الصحيح والحسن ويجعل كل ما يصلح للصحة صحيحا وهذه طريقة ابـــن حبان ومن ذكر معه"[٩٢٩].

---

(٩٢٤) السيرة النبوية: ١/١٥٩.

(٩٢٥) السيرة النبوية، لابن كثير: ١/٢٢٩.

(٩٢٦) المستدرك: ٢/٦٠٠.

(٩٢٧) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٨٠.

(٩٢٨) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٣٨٩.

(٩٢٩) فتح الباري: ١١/١٦٣.

وهناك ضوابط أخرى لقبول أخبار أصحاب السير منها أن تضارب الآثار وإن كان كل أثر لا يخلو من مقال، فإنها تدل بمجموعها على أن للقصة أصلاً. ونماذجه كثيرة في كتب السيرة والتاريخ.

٢- أسباب ضعف الرواية في بعض أخبار المؤرخين:

لم يتشدد المؤرخون وأصحاب السير في مروياتهم في استعمال أساليب المحدثين، وتساهلوا في النقل، مما أدى إلى دخول كثير من الروايات المرسلة، والمنقطعة، والشاذة، والمنكرة، بل الموضوعة المختلقة في كتبهم.

وتعود أسباب ضعف كثير من رواياتهم إلى أمور عديدة، منها:

أ - **عدم ذكر الأسانيد**: وهذا من أكثر ما أُخذ عليهم من طرف مخالفيهم، الذين صمتوا عن نقد الوقائع الواردة دون إسناد، لأن سقوط السند يغني عن الكلام فيما سواه من حقائق المتن. ويعتذر المؤرخون عن إيراد الأسانيد بالاختصار، والهروب من الإطالة، كما يقولون بأن الوقائع التي رووها دون إسناد هي مما اشتهر، وذاع عند الخاص والعام، وله ما يشهد له في الصحيح وغيره.

وإسقاط الإسناد ليس شيئاً ابتدعه المؤرخون، وأصحاب السير، فنحن نجد الزهري يستعمل الإسناد أحياناً، وأحياناً يسوق الخبر بأُسلوبه الخاص، دون اعتماد على الأسانيد، وعندما جاء ابن إسحاق، وأبو معشر، والواقدي، وجدوا ترك الإسناد قاعدة مقررة في بعض الأخبار؛ فتجاوزوا هذه الأسانيد في كثير من الوقائع التي أوردوها(٩٣٠).

(٩٣٠) أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، الدكتور فاروق حمادة: ندوة العناية بالسنة والسيرة: ٩-١٠.

ولا يعني عدم ذكر الإسناد أن الحديث ضعيف على الدوام، فقد يكون صحيحاً أو حسناً، أو دونهما. ومثال الصحيح: ما رواه ابن إسحاق دون إسناد، قال: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، فبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال... الحديث[٩٣١]، قال الألباني: هكذا ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، وهو صحيح، ومعناه في البخاري[٩٣٢].

ب- الجمع بين الروايات في سياق واحد: وهذا العمل معيب عند المحدثين، لاختلاط كلام الضعفاء والثقات ببعضه، وصعوبة تخليصه[٩٣٣]: وقد روي أن الإمام أحمد ابن حنبل ذكر محمد ابن إسحاق فقال: كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه... قال أيوب: ابن إسحاق سألت أحمد، فقلت له: "يا أبا عبد الله إذا تفرد ابن إسحاق بحديثه تقبله؟ قال: لا، والله إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا"[٩٣٤] وهذا كذلك هو صنيع الواقدي، الذي يستعمل طريقة الإسناد الجمعي بانتظام تقريباً، ليقدم المواد الأساسية عن كل غزوة، ثم يورد بعد ذلك روايات فردية، ليعطي تفاصيل أخرى أو روايات مباينة[٩٣٥].

(٩٣١) فقه السيرة، للغزالي: ٤٢٤ – ٤٢٥.
(٩٣٢) فقه السيرة، للغزالي: تخريج ناصر الدين الألباني: ٤٢٥.
(٩٣٣) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ٤٠٥/٢.
(٩٣٤) الكفاية: ٢٢٩ –٢٣٠، وعيون الأثر: ١١/١.
(٩٣٥) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، الدوري: ٣٠.

ولبيان أسباب استعمال المؤرخين وأصحاب السير للإسناد الجمعي، لابد من التذكير بأن طريقة المحدثين في عرض أحداث السيرة النبوية تؤدي إلى التشويش على القارئ، بسبب انقطاع الأحداث، وتكرر بعضها بتكرر الروايات، وعدم وضوح صورة متسلسلة عن الوقائع، مما لا يُسْهم في فهمها، والاستفادة منها، قال إبراهيم الحربي: سمعت السمتي يقول: رأينا الواقدي يوماً جالساً إلى اسطوانة في مسجد المدينة، وهو يدرس ، فقلنا أي شيء تدرس؟ فقال: جزئي من المغازي. وقلنا يوماً له: هذا الذي تجمع الرجال، تقول حدثنا فلان وفلان وجئت بمتن واحد ، لو حدثتنا بحديث كل واحد على حدة، فقال: يطول ، قلنا له قد رضينا ، فغاب عنا جمعة ثم جاء بغزوة أحد عن عشرين جلداً، فقلنا: ردنا إلى الأمر الأول(٩٣٦).

يقول الدكتور محمد حميد الله مدافعاً عن صنيع المؤرخين في جمع أسانيد الواقعة الواحدة: "ولكن هذا يتعلق بالفرق بين الحديث والتاريخ: فالحديث لا يتطلب فيه قصة مربوطة، بل شهادة كل شاهد على معرفة الواقعة، وأما التاريخ فهو يُبقي على الحديث، ولكن غرضه هو الإخبار عن الواقعة التاريخية ، كقصة مربوطة كاملة، بدون إثقال الكلام بتكرار الأسانيد، وتكرار البيانات ، وليس هذا من إيجاد ابن إسحاق، فقد نُسب مثل هذا إلى الزهري أيضاً، فقد نقرأ في تاريخ الطبري (في أحوال سنة ٦ سلسلة أولى ص ١٥١٨ طبع أوروبا): حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري، عن علقمة بن وقاص الليثي –وعن سعيد بن المسيب– وعن عروة بن الزبير –وعن عبيد الله بن

(٩٣٦) تاريخ بغداد: ٧/٣، وسير أعلام النبلاء: ٧/٣.

عبد الله بن عتبة– قال الزهري: كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، قال وقد جمعت كل الذي حدثني القوم "وكان ابـــن إسحاق من أرشد تلاميذ الزهري، فتلاه في منهجه المنطقي، ولم يطعن طـــاعن على الزهري لهذا، بل سبقهما جميعاً عروة بن الزبير في نفس المنهج، لقد نقرأ في مسند الإمام أحمد بن حنبل: "... عن الزهري وعن عروة بن الـــزبير ومـــروان والمسور بن مخرمة، يزيد أحدهما صـــاحبه..." (٣٢٣/٤) "...(٣٢٨/٤)...". قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكـــم يصدق كل واحد منهم حديث صاحبه..."(٣٢٨/٤)[٩٣٧].

قال الدكتور محمد حميد الله: "وله أمثلة أخرى، ومما يجب لفت النظر إليـــه هو أن كل هذا في مسند أحمد ابن حنبل، ذلك الإمام المحترم، الذي قال ما قال في ابن إسحاق لأنه "يحدث عن جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا من ذا"، ومع ذلك يقبل حديث عروة إذا رُوي بنفس المنهج من التدليس"[٩٣٨] ومع ذلك فقد تسامح العلماء في استعمال الإسناد الجمعي، إذا كان المحدث متقنـــاً، ومميزاً لحديثه، يعرف اتفاق شيوخه واختلافهم، ولم يكن غرضه هو التدليس.

ومن نماذج استعمال ابن إسحاق للإسناد الجمعي ما رواه ابن هشام: "من قول ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس: كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت

(٩٣٧) سيرة ابن إسحاق، الدكتور محمد حميد الله ، المقدمة: ص: كط وكي.

(٩٣٨) نفسه: المقدمة: ص: كي.

من حديث بدر، قالوا:... الحديث[٩٣٩]". وقوله: قال ابن إسحاق فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قالا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب....الحديث[٩٤٠].

ج- **إرسال الأسانيد**: تَرِد كثير من الروايات في كتب التاريخ والسير مرسلة، والمحدثون يرفضون ذلك، ويعتبرون الإسناد المرسل ناقصاً، غير مقبول حتى يرد موصولاً من طريق أخرى أو يصح إلى التابعي، قال أبو داود في رسالته لأهل مكة: "أما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، حتى أتى الشافعي فتكلم فيه، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره"[٩٤١] فقد كان العلماء يحتجون بالمرسل قبل الشافعي، فلما جاء ردها، واستثنى مراسيل سعيد بن المسيب، وبعض المراسيل، التي تتوافر فيها شروط أخرى[٩٤٢].

ومن نماذج استعمال المؤرخين وأهل السير للمراسيل: قول ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان، سنة ثمان[٩٤٣] برواية عبيد الله ابن عبد الله، ولم يدرك الرسول ﷺ[٩٤٤]. وينبغي التنبيه أن المراسيل ليست كلها

(٩٣٩) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٦٠٦.

(٩٤٠) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٦٠٧.

(٩٤١) رسالة أبي داود إلى أهل مكة: ٢٤.

(٩٤٢) شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي: ٢٣٤.

(٩٤٣) البداية والنهاية: ٣/٢٨٥.

(٩٤٤) وقد وصل أبو داود وابن ماجة هذه الرواية من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، سنن أبي داود: ١/٢٨٠، =

ضعيفة، فمراسيل سعيد بن المسيب قوية[٩٤٥]، وبعضها يتقوى بتعدد مخارجها[٩٤٦].

د- الرواية عن المبهم: كثيراً ما نجد في روايات المؤرخين وأهل السير روايات فيها مجاهيل، لا يعرفون، وهذا صنيع ابن إسحاق، وفيما يلي بعض الصيغ التي يستعملها في هذا المجال:

- بعض أهل العلم[٩٤٧].
- بعض أهل عمر[٩٤٨].
- بعض أهل عباس بن عبد الله[٩٤٩].
- بعض أهل عامر بن عبد الله بن الزبير[٩٥٠].
- رجال من قوم عاصم بن عمر بن قتادة[٩٥١].
- شيخ من قريظة[٩٥٢].
- نفر من الأنصار[٩٥٣].

=

وسنن ابن ماجه: ١/٣٤٢.

(٩٤٥) راجع تاريخ خليفة بن خياط: ٦٤، وطبقات ابن سعد: ٢/٤٦.

(٩٤٦) راجع تفسير الطبري: ١٣/٤٤٢- ٤٤٣.

(٩٤٧) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٥٤- ١٩٢- ٢١٧- ٢٢٧ – ٢٢٩- ٢٩٩.

(٩٤٨) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٢٩٩.

(٩٤٩) نفسه: ١/١٥٦.

(٩٥٠) نفسه: ١/٢٧٨.

(٩٥١) نفسه: ١/١٩٥.

(٩٥٢) نفسه: ١/١٩٦.

(٩٥٣) نفسه: ١/١٩١.

- من لا أتهم[٩٥٤].
- شيخ من الأنصار[٩٥٥].
- رجل من أسلم[٩٥٦].
- حدثت[٩٥٧].
- ذكر لي[٩٥٨].
- بعض من يروي الحديث[٩٥٩].
- عن فلان عن أشياخ من قومه[٩٦٠].

وقد يكون إسناد الخبر فيه راوٍ مبهم في أكثر من طبقة، ومثاله: قول ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم، عن رجال مِن أسلم، أن الذي نزل في قليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية: بن جندب بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن سلامان بن أسلم بن أخصى بن أبي حارثة، وهو سائق بُدْن رسول الله ﷺ[٩٦١].

وقد يكون هذا المجهول مذكوراً باسمه لكنه لم يشتهر بطلب العلم، ولا هو

---

(٩٥٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٠٠- ١٩٤-٢٠٩.

(٩٥٥) نفسه: ١/١١.

(٩٥٦) نفسه: ١/٢٦٠.

(٩٥٧) نفسه: ١/١٨١- ٢٢٦- ٢٧١ و٣/٢.

(٩٥٨) نفسه: ٢/٤-٦.

(٩٥٩) نفسه: ١/١٩٥.

(٩٦٠) تاريخ الطبري: ٢/٢٣٣.

(٩٦١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣/٣١٠.

معروف عند العلماء، أو لم يرو عنه إلا راو واحد ، لأن أقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عنه اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم[٩٦٢] ومن أمثلة هذا النوع: ما رواه ابن إسحاق في غزوة حنين من قول أبي سفيان بعد إدبار المسلمين في الجولة الأولى: "لا تنتهي هزيمتهم دون البحر"[٩٦٣]، في إسناده أبو علاثة محمد ابن عمرو بن خالد، وهو مجهول لا يعرف.

يقول يعقوب بن أبي شيبة سمعت ابن نمير يقول عن ابن إسحاق: "إذا حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث، صدوق، وإنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة "[٩٦٤].

ومن نماذج رواية خليفة بن خياط عن المجاهيل ما رواه في تاريخ غزوة أحد، وأنها كانت يوم السبت، للنصف من شوال، بإسناد فيه مجهول عن الزهري ويزيد بن رومان[٩٦٥].

هـ- الرواية عن أهل الأهواء والبدع: يعتني أهل الحديث ببيان حال أهل الأهواء من الشيعة والقدرية والمعتزلة وغيرهم، لتأثير هذه البدع والمذاهب في مروياتهم، وقد سبق أن رأينا أن عدداً أهل السير متهمون بالتشيع، والقول بالقدر، والاعتزال، وخاصة منهم الأخباريون، مثل محمد بن السائب الكلبي، وأبي مخنف، وسيف بن عمر التميمي، ممن نجد لهم روايات كثيرة عند ابن إسحاق، والواقدي، وخليفة بن خياط، والطبري.

---

(٩٦٢) قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، جمال الدين القاسمي: ٢٠٣.

(٩٦٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٤٣/٢ – ٤٤٤.

(٩٦٤) تهذيب التهذيب: ٣٠/٥.

(٩٦٥) تاريخ خليفة بن خياط: ٩٧.

وقد اختلفت آراء علماء الحديث والفقهاء في الرواية عن أهـــل الأهـــواء، ورأي الجمهور هو رفضها، وعدم قبولها، كما يفهم من قول الخطيب البغدادي في الكفاية(٩٦٦) وفرق البعض بين البدع غير المكفرة والبدع المكفـــرة ، فقبـــل الرواية في الأولى وردها في الثانية(٩٦٧)، وبين من يدعو إلى بدعته، ومن لا يدعو إليها، وأنصف الحافظ بن حجر عندما قال: "والتحقيق أنه لا يُرَدّ كل مكفـــر ببدعته لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفيها، فلو أخذ ذلك بإطلاق، لاستلزم تكفير جميع الطوائف، فالمعتمد أن الذي تُرَدُّ روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقـــد عكسه، أما من لم يكن بهذه الصفة، وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه، مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله"(٩٦٨).

وكثير مما رمي به أهل السير والتاريخ من البدع والأهواء، لم يثبت عليهم، بل هو من ادعاءات خصومهم، يقول جمال الدين القاسمي رحمه الله: "ههنا أمر ينبغي التفطن إليه، وهو أن رجال الجرح والتعديل عدوا في مصنفاتهم كثيراً ممن رمي ببدعة ، وسندهم في ذلك ما كان يقال عن أحد من أولئك أنه شيعي، أو خارجي، أو ناصبي، أو غير ذلك ، مع أن القول عنهم بما ذكر قد يكون تقوّلاً وافتراء، ومما يدل عليه أن كثيراً ممن رمي بالتشيع من رواة الصحيحين لا تعرفهم الشيعة أصلاً. وقد راجعت من كتـــب رجـــال الـــشيعة كتـــاب "الكـــشي"

---

(٩٦٦) الكفاية: ١٢٤.

(٩٦٧) مقدمة ابن الصلاح: ١٤٩.

(٩٦٨) شرح نخبة الفكر: ٢٤.

و"النجاشي" فما رأيت ممن رماهم السيوطي – نقلاً عمن سلفه –بالتشيع في كتابه التقريب ممن خرج لهم الشيخان وعددهم خمسة وعشرون إلا راويين... وقد استفدنا بذلك علماً مهماً وفائدة جليلة، وهي أنه ينبغي الرجوع في المرمي ببدعة إلى مصنفات رجالها ، فبها يظهر الأصيل والدخيل، والمعروف من المنكور"(٩٦٩).

و– رواية الأحاديث المنقطعة والمعضلة والمدلسة: وعلة ضعف المرويات التي يوجد فيها انقطاع أو إعضال أو تدليس: عدم اتصال أسانيدها، كما يشترط ذلك علماء الحديث.

ويكون الإسناد منقطعاً إذا سقط منه راو واحد في موضع، أو أكثر، أو ذكر فيه رجل مبهم، ويدخل فيه المرسل(٩٧٠).

ومن أمثلة الروايات المنقطعة عند ابن إسحاق: ما رواه عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري، من حديث مشاركة أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية في غزوة أحد(٩٧١)، وما رواه في سرية خالد بن الوليد من دفع ديات القتلى(٩٧٢)، وهذه الأخيرة من مراسيل أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وإسنادها منقطع؛ لأن الباقر ولد بين ٤٠ و٥٦هـ كما في تهذيب التهذيب ٣٥١/٩ (٩٧٣).

وقد روى ابن إسحاق عن كثير من التابعين مباشرة، كما فعل مع الزهري،

(٩٦٩) قواعد التحديث، القاسمي: ٢٠٣.

(٩٧٠) أصول الحديث وعلومه، الدكتور محمد عجاج الخطيب: ٣٤١.

(٩٧١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٨١/٣.

(٩٧٢) نفسه: ٤٣٠/٢.

(٩٧٣) السيرة النبوية الصحيحة: ٤٩٣/٢.

وعروة، وعطاء، ومجاهد، وخالد بن معدان، ومحمد بن كعب القرظي، وعبيد ابن عمير(٩٧٤).

كما روى الواقدي عن سعيد بن المسيب، والزهري، وعروة، ويزيد بن علي، ومحمد بن كعب القرظي، وعاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان(٩٧٥).

كما أخرج الطبري بسندين عن السدي، وابن يزيد في غزوة حنين(٩٧٦)، وبسنده إلى سعيد بن جبير في مشاركة الملائكة في غزوة حنين(٩٧٧).

ويقصد بالإعضال سقوط راويين أو أكثر من الإسناد بشرط التوالي، ومنه ما يرسله تابع التابعي، فهو كالمنقطع بل هو دونه، ويساويه في سوء الحال إذا كان الانقطاع في أكثر من موضع:

وعند ابن إسحاق نماذج كثيرة من الروايات المعضلة، منها: ما رواه ابن هشام من أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم(٩٧٨)، وشرط لهم، واشترط عليهم"(٩٧٩). يقول الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله- تعليقاً على هذه

---

(٩٧٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/١٥٣- ٢١٨ - ٢٦١ - ٢٧٥ - ٢٩٧ و٢/٢٦١.

(٩٧٥) مغازي الواقدي: ١/١٠-١١-١٥-١٨-٣٨-٤٦-٥٦-٥٩-٦٠-٦٣-٧٢-٧٣-٩١-١٠٣.

(٩٧٦) تفسير الطبري: ١٠/١٠١-١٠٣.

(٩٧٧) نفسه: ١٠/١٠٣.

(٩٧٨) أصول الحديث، محمد عجاج الخطيب: ٣٤٠.

(٩٧٩) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/١٨.

الرواية: "هذا مما لا يعرف صحته، فإن ابن هشام رواه في السيرة: قال ابن إسحاق... فذكره هكذا بدون إسناد، فهو معضل، وقد نقله ابن كثير عن ابن إسحاق، و لم يزد عليه في تخريجه شيئاً، على خلاف عادته، مما يدل على أنه ليس مشهوراً عند أهل العلم بالسيرة والأسانيد"(٩٨٠).

ومنه أيضاً: قول ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه "قتل عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أعزل... الخبر"(٩٨١)، وهذا الحديث معضل، لأن يعقوب بن عتبة من صغار التابعين(٩٨٢)، وعند الطبري رواية أخرى من طريق يعقوب بن عتبة معضلة، للسبب نفسه في عدد قتلى هوزان(٩٨٣).

أما التدليس: فقد اهم به ابن إسحاق والواقدي خاصة ما روياه عنعنة.

ومن نماذج الروايات التي ورد بها التدليس: ما رواه الطبري عن علي بن حرب الموصلي قال: حدثنا محمد بن عمارة القرشي قال:حدثنا الزنجي بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه، مر به على كاهنة من خثعم، يقال لها فاطمة بنت مر، متهودة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً، فقالت: له يا فتى، هل لك أن تقع علي الآن، وأعطيك مائة من الإبل، فقال:

---

(٩٨٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، الألباني: ٢٥-٢٦.

(٩٨١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤٥٠/٢، والطبري: ٧٨/٣.

(٩٨٢) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم بن إبراهيم قريبي: ٢٢٣/١.

(٩٨٣) تاريخ الطبري: ٧٨/٣.

أما الحرام فالممات دونــه والحـــل لا حـــل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه[٩٨٤]

وهذا الإسناد ضعيف؛ فيه تدليس من ابن جريج وتدليسه معيب.

ز- رواية الأحاديث الشاذة والمنكرة:

قد يحدث أحياناً يتفرد أهل السير والتاريخ بروايات يخالفون فيها غيرهـــم، منها ما هو من قبيل الشاذ، ومنها ما هو من قبيل المنكر في عرف المحدثين.

قال الذهبي في ابن إسحاق بعد أن نقل أقوال أهل الجرح وأهل التعديل فيه: "والذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث صالح صدوق، وما تفرد به ففيه نكارة فإن في حفظه شيئاً، وقد احتج به الأئمة"[٩٨٥].

ومن الروايات التي خالف فيها ابن إسحاق ما ورد في كتب الصحاح:

- ما ذكره من أن عدد أصحاب الرجيع ستة نفر، وأن أميرهم مرثد، بن أبي مرثد بينما عددهم عند البخاري عشرة، وأميرهم عاصم بن ثابت[٩٨٦]، قال الحافظ ابن حجر: وما في الصحيح أصح[٩٨٧].
- ما رواه في إسلام أبي طالب عم الرسول ﷺ قبل وفاته، وقد انتقده الحافظ ابن كثير بقوله: "عارضه ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري رحمه الله. ثم ساق روايته، وفيها: ... وكان آخر شيء كلمهم به هـــو علـــى ملـــة

(٩٨٤) تاريخ الطبري: ٣٣٢/٢.

(٩٨٥) ميزان الاعتدال: ٤٧٥/٣.

(٩٨٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، الحديث رقم: ٣٨٠٨.

(٩٨٧) فتح الباري: ٣٨٠/٧، وراجع مناهج التأليف في السيرة النبوية: ٢٦٦.

عبد المطلب[٩٨٨].

- وما ذكره من أن أصحاب بئر معونة أربعون رجلاً[٩٨٩]، بينما عددهم عند البخاري سبعون[٩٩٠].
- وما نقله من أن النبي ﷺ آخى بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل[٩٩١]، وقد اعترض عليه ابن هشام؛ لأن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع[٩٩٢]، مع ذلك فإن العلماء لم يردوا كل الروايات التي انفرد بها ابن إسحاق، قال ابن حجر: "ما ينفرد به وإن لم يبلغ درجة الصحيح، فهو في درجة الحسن، إذا صرح بالتحديث"[٩٩٣].

ومن مخالفات الواقدي للروايات الصحيحة: قوله في قصة إسلام أبي ذر الغفاري أنه كان قاطع طريق، وأنه أسلم بعد أبي بكر بيوم أو يومين[٩٩٤] وهو ما لم ترد به رواية صحيحة معتبرة.

ومنها: روايته في حديثه عن بني المصطلق في أمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب أن ينادي بني المصطلق يدعوهم إلى الإسلام[٩٩٥]، وتعارضها الروايات الصحيحة

(٩٨٨) البداية والنهاية، لابن كثير: ٣٠٩/٤.

(٩٨٩) السيرة النبوية، ابن هشام ١٨٤/١.

(٩٩٠) صحيح البخاري، كتاب المغازي، الحديث: ٣٨٦٠، ومناهج التأليف في السيرة النبوية: ٢٦٦.

(٩٩١) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٠٥/١.

(٩٩٢) نفسه: ٣٥٩/٢، ومناهج التأليف في السيرة النبوية: ٢٦٦.

(٩٩٣) فتح الباري: ١٦٣/١١.

(٩٩٤) طبقات ابن سعد: ٢٢٣/٤- ٢٢٤.

(٩٩٥) مغازي الواقدي: ٤٠٤/١-٤٠٧.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسقى على الماء[٩٩٦].

ح- الرواية عن الضعفاء والمتروكين:

لم يتقيد أهل السيرة والتاريخ بقيود المحدثين، حيث نقلوا أقوال الكلبي، وابنه هشام، والواقدي، وسيف بن عمر، وأبي مخنف، وغيرهم من الضعفاء والمتروكين والمتهمين بالكذب والوضع، ومن أمثلة ذلك: ما رواه الطبري قال: "حدثنا ابن حميد ثنا جرير بن يعقوب عن جعفر، عن سعيد، قال: أمد الله نبيه ﷺ يوم حنين بخمسة الآلاف من الملائكة مسومين:[٩٩٧] وهذا الحديث فيه محمد ابن حميد وهو ضعيف، وفيه جعفر بن المغيرة، ليس بالقوي في سعيد بن جبير[٩٩٨].

وقد اختلف العلماء في تضعيف الرجال، يقول الترمذي: "وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال، كما اختلفوا فيما سوى ذلك من العلم"[٩٩٩]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية مثل ذلك في قوله: "وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الإجماع والاختلاف، مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم"[١٠٠٠].

وقد سأل الدوري يحيى بن معين: "أيهما أحب إليك: موسى بن عبيدة الربذي ضعيف، ولاسيما في عبد الله بن دينار، أو محمد بن إسحاق؟ فقال:

---

(٩٩٦) صحيح البخاري: ١٢٩/٣، وصحيح مسلم: ١٩٩/٥.

(٩٩٧) جامع البيان: ١٠٣/١٠.

(٩٩٨) مرويات غزوة حنين والطائف، الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قريبي: ٢١٦-٢١٧.

(٩٩٩) العلل الصغير: ٧٥٦/٥.

(١٠٠٠) رفع الملام: ٧.

محمد ابن إسحاق صدوق، ولكنه ليس بحجة"[١٠٠١].

وقد رد عليه ابن سيد الناس بقوله: "وأما قول يحيى: ثقة، وليس بحجة. فيكفينا التوثيق ولو لم يقبل إلا مثل العمري عبيد الله بن عمر، ومالك لقل المقبولون"[١٠٠٢].

وقد ثبت عند علماء الجرح والتعديل أنه لا يلزم من إيراد أخبار المتروكين والضعفاء وتدوينها في كتاب من الكتب الاحتجاج بها، ولهم صيغ كثيرة في رواية حديث الضعفاء مثل قولهم: "يروى حديثه ولا يحتج به"، وقولهم: "يذكر حديثه للاعتبار"، وقولهم: "يكتب حديثه للمعرفة"[١٠٠٣].

٣- موقفنا من الروايات الضعيفة في كتب السيرة والتاريخ:

يلاحِظ الدارس لكتب التاريخ والسير كثيراً من الروايات الواهية، والضعيفة، التي لا تبلغ درجة الوضع، ويحار في أمرها: هل يتجاهلها جملة وتفصيلاً؟ أم يحتج بها؟ ومتى وأين؟.

قبل أن نجيب عن هذا السؤال، لا بأس من التذكير بأن روايات السيرة النبوية تشتمل على الصحيح، والضعيف، وما هو أدنى من الضعيف، أي الموضوع، والمختلق، وإن كان هذا النوع قليلاً، ولا إشكال في الصحيح الذي ينبغي الاحتجاج به، دون خلاف، كما لا إشكال في الموضوع الذي تحرم روايته أو الاحتجاج به، ويبقى جزء كبير به علة أو علل في السند أو المتن،

(١٠٠١) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: ١٩٢/٧.

(١٠٠٢) عيون الأثر، لابن سيد الناس: ٦٥/١.

(١٠٠٣) ميزان الاعتدال: ٧٥/٣.

وحول هذا القسم سوف يكون كلامنا.

وينبغي أن نعرف بأن القرآن الكريم والروايات الصحيحة تعطينا صورة كاملة عن سيرة الرسول ﷺ، أما الجزئيات والتفاصيل المتصلة بعصر النبوة فقد جاء بعضها في القرآن نفسه، مثل ما تضمنته سورتا الأحزاب والنور...، وجاء قسم كبير منها في السنة النبوية، بخاصة في أبواب المناقب والمغازي؛ لكن قسما من تفاصيل وقائع السيرة وجزئيات أحداثها لم يستوف شروط الرواية، فلم يخرجه المصنفون في الجوامع الحديثية لكن أخرجه أصحاب السير والتاريخ مع ذكر الأسانيد.

وبالنسبة لهذا القسم الأخير نجد مروياته عند الطبري وخليفة ابن خياط وأمثالهما من المؤرخين مسندة مع سكوتهم عليها، لكن من جاء بعدهم كالذهبي وابن كثير وابن سيد الناس ميزوا ما يحتج به منها وما يرد.

ويذكر د. أكرم ضياء العمري في طريقة التعامل مع هذه الروايات الضعيفة:

"... فالمطلوب منا هو اعتماد الروايات الصحيحة، وتقديمها، ثم الحسنة، ثم ما يعتضد به من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام... وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً، وأما الروايات الضعيفة، التي تتقوى فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ، الذي لا تسنده الروايات الصحيحة والحسنة، على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي، لأن القاعدة: التشدد فيما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة"[١٠٠٤].

(١٠٠٤) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: ٤٠/١ بتصرف.

إن أهل السير والمؤرخين عندما أوردوا في كتبهم الروايات الضعيفة، لم يقصدوا الاحتجاج بها، وإنما دونوها بأسانيدها، وأسماء رواتها، لتعرف ويتم بالتالي النظر إليها بميزان علم الجرح والتعديل، وهذا ما فعله علماء الحديث أنفسهم، عندما نقلوا إلينا كل ما وصل إليهم، وإن كان رواته فيهم مقال، لأنهم يعرفون أن مرحلة أخرى من الفرز تنتظر هذه الروايات، وهذا هو صنيع ابن إسحاق والواقدي والطبري، الذين يرون أنهم متى أبرزوا أسانيدهم، فقد برئوا من العهدة، وسلمت ذمتهم.

ولما كان هذا صنيع أصحاب الحديث، قبل المؤرخين، فقد أشار الحافظ ابن حجر إلى شيء من ذلك، عندما قال، تعليقاً على من انتقد الطبراني في جمعه الأحاديث في الأفراد، مع ما فيها من النكارة الشديدة، والموضوعات، وفي بعضها القدح في كثير من الصحابة وغيرهم: "إن هذا الأمر لا يختص به الطبراني، فلا معنى لإفراده باللوم، بل أكثر المحدثين في العصور الماضية من سنة مائتين، وهلم جرا، إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا بأنهم قد برئوا من عهدته"[١٠٠٥].

والمعتبر عند المحققين من المؤرخين، وهم في الوقت نفسه من أكبر المحدثين، مثل ابن كثير، وابن عساكر، والذهبي، وابن حجر العسقلاني: جواز رواية الأحاديث الضعيفة، بشروط أهل المعرفة وهي:

- أن لا يكون الضعف شديداً[١٠٠٦]، فلا تجوز الرواية عن المعروفين بالكذب،

(١٠٠٥) لسان الميزان: ٢/٧٥.

(١٠٠٦) أصول الحديث: ٣٥١.

والمجروحين، وساقطي العدالة، لأن ساقط العدالة لا يحمل عنه أصلاً، أما من ضعف ضبطه بسبب الغفلة، أو كثرة الغلط، أو التغير، أو الاختلاط، أو لعلة في السند من انقطاع أو إرسال، فلا بأس به عند العلماء في الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال مع التنبيه عليه.

- أن يندرج تحت أصل معمول به[١٠٠٧]، والمعروف أن كثيراً من الروايات الضعيفة تؤكدها وتعضدها روايات الصحيح، ولها أصل في كتب الصحاح، وغيرها، يجعلها ذات قيمة علمية، ومن الخطأ التفكير في ردها.
- أن لا يعتقد عند روايتها ثبوتها وصحتها، بل يجب عليه أن ينبه على ضعفها، وهذا ما يفعله العلماء، يقول محمد بن سليمان الكافيجي ٨٧٩هـ: "يجوز للمؤرخ أن يروي في تاريخه قولاً ضعيفاً في باب الترغيب والترهيب، والاعتبار، مع التنبيه على ضعفه، ولكن لا يجوز له ذلك في ذات الباري عز وجل، وفي صفاته، ولا في الأحكام"[١٠٠٨].

وللعلماء أقوال كثيرة في جواز رواية الأحاديث الضعيفة، منها: قول الحاكم: "سمعت أبا زكرياء العنبري يقول: "الخبر إذا ورد ولم يحرِّم حلالاً، ولم يحل حراماً، ولم يوجب حكماً، وكان في الترغيب أو الترهيب، أغمض عنه، وتسوهل في روايته"[١٠٠٩] ولابن مهدي: "إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد، وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في

(١٠٠٧) أصول الحديث: ٣٥١.

(١٠٠٨) المختصر في علم التاريخ: ٣٢٦.

(١٠٠٩) قواعد التحديث: ١١٧.

الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد، وتسامحنا في الرجال "[١٠١٠] ولفظ أحمد في رواية الميموني عنه: "أحاديث الرقاق يحتمل أن يُتساهل فيها، حتى يجيء شيء فيه حكم"[١٠١١]، وقال في رواية عباس الدوري عنه "ابن إسحاق تكتب عنه هذه الأحاديث، يعني المغازي، ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا: -وقبض أصابع يده الأربع-[١٠١٢].

*   *   *

(١٠١٠) نفسه: ١١٧.

(١٠١١) نفسه: ١١٧.

(١٠١٢) نفسه: ١١٧.

المبحث الثالث

المؤرخون ونقد المتن

كان هم أهل السير والتاريخ في عصور الرواية، جمع الأخبار عن حياة رسول الله ﷺ، وتدوينها، ونقلها بأمانة للأجيال اللاحقة؛ مخافة أن تضيع، ويَطُوْلُها النسيان، ولم يكن يشغلهم الحكم لها أو عليها، لأنهم يعرفون أن من سيأتي بعدهم سيقوم بهذه المهمة، فيفرز الصحيح من السقيم، لذلك قلت تعليقاتهم على الأسانيد والمتون، واكتفوا بإلقاء العهدة على رواتهم والتسليم بما نقلوه من أخبار.

وكان طبيعياً أن يَطُوْلَ مرويات السيرة النبوية ما يَطُوْلُ مرويات الحديث من آفات الوضع، ووهم الرواة، واختلاطهم، وتأثرهم بالمذاهب السياسية، والفرق الدينية، مما حتم على العلماء النظر في المتون، والتحقق منها، بعرضها على آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة الصحيحة، ومقارنتها بغيرها من مرويات السيرة، والنظر في موافقتها لوقائع التاريخ الصحيحة، وعدم اشتمالها على مناكير، أو ما يخالف العقل[١٠١٣].

وقد ظهرت إرهاصات نقد متون مرويات السيرة النبوية في وقت مبكر، من خلال الإرشارات والملاحظات التي تركها لنا ابن إسحاق، والواقدي، وابن هشام، والطبري، وغيرهم، ثم تطورت الأمور أكثر فأكثر، بعد ذلك على يد

(١٠١٣) منهج نقد الروايات التاريخية، السلمي ٦١ – ٦٨.

الذهبي، وابن كثير، وابن حجر، وبعض شـراح السيرة، أمثـال السهيلي، والخشني، وغيرهم، مما مكننا من الحصول على أحكام علمية دقيقة حول متون السيرة النبوية، لو جمعت وصنفت لظهر للجميع أن السيرة النبويـة لم تتـرك للقصاصين، ومروجي الأحاديث الواهية، يعيثون فيها فساداً، بل كانت محل تتبع وتمحيص من طرف جهابذة العلماء في كل عصر.

ورغم حديثنا عن مرحلة الإرهاصات في كلامنا عن عمل ابن إسـحاق، ومَنْ جَاء بعده، فقد تميزوا بحس نقدي لافت، يتجلى في نقد المصادر، والنفـاذ منها إلى المرويات، ومناقشتها بما يلزم من دراية بفن الرواية والدراية، فأسـسوا بذلك لمنهج أهل السيرة والتاريخ في نقد متون السيرة النبوية.

وقد توافرت لأهل السيرة والتاريخ الشروط الضرورية للنقد والتمحـيص، ومنها المعرفة الجيدة بالسيرة النبوية، إلى جانب الشروط الأخرى، يقـول ابـن القيم رحمه الله: "وسئلت هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط أن ينظر في سنده؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفـة السنن الصحيحة واختلطت بلحمه ودمه، وصار له اختصاص شديد بمعرفـة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه، ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة، بحيث كأنه مخـالط للرسـول ﷺ، كواحد من أصحابه، فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر به، وما لا يجوز من غيره، وهذا شأن كل متبع مع متبوعـه، فإن للأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها، والتمييز بين مـا يصح أن ينسب إليه وما لا يصح..."[(١٠١٤)].

(١٠١٤) المنار المنيف: ٤٣ – ٤٤.

وقد كان أهل السير والتاريخ متأثرين في نقدهم لمتون السيرة بمنهج أهـــل الحديث في عدم استعمال القياس، والتأويـــل، والمنطـــق، والاكتفـــاء بـــضبط الروايات، وتوثيق النصوص، فابن جرير الطبري في مقدمة تاريخه يصرح بـــأن المؤرخ لا يصح له أن يستند إلى المنطق، والقياس، والاستنباط، وإنمـــا يـــدون الأخبار بكل موضوعية، وأمانة في عزو كل رواية إلى صاحبها، ويترك للقـــارئ الحرية في النقد، يقول رحمه الله: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمـــادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار، التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيـــه، دون مـــا أدرك بصحيح العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كـــان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل النـــاقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس[(١٠١٥)].

وهناك خلاف بين العلماء في تأثر أهل السير والتاريخ بالمذاهب الدينيـــة، والفرق السياسية، التي كانت سائدة خلال القرون الثلاثـــة الأولى، والـــراجح سلامة ابن إسحاق والواقدي والطبري على الأقل من ذلك بشهادة ابن ســـيد الناس[(١٠١٦)] وغيره.

وفيما يلي سوف نلقي نظرة على تعامل بعض أقطاب أهل السير والتاريخ مع المتن، مثل ابن إسحاق، والواقدي، وابن هشام ثم الطبري.

(١٠١٥) تاريخ الطبري: ٥/١.

(١٠١٦) عيون الأثر: ٨/١-١٨.

١- فقد جمع ابن إسحاق بين منهج المحدثين وأسلوب المؤرخين في كتابة السيرة النبوية، من خلال محافظته على نقل الخبر كما هو، دون أي مناقشة، أو تحليل، غير أنه كان في كثير من الأحيان يبدي شكه في بعض الروايات، وفيما يلي نماذج من ذلك:

- قال ابن إسحاق: فقال سَامَةُ حين أحس بالموت فيما يزعمون[١٠١٧].
- قال ابن إسحاق: وأما عوف بن لؤي فإنه خرج، فيما يزعمون، في ركب من قريش[١٠١٨].
- قال ابن إسحاق: وكان هاشم موسراً -فيما يزعمون- إذا حضر الحاج قام في قريش فقال: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته...[١٠١٩].
- قال ابن إسحاق -في حديثه عن حفر عبد المطلب لزمزم-: فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال: وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل...[١٠٢٠].
- قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم -فيما يزعمون، والله أعلم- قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم -لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه- لينحرن أحدهم عند الكعبة[١٠٢١].
- قال ابن إسحاق: وكان عبد الله -فيما يزعمون -أحب ولد عبد المطلب إليه[١٠٢٢].

(١٠١٧) السيرة النبوية، ابن هشام: ١/٩٧.
(١٠١٨) نفسه: ١/٩٨.
(١٠١٩) نفسه: ١/١٣٥.
(١٠٢٠) نفسه: ١/١٤٦.
(١٠٢١) نفسه: ١/١٥١.
(١٠٢٢) نفسه: ١/١٥٣.

- قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمر به -فيما يزعمون- على امرأة من بني أسد بن عبد العزى[١٠٢٣].
- فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه[١٠٢٤].
- قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث... [١٠٢٥].
- ويزعمون -فيما يتحدث الناس، والله أعلم- أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث... [١٠٢٦].
- قال ابن إسحاق: وزعم الناس -فيما يتحدثون، والله أعلم- أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس، وهي مقبلة به نحو أهله[١٠٢٧].
- فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد[١٠٢٨].

وهذه النماذج التي أوردنا تثبت أن ابن إسحاق كان يتمتع بحاسة نقدية، مكنته من التشكيك في بعض الأخبار التي وصلته، وأغلبها، كما يلاحظ، منقطع الأسانيد، وتعارضه الروايات الأخرى الصحيحة.

٢- وكان الواقدي يفحص رواياته، ويمحص معلوماته، ولا أدل على ذلك من

(١٠٢٣) السيرة النبوية، ابن هشام: ١/١٥٥ - ١٥٦.

(١٠٢٤) نفسه: ١/١٥٦.

(١٠٢٥) نفسه: ١/١٥٧.

(١٠٢٦) نفسه: ١/١٥٧.

(١٠٢٧) نفسه: ١/١٦٧.

(١٠٢٨) نفسه: ١/١٩٧.

العبارات التي استعملها في كثير من ثنايا كتابه، مما يشير إلى أنه كان يتبع منهجاً نقدياً في اختيار مروياته، وتنظيمها، ولعل معرفته الكبيرة، ومعلوماته الواسعة في مجال المغازي بالإضافة إلى زيارته الميدانية إلى أماكن السيرة، ومشاهدها، هي التي مكنته من نقد كثير من الأخبار والأقوال عن دراية وفهم عميقين.

وفيما يلي نماذج من تعليقات الواقدي على رواياته:

- وحدثني أفلح بن سعيد، عن محمد بن كعب، قال: كان الخندق الذي خندق رسول الله ﷺ ما بين جبل بني عبيد إلى راتج -وهذا أثبت الأحاديث عندنا- وذكروا أن الخندق له أبواب فلسنا ندري أين موضعها[١٠٢٩].
- حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: أرسل رسول الله ﷺ سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير إلى بني قريظة، قال ابن واقد والأول أثبت عندنا "[١٠٣٠].
- ويقال أن حيي بن أخطب قال لأبي سفيان: أنا آخذ لك من بني قريظة سبعين رجلاً رهناً عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا، فهم أعرف الناس بقتال محمد وأصحابه، فكان هذا الذي قال: إن أبا سفيان قد طلب الرهن، قال ابن واقد: وأثبت الأشياء عندنا قول نعيم الأول[١٠٣١].
- وكان عبد الله بن عمر يقول: صلى رسول الله ﷺ في الخريق القابل الصاب

(١٠٢٩) المغازي، للواقدي: ٢/٤٥١ – ٤٥٢.

(١٠٣٠) نفسه: ٢/٤٥٩.

(١٠٣١) نفسه: ٢/٤٨٧.

على أرض بني النضير، وهو اليوم موضع المسجد الذي بأسفل الجبل، ويقال إنه صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد الذي فوق الجبل، قال ابن واقد: وهذا أثبت الأحاديث(١٠٣٢).

- فحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال كانوا ستمائة إلا عمرو بن السعدى وجدت رمته ونجا قال ابن واقد: خروجه من الحصن أثبت(١٠٣٣).

وهذه العبارات التي استعملها الواقدي في التعليق على المرويات تظهر تمكنه القوي من فن السيرة وتضلعه في المغازي، ولم يكتف بالترجيح وإعلان أثبت الأقوال وأجدرها بالقبول، بل يعلن صراحة عن خطأ ما ذهب إليه بعض الرواة، كما يتضح في الروايتين التاليتين،

- قال هوذة حدثنا عوف الأعرابي عن رجل قال: دعا رسول الله ﷺ عام الفتح شيبة بن عثمان، فأعطاه المفتاح، وقال له: دونك هذا، فأنت أمين الله على بيته، قال الواقدي هذا غلط إنما أعطى المفتاح عثمان بن طلحة ابن عم شيبة يوم الفتح، وشيبة يومئذ كافر(١٠٣٤).

- قال الواقدي: وحدثني أبو معشر أن النبي ﷺ تزوج مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة قالت: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعاذت منه فطلقها، فجاء قومها فقالوا: يا رسول

(١٠٣٢) المغازي، للواقدي: ٤٨٨/٢.

(١٠٣٣) نفسه: ٥١٧/٢.

(١٠٣٤) سير أعلام النبلاء: ١٧٧/٢-١٧٨، وانظر تعليق الذهبي على كلام الواقدي.

الله: إنها صغيرة ولا رأي لها، وإنها خـــدعت، فارتَجِعْهـــا، فـــأبى علـــيهم، فاستأذنوه أن يزوجوها، فأذن لهم، وأبوها قتله خالد يوم الفتح[١٠٣٥] قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: مما يضعف هذا الحديث ذكر عائشة أنها قالت لها: ألا تستحين؟ وعائشة لم تكن مع رسول الله ﷺ في ذلك السفر[١٠٣٦].

٣- وأما ابن هشام فإنه يعتبر بحق أجدر كتاب السيرة بلقب الناقد من خـــلال صنيعه في سيرة ابن إسحاق، فكان بذلك أول ناقد بـــالمعنى الاصـــطلاحي للكلمة، وقد لخص عمله في تهذيب سيرة ابن إسحاق بقوله: "وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول من إسماعيل إلى رســـول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل علـــى هذه الجهة، للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض مـــا ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكـــر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث بـــه، وبعـــض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شـــاء الله تعالى ما سوى ذلك منه، بمبلغ الرواية له والعلم به"[١٠٣٧].

(١٠٣٥) سير أعلام النبلاء: ٢/٤٩٤.

(١٠٣٦) الطبقات الكبرى: ٨/١٤٨، وقد حكم الذهبي على هذا الحديث بأنه ساقط، ســـير أعـــلام النبلاء: ٢/٤٩٤.

(١٠٣٧) السيرة النبوية: ١/٤.

ومن خلال هذه القولة يتضح لنا منهجه في التعامل مع مرويات السيرة، والذي يتجلى في حذف أشياء، وإضافة أخرى، والتعليق على كثير من القضايا في الشعر والأنساب، وغيرها.

"لقد ترك ابن هشام مما كتبه ابن إسحاق قسماً كبيراً لم يكن في كتابته غناء ولا نفع... من ذلك حديث ما قبل إسماعيل بن إبراهيم من بدء الخليقة، وحديث أبناء إسماعيل على التفصيل، وأخبار ليست من سيرة النبي ﷺ في شيء، ولا هي مؤدية في جملتها وتفصيلها إلى شيء من ذلك"[١٠٣٨].

- وحذف كثيراً من الأشعار التي أوردها ابن إسحاق لشكه في صحتها، أو صحة نسبتها إلى قائليها، ومن ذلك تعليقه على ما رواه ابن إسحاق من رغبة تبع ملك اليمن من الاستيلاء على مكة، وإحجامه عن ذلك حيث أورد بيتاً واحداً من الشعر وقال: "الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته"[١٠٣٩].
- حذف الأشعار التي لا يعرفها أهل الاختصاص من رواة الشعر والقوافي.
- انتقاء ما صح من الشعر وترك المشكوك فيه لذلك نجده يعقب على ما يورده من شعر بقوله "هذا ما صح لي منها"[١٠٤٠] مما يعني أنه ترك أبياتاً أخرى لم تثبت عنده.
- التعليق على الأشعار بما يثبت معرفته الجيدة بالشعر والنظم، وكذلك تضلعه

(١٠٣٨) سيرة النبي ﷺ، لابن هشام، مقدمة محمد محيي الدين عبد الحميد: ١٨/١.

(١٠٣٩) السيرة النبوية: ٢٤/١.

(١٠٤٠) السيرة النبوية: ٥٢/١ – ٥٣ – ١٥٥ وغيرها.

في معرفة السيرة النبوية، فبعد أن أورد قصيدة أبي أسامة بن معاوية بن زهير في بدر التي مطلعها:

ولما أن رأيـــت القـــوم خفـــوا   وقـــد زالـــت تعامتـــهم لنفـــر

قال: "وهذه أصح أشعار بدر"[١٠٤١]، وقال في مكان آخر تعليقاً على شعر لحسان بن ثابت: "هذا أحسن ما قيل"[١٠٤٢].

- إضافة معلومات جديدة تتعلق بالأنساب، لم يذكرها ابن إسحاق، وهـــي كثيرة جداً[١٠٤٣].
- إضافة معلومات جديدة في أخبار السيرة لم يذكرها ابن إسحاق[١٠٤٤].
- شرح غريب السيرة والاستشهاد عليه بالشعر ومن ذلك تفسير لفظة "ســـجى" في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[١٠٤٥].

قال ابن هشام: سجى: سكن؛ قال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

إذا أتى موهنا وقد نام صـــحبي   وسجا الليل بـــالظلام البـــهيم

ويقال للعين إذا سكن طرفها: ساجية، وسجا طرفها، قـــال جريـــر بـــن الخطفـــي:

(١٠٤١) السيرة النبوية، ابن هشام ٥٣/١.

(١٠٤٢) نفسه: ٥٣/٣.

(١٠٤٣) انظر: على سبيل المثال: ٤١/١ – ٤٧ – ٧٥ – ٧٨ – ٧٩ – ٨٠ – ٩٤ – ٩٥ – ٩٦ – ١٠٧ – ١٢٠.

(١٠٤٤) السيرة النبوية: ٦٩/١.

(١٠٤٥) الضحى: ١-٢.

ولقد رمينك حين رمن بـــأعين　　　يقتلن من خلل السطور سواحي(١٠٤٦)

ومن تعليقاته على مرويات ابن إسحاق في السيرة ما يلي:

- قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال ما مفاده أن النبي ﷺ اتخذ علياً أخا له، وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين جعفر بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل... إلخ، قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة"(١٠٤٧).
- قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته، يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله　　　خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمن بقيله　　　أعرف حق الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله　　　كما قتلناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　　ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام: "نحن قتلناكم على تأويله" إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لا يقرون بالتنزيل، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل"(١٠٤٨).

(١٠٤٦) السيرة النبوية: ١/١٥٨.

(١٠٤٧) السيرة النبوية: ٢/٥٠٥.

(١٠٤٨) السيرة النبوية: ٤/٣٧١ — ٣٧٢.

وقد كان ابن هشام أميناً في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق، وذلك بفصل كلامه عن مرويات ابن إسحاق، بقوله قال ابن هشام؛ مما مكننا من الإطلاع على زياداته وتعليقاته وانتقاداته العلمية على ابن إسحاق.

٤- وإذا انتقلنا إلى محمد بن جرير الطبري، نجده يعرض أخباره عرضاً موضوعياً محايداً، حيث ينسب كل رواية إلى قائلها، غير مقتصر على ما يوافق رأيه، وقليلاً ما كان يعلق بترجيح أو تفنيد أو إبطال، بل يَنْدر أن يفضل رواية على أخرى إذا تساوت قوة الإسناد لديه، ويترك لقارئه الحرية في التمييز بين الروايات.

وقد انتقد كثير من المؤرخين الطبري لإهماله نقد المتن في إيراده للروايات المختلفة دون تعليق وعلى رأس هؤلاء ابن كثير، وابن الأثير، اللذان اتهماه بإيراد روايات غير معقولة[١٠٤٩].

ومما ذكره عنه السخاوي في الإعلان بالتوبيخ قوله: "قل أن يلم بجرح أو تعديل، ونحوه، بحيث لم يستوف أخبار واحد من الأئمة، إنما كانت عنايته بذكر الحروب مفصلة، والفتوحات مبينة، لا مجملة "[١٠٥٠].

ومع ذلك نقول: لقد أورد الطبري من الأقوال ما رآه صواباً، وزاد على ذلك بما يؤيده، أو يخالفه، مستعملاً العبارات التالية: "والصواب في العقول من ذلك عندنا" أو "ما صح عندنا" ونحو ذلك: وفيما يلي نموذجان من تعليقاته:

(١٠٤٩) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: ٥٢١/١.

(١٠٥٠) الإعلان بالتوبيخ: ١٤٤.

وقد زعم بعض أهل الكتاب: أن هذا الملك من بني إسرائيل الذي سار إليه سنحاريب كان أعرج، وكان عرجه من عرق النسا...[١٠٥١].

قال أبو جعفر: زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع[١٠٥٢].

* * *

(١٠٥١) تاريخ الطبري: ٦/٢.

(١٠٥٢) تاريخ الطبري: ٢٤٤/٢.

خاتمة

لقد تولت عناية الله عز وجل سيرة رسوله الكريم ﷺ، وحفتـــها بالرعايـــة والحفظ، وذلك بأن قيضت لها أعلام المحدثين، الذين صـــانوها مـــن الـــضياع والتحريف، من خلال توثيق أصولها توثيقاً علمياً، قبل أن تمتد إليهـــا أيـــادي الأخباريين والقصاص والمؤرخين، فسلمت بـــذلك مـــن الزيـــادة والنقـــصان والتحريف والتأويل السيء للوقائع.

وقد كَتَبَ في السيرة النبوية قديماً وحديثاً العديد من الكُتَّاب من مختلـــف المشارب والمناهج: منهم محدِّثون، ومؤرخون، وفقهاء، ولغويون، وعلماء نفس، ومستشرقون، ومستغربون، وذوو نزعات وأهواء ومذاهب شتى، حاول بعضهم التشكيك في قيمتها والنيل من موثوقيتها، لكنهم لم يفلحوا؛ لأن العلماء فرغوا من ضبط مروياتها، وتصنيف محتوياتها، منذ زمن بعيد، فلا خوف على السيرة، إذن، من عبث العابثين، ونزوات المنحرفين.

إن هذه السيرة ليست كبقية السير الأخرى، وهذا مـــن خصائـــصه ﷺ، كذلك، وما ميزه الله به من الفضل وشرّفه به من العناية، فالوحي الإلهي يشكل دعامتها وضابطها، والأساسَ في مجرياتها، ثم تأتي أحاديث الرسول ﷺ، التي نقلها الصحابة الكرام، الذين هم شهود الوقائع، والمشاركون في الأحداث.

ومن خلال مشاهد السيرة النبوية نصادف مقاطع كـــثيرة مـــن الـــوحي، ولوحاتٍ من الإعجاز الإلهي عَبْرَ دلائل النبوة، وكثيراً من الظـــواهر الغيبيـــة،

ونفحاتِ النبوة والرسالة، مما يدل دلالة واضحة على صدق الرســول الله ﷺ، وعلى أن سيرته من أهم معجزاته، كما أشار إلى ذلك كثير من العلماء.

إن أهم قضية تواجه دارس السيرة، هي قضية المصادر التي يعتمد عليهـا، وبعد ذلك يأتي منهج الكتابة، فهناك إذن ترابط كبير بين المصادر والمنـاهج في كتابة سيرة رسول الله ﷺ، وبقدر حسن تعامل الدارس معهما يكون نجاحه أو إخفاقه.

إن علماءنا، رحمهم الله، تفطنوا إلى هذه المسألة منذ عهد مبكر، من خلال رجوعهم إلى المصادر الأصيلة، مرتبة حسب أهميتها، بدءاً بـالقرآن الكـريم، فكتب الحديث النبوي، ثم شعر الدعوة الإسلامية، وكتـب السـير والتـاريخ بأنواعها، غير أنهم اختلفوا في مناهج الكتابة والتأليف، حيث اختـار بعـضهم طريقة أهل الحديث، وفضل البعض الآخر طرائق أهل السير والتاريخ.

فقد اتجهت عناية المحدثين إلى التحري في الرواية عن رسول الله ﷺ، وتمييز المقبول من المردود، عن طريق تطبيق علم الجرح والتعديل على الرواة، وعرض المرويات على قواعد الحديث الصارمة، لأنهم يرون السيرة جزءاً من الحـديث والسنة، تستنبط منها أحكام الدين، ويقتدي بهديها... لكنهم من جانب آخـر قاموا بتقطيع الروايات، فخرَّجوا بعضها في مكان، والبعض الآخر في مكـان، تبعاً لموضوعات استشهاداتهم بها، فحرموا بذلك دارسي السيرة من تكوين نظرة شاملة عن الحدث في مكان واحد من مؤلفاتهم، كما أنهم بصرامتهم شطبوا على كثير من الأخبار والآثار؛ لعدم توفرها على الشروط المعتبرة عندهم، كاتـصال السند، والخلو من الشذوذ، والعلل، والإرسال، وغيرها، رغم توفر هذه الأخبار

على كثير من التفاصيل المفيدة، والزيادات التي يحسن الاستفادة منها.

وعلى خلاف المحدثين، أبدى أهل السير والتاريخ تسامحاً كبيراً في التعامل مع أسانيدهم، دون أن يتحللوا من مناهج المحدثين، حيث عمدوا إلى جمع كـــل الروايات والأخبار المتصلة بالحدث في مكان واحد، وفي وحدة عـــضوية، دون تشدد في قبول المرويات، أو تمحيص للرواة، وكانوا في أغلبهم من أهل الريـــادة والتفوق في فنون السير والمغازي، بشهادة مخالفيهم من أصحاب الحديث، ولهم ميزات كثيرة، منها: نظرهم إلى السيرة في حقيقتها الكونية، ومكانتها في تسلسل الرسالات الإلهية، واعتماد طريقة السرد، والتسلسل الزمني للأحداث، والعمـــل على جمع الوثائق والقوائم والتفاصيل والجزئيات عن كل حدث، كيفما كانت قيمتها، ولا يستغنون عن نص من النصوص، رغم ضعفه، ويرون أن له قيمـــة قصوى عند الاحتياج إليه.

ولا يمكن بحال الاستغناء عن روايات أهل السير وأخبار المؤرخين؛ لأنهـــا تُسْهِم في إضاءة جوانب كثيرة من السيرة النبوية، وتحدد أزمنتـــها وأمكنتـــها، وتشرح كثيراً من الأحداث الواردة في كتب السنة الصحيحة، ولهـــذا فـــضل الحافظ ابن سيد الناس اليعمري في مقدمة سيرته أن يبدأ بتوثيق ابن إســـحاق، والواقدي، لأن التشكيك فيهما يطعن في قيمة روايتهما، وتوثيقهمـــا توثيـــق لكتابيهما والأخبار الواردة فيهما.

فإذا كانت مناهج المحدثين تقدم السيرة النبوية بصرامتها العلمية، وقواعدها الموضوعية، فإن مناهج المؤرخين تضيف لنا أحداثاً، وتفاصيل لا تمكننـــا منـــها مرويات المحدثين، وتُسْهِم بطريقةِ عرضها، وانسياب أخبارها في إيضاح الوقائع،

وتقديم حياة رسول الله ﷺ في قالب مشوق ومحبب إلى النفوس.

وقد تقدم في هذه الدراسة أن المصادر الصحيحة للسيرة ممثلة في القرآن والسنة تعطينا صورة كاملة عن حياة رسول الله ﷺ، أما تفاصيل وجزئيات السيرة فقسم وافر منها صح نقله، والباقي نقلته كتب السير والتواريخ بأسانيد فيها ضعف، لكن تمت غربلتها من قبل أئمة الرواية، بخاصة في القرنين الثامن والتاسع للهجرة؛ وبعد نقد هذه الآثار وتمييز صحيحها من مردودها من قبل أئمة مثل الذهبي وابن سيد الناس وابن حجر العسقلاني، أصبحت مرويات مؤرخي السيرة من أمثال الطبري جزءاً من المصادر الصحيحة متى ثبتت صحة إسنادها، أو ارتقت بتعدد طرقها.

لقد درج العلماء على قبول روايات ابن إسحاق، إذا صرح بالتحديث، والاستشهاد بروايات الواقدي رغم أنه متروك، والاستدلال بمرويات الأخباريين مثل سيف بن عمر التميمي، ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، وعوانة بن الحكم، وغيرهم، وذلك في محلها، مع الجمع بينها وبين الروايات الأخرى التي هي أوثق منها سنداً، كل ذلك من أجل تقديم الخبر التاريخي في إشراقته، وتكوين نظرة شاملة عنه في أبعاده المختلفة.

وينبغي الاعتراف بأن كلاً من المحدثين والمؤرخين، قد قدموا خدمات جليلة للسيرة النبوية، من خلال ما دونوه وصنفوه من كتابات ومؤلفات، حيث قام كل طرف بسد النقص الحاصل عند الطرف الآخر، وهذا ما يدعونا إلى البحث عن أوجه التكامل الممكنة بين الجانبين، والتفكير في صياغة منهج جديد، يزاوج بين النظرتين، ويبنى على محاسن الطريقتين، وذلك بإعمال قواعد المحدثين، دون

صرامة، واستثمار مرويات المؤرخين بعلم ومنهج ودراية، وبذلك نسلك مسالك علمائنا المتقدمين، الذين جمعوا بين التضلع في علم الحديث، وبين إتقان قواعـــد النقد التاريخي، فكانوا محدثين ومؤرخين، وجاءت كتاباتهم نموذجاً في التعـــاطي مع المنهجين، والسيرة النبوية اليوم في حاجة إلى مثل هذه الدراسات المنهجيـــة؛ لكي يعود إليها اعتبارها، بوصفها مصدراً من مـــصادر التوجيـــه والتقـــويم في الإسلام.

ومما يثلج الصدر، ويفرح القلب، أن يرى المرء هذه المحاولات المـــشكورة، التي يقوم بها علماء شباب، والتي كانت فاتحتها البحـــوث المنجـــزة بالجامعـــة الإسلامية بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ونرجـــو أن يتسع مجال اهتمام الجامعات الإسلامية الأخرى بهذا المجال، لكي نعيد للسيرة النبوية، كعلم ومنهج، صفاءه وريادته، وما ذلك على همم المخلصين من أبنـــاء الأمة الإسلامية بعزيز، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولـــسائر المسلمين آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

لائحة المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

١-الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر.

٢-أسباب النزول: الواحدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.

٣-الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق محمد علي البجاوي، مصر، القاهرة، مطبعة نهضة.

٤-الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: الدكتور رمزي نعناعة، دمشق، نشر دار القلم، الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ.

٥-الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: الدكتور محمد أبو شهبة، القاهرة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٦-الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، مصر، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٧-أصول الحديث وعلومه: الدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ.

٨-إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين: ابن طولون الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٩-الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، السخاوي، بيروت، طبعة دار الكتاب العربي.

١٠-الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: القاضي عياض، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، دار التراث.

١١- أنساب الأشراف: البلاذري، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، نشر دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
١٢- الأنساب: السمعاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٣- البداية والنهاية: ابن كثير، بيروت، مكتبة المعارف.
١٤- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: عبد العزيز الدوري، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٣م.
١٥- البدء والتاريخ: ابن طاهر المقدسي، نشر المستعرب الفرنسي "كليمان هوار"، بغداد، طبعة مكتبة المثنى.
١٦- البرصان والعميان والعرجان والحولان: أبو عمرو الجاحظ، تحقيق محمد مرسي الخولي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
١٧- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
١٨- تاريخ الأمم والرسل والملوك: الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، لبنان، دار سويدان.
١٩- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٠- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرين، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، وجامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ.

٢١- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دمشق، دار القلم.
٢٢- تاريخ دمشق: ابن عساكر، قسم السيرة النبوية، تحقيق نشاط غزاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، دار القلم، ١٤٠٤هـ.
٢٣- التاريخ الصغير للبخاري: تحقيق محمود إبراهيم الزايد، نشر دار الوعي حلب، ودار التراث بالقاهرة.
٢٤- التاريخ الكبير: أبو عبد الله البخاري: بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٥- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم: لابن زبر الربعي، تحقيق محمد المصري، نشر مركز المخطوطات بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٢٦- تاريخ اليعقوبي: بيروت، لبنان، طبعة دار صادر.
٢٧- تأويل مشكل الحديث، لابن فورك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.
٢٨- تبيين كذب المفتري: ابن عساكر، نشر حسام الدين القدسي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ.
٢٩- تحفة الأحوذي: محمد عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
٣٠- تذكرة الحفاظ: الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣١- التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء: لابن الحذاء، تحقيق محمد عز الدين المعيار، الرباط، طبعة وزارة الأوقاف، ١٤٢٣هـ.
٣٢- تفسير الحسن البصري: جمع الدكتور محمد عبد الرحيم، طبعة دار الحديث

بالقاهرة.

٣٣- تفسير سفيان بن عيينة: جمع وتحقيق: أحمد صالح محـــابري، طبعـــة دار المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٣٤- تفسير عبد بن حميد الكشي: اعتناء مخلف بنية، بيروت، دار ابن حـــزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٥- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني: تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٦- تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم، تحقيق أحمـــد العمـــاري الزهـــراني، المدينة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٧- تفسير مقاتل بن سليمان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٨- التفسير والمفسرون: الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.

٣٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابـــن عبـــد الـــبر، المغـــرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

٤٠- التمييز: للإمام مسلم، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمـــي، مطبوعـــات جامعة الرياض، ١٣٩٥هـ.

٤١- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٢- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة القرآن.

٤٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمـــد محمد شاكر وآخرين، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٤٤- الجامع لأخلاق الراوي: للبغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.

٤٥- جدوة المقتبس: الحميدي، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٦- الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٧- جزء في تفسير عطاء الخرساني، تحقيق ودراسة: حكمت بشير ياسين، المدينة المنورة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٨- جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة السادسة.

٤٩- جهرة نسب قريش وأخبارها: الزبير بن بكار، الجزء الأول، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، ١٣٨١هـ.

٥٠- جوامع السيرة: ابن حزم، تحقيق إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، مصر، دار المعارف.

٥١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة الخانجي ومطبع السعادة، ١٣٥١هـ.

٥٢- خطبة الفتح الأعظم: الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ

٥٣- دراسات عن المؤرخين العرب: "مارجليوث" ترجمة حسين نصار، المكتبة الثقافية الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٤- دراسات المستشرقين الفرنسيين للسيرة النبوية: الدكتور مصطفى المسلوتي،

أطروحة الدكتوراه، مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط.
٥٥- دراسة في السيرة الدكتور عماد الدين خليل: دمشق، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٠٦هـ.
٥٦- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٣هـ.
٥٧- دلائل النبوة: أبو بكر البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٥٨- دلائل النبوة: أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي، وعبد البر عباس، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٥٩- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة: ناصر الدين الألباني، دمشق، مؤسسة ومكتبة الخافقين، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ.
٦٠- ديوان كعب بن زهير: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
٦١- رسالة أبي داود إلى أهل مكة: تحقيق وتعليق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.
٦٢- رفع الملام عن الأئمة الأعلام: ابن تيمية، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٦٣- الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد: الذهبي، تعليق إبراهيم سعيداي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦٤- الروض الأنف: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩١هـ.

٦٥- سنن أبي داود: مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار الفكر.

٦٦- سنن ابن ماجه القزويني: تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار الفكر.

٦٧- سير أعلام النبلاء: الذهبي، بيروت، نشر مؤسسة الرسالة، ونشرة مكتبة الصفا بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٦٨- سيرة ابن إسحاق: تحقيق محمد حميد الله، طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب المملكة المغربية، ١٣٩٦هـ.

٦٩- سيرة الرسول ﷺ: محمد عزة دروزة، القاهرة، مصر، مطبعة الاستقامة.

٧٠- السيرة النبوية الصحيحة: الدكتور أكرم ضياء العمري، طبعة مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر، ١٩٩١م.

٧١- السيرة النبوية عند البيهقي: عبد الرحمن السنيدي، مطبوعات جامعة الإمام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٧٢- السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة: الدكتور محمد أبو شهبة، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٧٣- السيرة النبوية في القرآن الكريم: عبد الصبور مرزوق، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧٤- السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، مؤسسة علوم القرآن.

٧٥- السيرة النبوية: للحافظ الذهبي، باعتناء حسام الدين المقدسي، بيروت، دار

الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٧٦- السير: لأبي إسحاق الفزاري، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٧- السير والمغازي: محمد بن إسحاق، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٧٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن عماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، طبعة دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٩٨٦هـ

٧٩- شرح القصيدة الشقراطيسية: أبو شامة الدمشقي، تقديم وتحقيق: الدكتور مصطفى المسلوتي، رسالة مرقونة بدار الحديث الحسنية بالرباط،

٨٠- شرح المواهب اللدنية: محمد عبد الباقي الزرقاني، مصر، دار الطباعة الأميرية ١٢٧٨هـ،

٨١- شرح نخبة الفكر: ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ،

٨٢- شرح النووي لصحيح مسلم: بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠هـ.

٨٣- شرف أصحاب الحديث: الخطيب البغدادي، تحقيق محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة، نشر كلية الإلهيات جامعة انقرة، ١٩٧١م.

٨٤- شعر السيرة النبوية: دراسة توثيقية: الدكتور شوقي رياض محمد، دار المأمون للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨٥- الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ،

٨٦- الضعفاء الصغير: البخاري، تحقيق إبراهيم زايد، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

٨٧- الضعفاء الكبير: العقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٨٨- الضعفاء والمتروكين: النسائي، تحقيق إبراهيم زايد، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
٨٩- صحيح مسلم: تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، طبعة دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
٩٠- طبقات خليفة بن خياط العصفري: تقديم وتحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، نشر دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
٩١- طبقات الشافعية: أبو بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق عادل نويهض، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
٩٢- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، نشر دار المدني، جدة.
٩٣- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٩٤- العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٩٥- علم التاريخ عند العرب: "روزنثال"، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي، نشر مؤسسة المثنى، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٣م.
٩٦- علم الرجال نشأته وتطوره: د. محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٩٧- عيون الأثر في فنون المغازي والسير: ابن سيد الناس، تحقيق محمد العيد

الخطراوي ومحي الدين ديب مستو، مكتب دار التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٩٨- فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية مصورة بدار الفكر.

٩٩- فتوح البلدان: البلاذري، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

١٠٠- الفصول في سيرة الرسول ﷺ: ابن كثير، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٠١- فضائل القرآن: أبو عبيد: تحقيق أحمد الخياطي، منشورات وزارة الأوقاف بالرباط، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠٢- الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة ومتعلقاتها: إعداد قاسم السامرائي، مطبوعات جامعة الإمام الرياض، ١٤١٦هـ.

١٠٣- قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجت بيطار، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٠٤- الكامل في الضعفاء: ابن عدي، بيروت، لبنان، دار الفكر.

١٠٥- كتب حذر منها العلماء: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٠٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، إستانبول، المطبعة البهية، ١٣٦٠هـ.

١٠٧- الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي، مراجعة عبد الحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

١٠٨- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، باعتناء محمد المرعشلي، بيروت، دار

إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ.

١٠٩- مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح دار العلم للملايين، الطبعة ١١، ١٩٧٩هـ.

١١٠- مباحث في علوم القرآن مناع القطان: مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٧، ١٩٩٠م.

١١١- المجروحين: ابن حبان، تحقيق إبراهيم زايد، حلب، دار الوعي.

١١٢- مجموع فتاوى ابن تيمية: المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤١٦هـ.

١١٣- المحبر: ابن حبيب البغدادي، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

١١٤- المحدث الفاصل: الرامهرمزي، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١١٥- المختصر الكبير في السيرة ابن جماعة: تحقيق د. العاني، عمان، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١١٦- مرآة الحنان: اليافعي، تحقيق عبد الله الجبوري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١١٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة.

١١٨- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: يحيى بن إبراهيم القريي، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١١٩- مرويات الإمام الزهري في المغازي النبوية: جمع ودراسة: الدكتور محمد العواجي، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى،

٢٠٠٤م.

١٢٠- مرويات غزوة حنين والطائف: إبراهيم بن إبراهيم قريبي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة.

١٢١- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم، طبعة حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٤١هـ.

١٢٢- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٢٣- مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان، بيروت، دار الكتب العلمية، مصورة عن طبعة فلايشمهر.

١٢٤- مصادر السيرة النبوية وتقويمها: الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٢٥- المصنفات المغربية في السيرة النبوية: الدكتور محمد يسف، الرباط، مطبعة دار المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢٦- المعارف: ابن قتيبة الدنيوري، تحقيق: ثروت عكاشة، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية.

١٢٧- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مطبعة دار المأمون.

١٢٨- معجم البلدان: ياقوت الحموي البغدادي، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ.

١٢٩- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ: صلاح الدين المنجد، القاهرة، دار القاضي عياض للتراث المعادي.

١٣٠- معرفة الثقات: للعجلي، بترتيب: الهيثمي والسبكي، تحقيق عبد العليم البستوي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٣١- معرفة الصحابة: أبو نعيم، تحقيق د. محمد راضي عثمان، مكتبة الدار بالمدينة، ومكتبة الحرمين بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٢- معرفة علوم الحديث: الحاكم، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

١٣٣- المغازي: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق "مارسدن جونس"، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٣٤- المغازي الأولى ومؤلفوها: يوسف "هورفتس"، ترجمة حسين نصار، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٣٥- مغازي رسول الله ﷺ: لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق وتقديم: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، نشر مكتب التربية لدول الخليج، ١٩٨١م.

١٣٦- مغازي موسى بن عقبة: جمع وتخريج: الدكتور محمد أبو مالك، نشر كلية الآداب، المغرب، أكدير، جامعة ابن زهر، ١٩٩٤م.

١٣٧- المغازي النبوية: للزهري، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٣٨- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

١٣٩- مناهج التأليف في السيرة: الدكتور محيي الدين ديب مستو، دمشق،

بيروت، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٤٠- منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، تحقيق رشاد سالم، المغـرب، مطبعـة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٤١- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل: الدكتور فاروق حمادة، الربـاط، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ه.

١٤٢- المؤرخون والتاريخ عند العرب: الدكتور محمد أحمد ترحيني، بـيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٣- الموطأ: الإمام مالك بن أنس، تحقيق وترجمة وتخـريج وتعليـق: فـؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١٤٤- الموطآت: للإمام مالك، نذير حمدان، دمشق، دار القلم، بيروت، والدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٤٥- ميزان الاعتدال: أبو عبد الله الذهبي، تحقيق محمد علي البجاوي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

١٤٦- الناسخ والمنسوخ: أبو عبيد، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتـب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٤٧- الناسخ والمنسوخ: لابن البارزي، وابن الجوزي، وقتـادة، والزهـري، تحقيق حاتم الضامن، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤٨- الناسخ والنسوخ: للنحاس، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافيـة، الطبعـة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغـرى بـردي، مـصر،

مؤسسة الثقافة والإرشاد القومي.
١٥٠- نسب قريش: أبو عبد الله المصعب الزبيري، نشر "لفي بروفنسال"، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٥١م.
١٥١- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: حسين نصار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥٢- هدية العارفين: إسماعيل البغدادي، بيروت، مكتبة دار المثنى.
١٥٣- هواتف الجان: أبو بكر الخرائطي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ثانياً: المقالات:

١- أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة مصنفاتهم ومناهجهم: الدكتور فاروق حمادة، ندوة العناية بالسنّة والسيرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية.
٢-السيرة النبوية: أهميتها، أقسامها، مقاصد دراستها: د. محمد بن صامل السلمي، مجلة جامعة الإمام، العدد ٤٨، شوال، ١٤٢٥هـ.
٣-علاقة المغازي بالسير: د. محمد المختار العبيدي، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٧، عام ١٩٧٩م.
٤-محمد بن عائد الدمشقي ومصنفاته التاريخية: د. سليمان بن عبد الله السويكت، الرياض، مجلة الدارة، العدد ٣، السنة ٢٥ - ١٤٢٠هـ.
٥-مرويات أسباب النزول مصدراً للسيرة: د. عبد الزراق هرماس، مجلة السنة النبوية، الرباط، العدد ٥، عام ١٤٢٦هـ.

٦-مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين: د. أكــرم ضياء العمري، ندوة العناية بالسنة والــسيرة، وزارة الــشؤون الإســلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٧-مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخبارين: د. مسفر بن غرم الله الدميني، ندوة العناية بالسنة والسيرة، وزارة الــشؤون الإســلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *